رؤية تاريخية جديدة

العـــراق

بين ثلاث استراتيجيات

جزيرة العرب . إيران . الدردنيل

الدكتور
صالح بن محمود السعدون



بسم الله الرحمن الرحيم

نظريـــة تاريخيـــة جديـــدة

العراق بين ثلاث استراتيجيات
جزيرة العرب، إيران، الدردنيل

رؤيـــة تاريخيـــة جديـــدة

العراق بين ثلاث استراتيجيات
جزيرة العرب، إيران، الدردنيل

الدكتور

صالح بن محمود السعدون

الطبعة الأولى: 1431 هـ - 2010م



صالح محمود حماد السعدون الراشد 1429هـ
فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الراشد , صالح محمود حماد السعدون
رؤية تاريخية جديدة – العراق بين ثلاث إستراتيجيات (جزيرة العرب،
إيران ، الدردنيل)
صالح محمود حماد السعدون الراشد –سكاكا, 1429هـ
1. العراق-تاريخ
رقم الإيداع 1429/537هـ
ردمك : 978-9960-344059-9

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2776 / 6 / 2009)

956
السعدون، صالح
السيادة العالمية الثالثة للأمة العربية الإسلامية/ صالح محمود السعدون._ عمان:
دار كنوز المعرفة، 2009
( ) ص.
ر.أ: (2776 / 6 / 2009)
الواصفات: / تاريخ العرب// السياسة الخارجية/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرس والتصنيف الأولية
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 056 - 6

كنوز المعرفة

دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري - تلفون: 4655877 6 962+
فاكس: 4655875 6 962+ - موبايل: 5525494 79 962+
ص. ب 712577 عمان- الايميل dar_konoz@yahoo.com

تنسيق وإخراج: صفاء نمر البصار 00962 79 6507997
safa_nimer@hotmail com

الإهداء

أهدي هذه الدراسة إلى قائد إستراتيجية جزيرة العرب في هذه الحقبة .. " حقبة الرياض " .. خادم الحرمين الشريفين الملك العادل / عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله وسدد بالحق خطاه

المؤلف

د. صالح السعدون - سكاكا الجوف



فهرس المحتويات

الفصل الأول

صراع الإستراتيجيات الثلاث في العصور القديمة على العراق

الفصل الثاني

صراع الإستراتيجيات الثلاث على العراق في العصر الإسلامي

الفصل الثالث

صراع الإستراتيجيات الثلاث على العراق في العصور الحديثة

المقدمة

قد لا يعجب البعض التحدث عن النظريات التاريخية، ويفضلون كلمة نظرة أو رؤية، وأياً كانت الرؤى حيال هذا الأمر فإن موضوع هذا الكتاب هو تأطير تاريخي جديد، وقراءة تاريخية جديدة لتاريخ العراق، فالعراق كما رآه مؤلف هذه الرؤية التاريخية ليس مركز للحضارات القديمة فحسب؛ وإنما مركز لتطاحن الحضارات وصراع الإستراتيجيات الثلاث: إستراتيجية جزيرة العرب التي ترى أحقيتها بالعراق وتبعية العراق لها كامتداد طبيعي لها و " بستانها وسوادها "، وإستراتيجية إيران التي تنظر للعراق باعتباره "فردوسها المفقود "، وإستراتيجية الدردنيل التي تنظر إلى أن الأخطار التي تهدد أوروبا من الشرق دائما تأتي إليها من قبل " البوابة العراقية " إلى جانب طمع هذه الإستراتيجية في ثراء العراق اقتصادياً فالطرق التجارية قديماً والبترول حديثاً كان دائماً ما يغري الدردنيل بالعراق.

وقد كنت كتبت هذا كمقال صغير في موقع " المأوى "، وقد شجعني العديد من الأصدقاء لتأطيره في بحث تاريخي علمي وموضوعي، وشجعني أن أقدمه كبحث علمي تاريخي، يعطي دراسة متعمقة للصراع الحضاري الذي يفرضه علينا مفكرو تلك الإستراتيجيات؛ فالصراع بيننا وبين تلك الإستراتيجيتين سرمدي منذ آلاف السنين وسيظل سرمدي؛ لا لأن إستراتيجية الجزيرة العربية وممثلوها بالعراق وبلاد الشام (سوريا) يريدون مثل هذا الصراع الحضاري؛ بل هم يكافحون وينافحون مثل هذا الاعتداء؛ ولكن كل ذلك مفروض عليهم.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول رئيسية: حول التطاحن الحضاري والصراع الإستراتيجي بين الجغرافيات الثلاث (جزيرة العرب، إيران، الدردنيل) على العراق، حيث خصص الفصل الأول عن هذا الصراع بين الإستراتيجيات الثلاثة في العصور القديمة وحتى أوائل العصور الوسطى، أما الفصل الثاني فقد تحدثت الدراسة عن الصراع الإستراتيجي حول العراق في العصور الإسلامية، أما الفصل الثالث فقد تحدثت الدراسة عن ذلك الصراع في العصور الحديثة.

وقد اطلعت على الكثير من الدراسات حول تاريخ العراق، ولم يسبق أن درس مثل هذا الموضوع بأية دراسة سابقة على حد علمي، فهي الدراسة الأولى التي وضعت هذا التأطير التاريخي بهذا الشكل لتاريخ العراق، مما يجعلني أكون فخوراً -وبكثير من التواضع- أن أقدمه كنظرة أو رؤية أو نظرية خاصة بي.

وفي حقيقة الأمر فإني أتقدم بالشكر الجزيل لبعض الأصدقاء الذين قدموا لي تشجيعاً خاصاً لتحويل هذه النظرة من مجرد مقال؛ إلى دراسة تاريخية موضوعية، ولكل من ساهموا بنشره وأخص بالشكر صديقي العزيز الأخ ناصر البراق الذي أعطى اهتمامه لهذه الرؤية وساهم كثيراً في دعمها لترى النور.

د. صالح السعدون

مدخل إلى الموضوع

يتصارع على العراق ثلاث إستراتيجيات عبر التاريخ، ذلك أن العراق في العصور القديمة والوسطى؛كان في موقع إستراتيجي هام بين الشرق والغرب، وقد حباه الله ميزات جعله دائماً مغرياً لثلاث جغرافيات تتصارع عليه من أجل مصالحها، أما الجغرافية الأولى التي تتلهف عبر التاريخ للاستحواذ على العراق فهي جغرافية إيران أو " الإستراتيجية الإيرانية " والتي وصل بها الأمر إلى نقل عاصمتها من سوسة في الجبال على الحدود الإيرانية مع العراق إلى عاصمتها إكتسيفون (المدائن) في خاصرة العراق شمالي بغداد حالياً، وحيث أن معظم الأراضي الإيرانية في الوسط والجنوب عبارة عن صحراء قاحلة؛ فقد اعتبرت قيادات الإستراتيجية الإيرانية عبر العصور أن العراق من أهم البلدان التي لا يمكن لإيران الاستغناء عنها.

أما الجغرافية الثانية فهي جغرافية الدردنيل أو " إستراتيجية الدردنيل " وهو أفضل تسمية نطلقها على الإستراتيجية الأوروبية خاصة أن شعوب مثل شعوب اليونان وبيزنطة والأتراك كلها قادت الإستراتيجية الأوروبية من ضفاف الدردنيل، وهي يمكن أن تتغير بتغير العصور فهي قد بدأت بليديا في آسيا الوسطى ثم باليونان في عهد الإسكندر المقدوني ثم ببيزنطة وعاصمتها القسطنطينية والتي مثلت جغرافية وإستراتيجية الدردنيل بحق، ثم أصبحت تركية عثمانية في العصور الوسطى و أوائل العصور الحديثة؛ حيث تغير اسم عاصمتها إلى إستانبول، وهي أوروبية أطلسية تقودها بريطانيا تارة وأمريكا تارة ضد العراق مع بداية الحرب العالمية الأولى مع مطلع القرن العشرين

الميلادي، وقادتها أمريكا ضد العراق مع نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين؛ على أن الدردنيل اخترناه هنا كناية عن إستراتيجية أوروبا أو القوى الأوروبية الكبرى سواء مثلتها قوة يونانية وثنية أو بيزنطية مسيحية أرثوذكسية أو قوة إسلامية سنية تركية أو قوى مسيحية بروتستانتية كبريطانيا وأمريكا ورغم أن تركيا الجمهورية ليست أوروبية حالياً من حيث رفض الأوروبيين لانضمامها لمنظمة الإتحاد الأوروبي؛ فإنها تنافح منذ قرن كي تقنع العالم أنها أوروبية من حيث الموقع والنظام وأسلوب الحياة الاجتماعية، كما أنها تكافح عن مصالحها بالعراق من جهة سواء فيما يتعلق بالأكراد ورغبتهم في تشكيل دولة لهم شمال العراق أو حقوق التركمان في كركوك، كما أنها تنافح ضد جغرافية إيران ودعم إيران للشيعة على حساب أهل السنة استكمالاً لدورها في العصور الوسطى وإن كان ذلك يتخذ شكلاً مظهرياً فقط، كما أنها تحت مظلة حلف الأطلسي، بحيث تجعل الدردنيل لا يزال يمثل إطلالة ومصالح أوروبا على العراق، ومعروف أن القوات الأمريكية انطلقت من تركيا لغزو العراق عام ٢٠٠٣م كما انطلقت من مواقع أخرى، ولذا فرغم أن القيادة تتغير من حيث الدين أو المذهب أو القومية فإن الدردنيل يواصل أطماعه بالعراق منذ العصور القديمة وحتى يومنا هذا.

أما الجغرافية الثالثة وهي الأقوى على الإطلاق فهي جغرافية الجزيرة العربية أو " إستراتيجية جزيرة العرب "، والتي سيطرت على العراق في التاريخ القديم للشرق قرابة ألفي عام بداية من ٢٤٠٠ق.م.من خلال شعوبها التي هاجرت وسيطرت على العراق وحتى ٥٥٥ق.م. حين نافستها الإستراتيجية الإيرانية بقوة وعنف؛وظل العراق بعيداً عن سيطرتها حتى تمكنت الجزيرة العربية في حقبة المدينة المنورة في ظل قيادة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كعاصمة لإستراتيجية الجزيرة العربية من فرض مصالح هذه الجغرافيا على العراق لقرون عديدة من جديد، وقد تعددت منطلقات جغرافية وإستراتيجية

الجزيرة العربية في وثباتها لحماية مصالحها بالعراق من المدينة المنورة في عهد الخلفاء الراشدين، إلى الدرعية في مطلع العصور الحديثة، وترى الدراسة أن الوثبة المعاصرة من الرياض نحو العراق لتفرض مصالح جغرافية وإستراتيجية الجزيرة العربية خلال العقد القادم على الأكثر.

أهمية العراق للإستراتيجيات (الجغرافيات) الثلاث:

تقع العراق كالجزيرة العربية بين الشرق والغرب، ففي شمال العراق يمكن أن ينتهي طريق الحرير التجاري من الصين نحو أوروبا بحيث تشكل العراق – قديماً – آخر مدىً للشرق كما تشكل الشام أول بدايات الغرب؛ ففي وقت متأخر من تاريخ الشرق القديم؛ كان العراق قد خضع للإمبراطورية الفارسية في فترات من الزمن تعتبر قصيرة نسبياً، بينما كانت روما وبيزنطة متمسكة بخضوع بلاد الشام لها وكذلك العراق لفترات أقصر من خضوعه للإستراتيجية الإيرانية (بالنسبة للعراق) ومنذ عهد الإسكندر المقدوني.

ومن ناحية أخرى وفي جنوب العراق حيث مصب نهري دجلة والفرات (شط العرب) ينتهي طريق تجارة الشرق البحري الطويل، والذي يبدأ من الصين نحو الغرب مروراً بالهند والخليج بحيث تكمل الملاحة النهرية هذا الطريق التجاري وصولاً لحلب وأنطاكية على البحر المتوسط نحو الغرب.

وإلى جانب أهمية العراق كنهاية للطرق التجارية بين الشرق والغرب، تأتي خصب أرض العراق والأنهار التي تروي أرضه بحيث وفرة الماء والأرض الخصبة المتجددة باستمرار من طمي الفيضانات؛ بحيث جعلت من إمكانية قيام حضارة وغنى وافر بالعراق في أي عصر من العصور أمر ممكناً، ولعل الأهمية الاقتصادية في العصور القديمة هذه قد أضيف إليها في العصور الوسطى بعد ديني مذهبي كمدن كربلاء والنجف عملت الإستراتيجية الإيرانية

على تضخيمه لأهداف إستراتيجيتها بعيدة المدى فمن تقديس المراقد وزيارتها إلى ما سمي بالحج إليها. كما أضيف عنصر البترول في تاريخنا المعاصر كسلعة اقتصادية هامة جعلت من الصراع على العراق بعداً آخر بالنسبة لإستراتيجيتي إيران والدردنيل في تاريخنا المعاصر – خلال هذا العقد –، وهي نفس البعد الاقتصادي الذي ظل خلال عصور التاريخ يحرك إستراتيجية الجزيرة العربية.

الفصل الأول

صراع الإستراتيجيات الثلاث في العصور القديمة على العراق

الفصل الأول
صراع الإستراتيجيات الثلاث
في العصور القديمة على العراق

صراع الإستراتيجيات الثلاث في العصور القديمة :

حين نتكلم عن الجغرافية فإننا نتحدث عن الأرض ومصالح تلك الأرض بالعراق نتيجة لفقر تلك الأرض للمكتسبات التي تمتلكها أرض العراق، ولكننا نعني بالإستراتيجية: أنها مصالح وسياسات الجنس البشري في تلك الأرض تجاه العراق، فمنذ فجر تاريخ العراق بدأ الصراع على هذه المنطقة من العالم من قبل الجغرافيات الثلاث، فقد اختلف المؤرخون في عصر حضارة العبيد حول أي الشعوب التي أدخلت معدن النحاس للعراق؛ حيث أن هذا المعدن لم يكن متوفراً في بلاد النهرين بسهولة، واضطر المؤرخون إلى وضع فرضيات أن من أدخل استخدام النحاس إلى بلاد العراق لأول مرة قد وفدوا به عليها من واحدة من ثلاثة مناطق خارجية يتوافر النحاس فيها، وهي " عدن وإيران والأناضول "، مما يؤكد توجه هذه الرؤية التي نحن بصددها حول العراق، ولعل أنصار الأصل الإيراني للنحاس في العراق، افترضوا خروج هجرات من جنوب غرب إيران إلى العراق في أوائل الألف الرابع ق.م. أو قبلها بقليل مستدلين على ذلك أن الهضبة الإيرانية قد تعرضت لجفاف وتصحر قبل أكثر من أربعة آلاف عام[1].

ويرى ديلابورت أنه ربما وفد السومريون من الجبال الشرقية أي من إيران بينما جاء الأكاديون الساميون من سوريا، ولكنهم فيما يبدو أنهم حتى نسوا من أين جاؤوا واعتقدوا أنهم نشئوا في وادي الفرات أصلاً[٢].

ولعله من الصعب اعتماد أن أصل النحاس قد جاء إلى العراق من إيران كدليل على أن الشعب الأول الذي استوطن العراق جاء من الهضبة الإيرانية بدون نقاش، لأنه لم يستطع الباحثون حتى الآن إثبات ذلك، كما أن تلك الفترة التي تصحرت بها مناطق جنوب غرب إيران هي نفس الفترة تماماً التي تصحرت بها جزيرة العرب، وكما أن الهجرات الإيرانية ممكنة؛ فإن الهجرات السامية من جزيرة العرب ممكنة أيضاً ولنفس الأسباب، ولكن المهم في هذا الرأي هو أنه منذ التاريخ القديم للعراق وهو يخضع لمصالح الجغرافيات الثلاث جزيرة العرب، وإيران، والدردنيل (الأناضول أو أوروبا).

إستراتيجية جزيرة العرب تسبق غيرها بالعراق:

(الحقبة الأكادية):

ورغم أن التاريخ لا يزال على غير بينة أكيدة بأصول السومريين وموطنهم الأصلي الذي وفدوا منه إلى العراق سواء بالعودة إلى لغتهم التي تتميز عن غيرها بالجذر اللفظي، أو للجنس والطراز الجسماني من حيث أشكال الجمجمة أو الأنف بحيث كشفت الحفريات عن أشكال جماجم متشابهة مع ما أنتجه نحاتيهم، إلى غير ذلك، فإن الكثير من الآراء تجعل الجزم بأصولهم أمراً مستبعداً، سواء الرأي الذي يرى أنهم من جبال أرمينية وإيران، أو من الغرب الإيراني أو من منطقة بين الهند وأفغانستان[٣].

إلا أنه من المؤكد أن أول إستراتيجية وجغرافية ظفرت بالعراق بعد السومريون هي إستراتيجية الجزيرة العربية؛ بحيث أن الجفاف الذي ساد في مناخ جزيرة العرب في الألف الرابع قبل الميلاد جعل من الصعب على ذلك الخزان البشري الكبير أن يستوعب سكانه بقبائله وشعوبه وهو في أفقر عصوره، ويرى د.محمود عبدالحميد أحمد أن النظرية التي لاقت قبولاً كبيرا من كثير من العلماء أمثال سبرنجر ((Sprenger وموسكاتي (Moscati) ومماير (Myres) وفيلبي (Philby) وغيرهم ((تفترض أن شبه الجزيرة العربية هي مهد الشعوب العربية المهاجرة، إذ من المحتمل أن بعض العناصر البشرية بدأت تهاجر منها إلى أحواض الأنهار في بلاد الرافدين وبلاد الشام منذ العصر الحجري القديم، وقد عزا أصحاب هذه النظرية أسباب الهجرات البشرية من شبه الجزيرة العربية إلى حلول الجفاف التدريجي فيها، إذ أن كل الشواهد والدراسات العلمية تؤكد أن شبه الجزيرة العربية كانت منطقة مطيرة خلال عصر البلايستوسين، ولكن مناخها أخذ يتجه نحو الجفاف التدريجي ابتداء من العصر الحجري القديم الأعلى، وقد نتج عن ذلك، اختفاء كثير من الأنهار والآبار، واختفاء العديد من الواحات، وهجرة بعض السكان إلى المناطق الخصبة في بلاد الرافدين وسورية))، بل إن شبرنجر يرى أن أواسط شبه الجزيرة العربية لا سيما منطقة نجد، هي المنطقة التي انطلقت منها هجرات الشعوب العربية نحو العراق، وهي المنطقة التي أمدت الهلال الخصيب بالسكان وطبعته بطابعها لأكثر من ألفي عام، ومن تلك المنطقة خرجت موجات متتالية من البشر تتبع الواحدة منها الأخرى، حيث استقرت في بلاد الهلال الخصيب ولا تزال حتى اليوم تحتفظ بنفس الصبغة[٤].

خرجت الهجرات السامية من جزيرة العرب بشكل متتالي، وتكاثرت أعدادها في بوادي العراق والشام قبيل منتصف الألف الثالث ق.م.، وتشعبت إلى فروع كثيرة حتى أصبحوا أكثرية السكان في العراق، وسيواصل سكان

جغرافية جزيرة العرب " حركة الهجرة نحو العراق طوال التاريخ كله " بموجات أو طبقات متلاحقة، تتفاوت في اختلافها عن الجذع الأصلي بمقدار تطورها في الزمن(٥).

وقد ساح بعض تلك الهجرات في الهلال الخصيب في سوريا، في حين اجتذب الخصب في العراق البعض الآخر؛ حيث يجري نهري دجلة والفرات، فالآموريون حسب الكتابات السومرية كانوا من الشعبة الأولى، أما الجماعات الثانية فقد كان أشهرها الآكاديين والذين جاؤوا عن طريق التسلل البطيء في بداية الأمر قبل أن يستولوا على وسط العراق ببطء شديد في ظل انشغال المدن السومرية بالاقتتال فيما بينها، و قد انتقلوا من مرحلة التعايش إلى استيعاب الحضارة ثم السيطرة على المدن الهامة، وحتى تكوين دولة أو دول سامية كبيرة مستقرة في العراق.

وكان سرجون الآكادي الذي كان يخدم عند أحد الملوك المحليين قد تمكن من توحيد جنوب العراق من الخليج العربي إلى لبنان وأنطاكية والأناضول، بحيث جعل هذا الرجل من حكمه نقطة تحول رئيسية في تاريخ العراق، إذ كان أول من فكر في توحيد العراق وبلاد النهرين قاطبة بعد أن كان السومريون لا يفكرون إلا في حدود سومر وحدها، إلى جانب أن سرجون كان أول من ثبت دعائم أسرة سامية حاكمة قوية حكمت العراق لمدة قرن ونصف، حيث أسس مدينة بابل شعب سامي بدوي يعود إلى أرض أمورّو أي بلاد الغرب على حدود العراق من سوريا، وهو شعب لم يعرف البيوت – قبل تأسيس تلك الدولة – كما تشير النصوص (٢٣٤٠-٢١٨٠ق.م.)(٦).

وكانت بابل عاصمة سرجون الآكادي تتمتع بموقع فريد من نوعه جعلها قادرة على أن تصبح عاصمة لدولة كبرى فترى مارغريت روتن أنها لوقوعها على الطريق النهري الكبير الذي يشكله نهر الفرات؛ كانت تربط بابل بسوريا وبالبحر المتوسط، كما كانت تتصل من جهة أخرى من خلال تلك الطريق بآسيا

الصغرى وببلاد فارس، وتشرف على الطريق التي توصل كرمنشاة عبر جبال زغروس[٧]، ويذكر ديلابورت أن سرجون كما تشير بعض النصوص أن سرجون بنى أسطولاً وحمل جيشه بحراً لضم دلمون (أرض البحرين)، وأنه قاتل (ممثلي الإستراتيجية الإيرانية) مملكة عيلام في أرضهم في معركتين وانتصر عليهم وعاد ومعه كثير من الأسلاب[٨].

وترى مارغريت روتن أن هذا الشعب السامي البدوي عند استيطانهم لأرض بابل، قدموا الدليل على مدى فهمهم لمعنى الحكم، فقد أرسوا قواعد إدارة منظمة واتخذوا ما يلزم من الإجراءات الضرورية لتحقيق عظمة مملكتهم[٩]، وبمعنى آخر فقد أثبتت جغرافية جزيرة العرب أنها أول الجغرافيات الثلاث رغبة في التحفز والحفاظ على مصالحها بالعراق، بحيث أنها سبقت إستراتيجية إيران والدردنيل (الأناضول آنذاك) في أرض العراق.

الإستراتيجية الإيرانية لأول مرة بالعراق:

(الحقبة الجوتية – العيلامية)

على أن التهديد الأولي لإستراتيجية وجغرافية جزيرة العرب لم يأت من الداخل فحسب؛ بل جاء من إستراتيجية إيران أو تحديداً من الجبال الشرقية أو الشمالية الشرقية لإيران (الجوتيين)، بحيث استباحوا البلاد وزالت الدولة الآكادية حيث تلاها عصر " لم يكن يعرف أحد فيه الملك من غير الملك " كما يقول نص سومري[١٠].

كان ذلك هو التحدي الأول لإستراتيجية وجغرافية جزيرة العرب من إستراتيجية وجغرافية إيران، حيث أن الجوتيين خضعوا في بداية الأمر للأكاديون واستكانوا لجبروتهم، وبدأوا يتعلمون من جيوش الأكاديون أساليب الحرب المنظمة وعتادها، كما بدأوا يتحينون الفرص للانقلاب عليها، حتى

فرضوا وجودهم شيئاً فشيئاً على معظم أجزاء الدولة الأكادية، ويبدو أنهم طبعوا إستراتيجية إيران منذ عهدهم وحتى التاريخ المعاصر بالوحشية والدموية التي اختصت بها تلك الإستراتيجية على مر العصور، وقد وُصِفوا من قبل أحد الأدباء السومريين بأنهم " وحوش الجبال الذين فتكوا بالسكان واغتصبوا النساء من أزواجهم وسلبوا الأطفال من أمهاتهم، وعملوا على فساد الحكم ونهبوا سومر ونقلوا كنوزها معهم إلى الجبال "[١١].

وقد ظهرت قوة أخرى من الشرق أي من قبل الإستراتيجية الإيرانية أيضاً، هددت سومر وأكاد و هم العيلاميون أو مملكة عيلام جيران العراق من الشرق، والذين كانوا أشد عنفاً ووحشية، إذ بدأوا وفق إستراتيجية أرض فارس للاستيلاء على العراق، مستكملين لما قام به الجوتيين الذين آثروا الاستقرار بكركوك شمال العراق ثم ذابوا بحضارة بلاد النهرين، ولكن العيلاميون لم يستطيعوا السيطرة على أور عاصمة العراق - التي قامت بعد سقوط آكاد قبيل القرن الحادي والعشرين ق.م. - إلا من خلال تعاونهم مع الأموريون سكان صحراء العراق من الغرب؛ بحيث أصبحت أور بين فكي كماشة، وهنا تمكن العيلاميون من احتلال أور[١٢].

وهذا هو الدرس الأول للإستراتيجية الإيرانية التي سيحاول ملوك إيران عبر العصور اعتمادها في كل مرة للسيطرة على العراق في المستقبل. بحيث أن الإستراتيجية الإيرانية كثيراً ما لجأت إلى التحالف مع قوى محلية بالعراق أو حلفاء لهم ضد العراق يكونون ممن يعيش غرب العراق.

في حدود عام ٢١٧٠ق.م. بدأت " حرب أجناس " كما يصفها ديلابورت لأكثر من سبعين عاماً، وكان الصراع يستهدف سهول العراق الغنية التي جهد العيلاميون؛ ممثلي الإستراتيجية الإيرانية لتملكها، ورغم أنهم حققوا انتصارات خلال تلك الفترة إلا أن ملوك بابل تمكنوا من هزيمتهم في حدود عام ٢٠٩٤ق.م.[١٣].

ولكن لم يمض وقت طويل من الصراع بين الإستراتيجيتين (جزيرة العرب وإيران) حتى تمكنت شعوب الأموريون بالتعاون مع سكان العراق الأصليين من طرد العيلاميون واتخذوا من مدينة بابل عاصمة لهم في عام ١٨٨٠ق.م. وظلوا يوسعون ممتلكاتهم على حساب العيلاميون حتى جاء أشهر الملوك البابليين الساميين حمورابي في عام ١٧٢٨ق.م. وتمكن من طرد أعدائه بشكل نهائي من جنوب العراق؛ بل وسيطر على الصحراء الغربية للعراق واعترفت آشور بنفوذه، كما لاحق العيلاميون إلى عمق بلادهم واحتل معظم الجبال الشمالية والشمالية الشرقية من الحدود بين العراق وإيران[١٤].

ولم يضعف البابليون مع ضخامة الغزوات الهندو- آرية على جنوب ووسط العراق إلا والآشوريون وهم من الجنس السامي يسيطرون على أجزاء واسعة من العراق خاصة شماله، بينما ظل العيلاميون في أرض فارس يمنون أنفسهم بالعودة إلى أرض العراق من جديد، ويرى بعض المؤرخين أن هؤلاء العيلاميون قد تسللوا ودخلوا كعمال ومرتزقة إلى العراق وأحياناً كان تسللهم يتخذ شكلاً من أشكال قطاع الطرق أو الغزو، ويرى وينهايم أن " قدرة البابليين على صد عيلام تمثلان خير مثل على الحنكة والدهاء السياسي لبلاد بابل "، ومع ذلك فقد تمكنوا في بعض الأحيان من تدمير مدينة بابل غير أنهم في تلك الفترة — وكعادة الإستراتيجية الإيرانية - سلبوا كنوزها وعادوا بها لعاصمتهم سوسة بما في ذلك نصب سرجون الآكادي ونصب تشريعات حمورابي وغيرها[١٥].

ولعله إثر موجة الهجرة أو الغزو الهندو-آرية للعراق والذي سيطر على الأحداث والصراعات مع الساميين هناك لقرون عديدة؛ بحيث انشغل الساميون بمقاومتهم والصراع معهم، فقد أعقبها هجرات جماعية جديدة من قبل جغرافية جزيرة العرب، ففي حدود ١٤٠٠ق.م. شهدت بوادي الشام والعراق - وهي الامتداد الطبيعي للهجرات السامية والعربية حتى العصور الحديثة — تحركات سامية أخرى اتجهت بأطماعها وفق مصالحها نحو الهلال الخصيب

منذ القرن الرابع عشر ق.م. وبدأت تجمعات تلك الشعوب والقبائل السامية بالتجمع فيما بين الفرات الأوسط وشرق ووسط وغرب سوريا؛ بحيث بدأت تفرض نفسها على أطراف الدولة الآشورية في حدود القرن الثالث عشر ق.م.؛ بل وتعدت بنفوذها نهر الفرات إلى داخل العراق؛ مما أقلق الدولة الآشورية السامية نفسها، بحيث أنها رأت أن هذه الشعوب والقبائل السامية لم تقنع بالحياة القبلية والرعي من أطراف العراق، كما لم يكتفوا بالتسلل إلى مواطن الحضارة والمدنية والخصب والعمران، وإنما الأخطر من ذلك أنهم بدأوا بالتكتل في إمارات محلية أطلق عليهم الآشوريين لقب الأراميون ورغم الحروب التي شنتها آشور ضدهم، غير أن هجرات الأراميون ظلت مستمرة خاصة على حساب المدن الخاضعة للشعوب الهندو- آرية المهاجرة إلى العراق[١٦].

إستراتيجية الجزيرة العربية تستعيد حيويتها:

(الحقبة الآشورية)

في وقت ظل الآشوريين في عصرهم الأوسط في حدود القرن الحادي عشر ق.م. لا يسيطرون على العراق فحسب؛ بل على كل منطقة الشرق الأدنى من العراق إلى أرمينية وشرق آسيا الصغرى (الأناضول)وشمال سوريا ولبنان وصيدا والصحراء السورية والعراقية، وظلت آشور في العصر الآشوري الحديث كذلك تتبادل الحروب مع الآراميين الذين تحضروا في بعض المناطق، وإن ظلوا أصحاب براري كم تصفهم بعض النقوش الآشورية، بيد أن آشور في عصرها الحديث من ٩٣٢-٦١٢ق.م. سيطرت على الشرق الأدنى أو آسيا الغربية من الخليج العربي وحتى أرمينيا من جبال إيران المتاخمة للعراق من الشمال والشرق فالصحراء السورية وصولاً إلى آسيا الصغرى وجبال طوروس والإمارات الأرامية في وسط وغرب سوريا حتى موانئها البحرية؛ مع "السيطرة

الكاملة على الطرق التجارية والحربية التي تتجه غرباً إلى الشام حيث المجد... ووفرة المنتجات... والمخارج البحرية "[١٧].

وخلاصة القول أنه ماعدا هجمات العيلاميون من قبل أرض فارس؛ فإن جغرافية إيران قد انحسر تأثيرها عن أرض العراق لصالح الهجرات السامية (جغرافية جزيرة العرب)، وبشكل حاسم عبر عصور العراق ما بين ٢٤٠٠ق.م. وحتى ٦٠٠ق.م.، ولم تتمكن من التدخل المؤثر باتجاه تغيير الأوضاع بالعراق؛ عدا قيامها بمناصرة بعض ملوك بابل الثائرين ضد سلطة آشور ولفترات قصيرة للغاية، ولعل نقوش سنحاريب الآشوري كانت تسخر من خضوع الملك البابلي الذي نعته النص بـ " العبد " وأنه فتح كنز هيكل مردوخ الإله وزوجته، وأخذوا منه ذهب وفضة لتقديمه لملك عيلام الإيراني " وهذا يؤكد الأسباب والأهداف الاقتصادية وراء محاولات الإستراتيجية الإيرانية المتكررة لغزو أو السيطرة على العراق[١٨].

وفي نفس الوقت نجد أن جغرافية الدردنيل لا تزال بعيدة عن أن تنافس أو تصارع جغرافيتي الجزيرة العربية وإيران على العراق في تلك العصور، حيث كانت منشغلة في عالم أوروبا وأفريقيا الشمالية ولم تتجه للشرق بعد، لقد سيطرت إستراتيجية وجغرافية جزيرة العرب على العراق والشام عبر عصور التاريخ باعتبارهما مناطق حيوية قصوى لسكان جزيرة العرب.

في مطلع القرن الثامن ق.م. بدأت القبائل العربية — السادة الجدد لجزيرة العرب - بقيادة الملك جندب العربي والملكة أريبي والملكة زبيبي أو زبيبة والملكة سمسي أو شمس العربيات؛ بدأت تظهر في النقوش الآشورية وهم يقاتلون الآشوريين على إبلهم أو يقيمون تحالفات لغزو بلاد آشور، أو يحاولون الاقتراب من حدود دولة آشور، بحيث كما يبدو أن جزيرة العرب قد فُرِّغَتْ من الساميين لصالح آخر الشعوب السامية وهم العرب؛ الذين فيما يبدو ومع بداية القرن التاسع ق.م. قد ظهروا على مسرح التاريخ؛ ليمثلوا ابتداء من ذلك التاريخ

جغرافية جزيرة العرب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إن شاء الله، فقد بدأ العرب يهددون بنو عمومتهم الساميين في العراق لأن العراق تظل في نظر جغرافية وإستراتيجية جزيرة العرب لها الأهمية القصوى بالنسبة لسكان الجزيرة العربية ومصالحهم.

ولعل جغرافية إيران ظلت تحلم باستمرار بالعراق، ذلك الفردوس المفقود الذي لم تنل منه إلا القليل، وفي الوقت الذي جرى تغيير في السلالة الحاكمة الآشورية وجكم شروكين الثاني (سرجون الثاني) على العرش الآشوري، فإن بعض ملوك الأسر الحاكمة القديمة بالعراق قد اضطرت إلى الاستنجاد بالقوات العيلامية؛ وذلك حين استنصر أحد ملوك الأكاديين الثائرين بالقوات العيلامية لاستعادة بابل من آشور، كما تعاونت شعوب إيرانية أخرى مع ملوك آخرين بالعراق ضد الآشوريين، حيث بدأ هؤلاء الحلفاء الإيرانيين ((يعملون لحسابهم ويحطمون من بقي على الولاء لآشور من جيرانهم))، وكانت جغرافية إيران تلعب وتتبنى مثل هذه التحالفات من أجل تحقيق المصالح الإستراتيجية لإيران في بلاد العراق، حيث ((استخدم العيلاميون كل من الكلدانيين والبابليين للقيام بدور مخلب القط في بعض مراحل العداء)) ضد آشور والعراق، ولكن مع ذلك فإن العيلاميون كانوا يأتون إلى العراق في غزوات لمدة قصيرة فقط[١٩].

ولكن الآشوريين بعد أن فرغ سرجون الثاني من تدمير مملكة نابلس اليهودية و أعاد بناء المدينة على أسس عمرانية جديدة، فإنه قد رأى استجلاب العرب كأبناء عمومة للآشوريين، وقام بتوطين مجموعات من العرب البدو في نابلس بعد أن أسر من فيها من اليهود، ثم توجه لتأديب ملوك العراق المحالفين لإيران، ولعل هذا الحادث إلى جانب سياسات الملك البابلي – فيما بعد (نابونهيد) – تثبت كم أصبح مصير العراق في مواجهة الإستراتيجية الإيرانية معلقا بما كان ينتظره زعماء العراق – آنذاك – من مساعدات بشرية (ديموغرافية) وعسكرية من إستراتيجية جزيرة العرب لهم لمواجهة أعدائهم في

العراق وفلسطين، فإذا كان الدرس الأول هو استخدام بعض أبناء العراق من قبل الإستراتيجية الإيرانية " كمخلب قط والذي أصبح سياسة ثابتة للإستراتيجية الإيرانية عبر العصور؛ فإن الدرس الثاني للإستراتيجية الإيرانية هو التعاون الإيراني مع أعداء العراق من الغرب.

وحين توجه سرجون الثاني إلى بابل ترك العيلاميون الإيرانيون ملك بابل الأكادي وحيداً أمامه، حيث تمكن سرجون الثاني من مد حكمه لكامل العراق من شماله إلى جنوبه، وظلت دولة آشور وهي المنبثقة من رحم إستراتيجية وجغرافية جزيرة العرب تعادي إستراتيجية وجغرافية إيران إلى أبعد مدى، وقد ظل العيلاميون أربعة قرون يمدون الكلدانيين ضد الآشوريين بالدعم ويوفرون لهم ملاذاً آمناً من إجراءات التأديب الآشورية لمنعهم من تهديد مصالحهم بالعراق، بل إنها قامت بهجوم سريع ومباغت على وسط العراق وأسروا ابن سنحاريب المنصب ملكاً على بابل ونصبوا ملكاً صنيعة لهم، ولذا فقد اضطر سينا خريب أو سنحاريب إلى نقل الأخشاب لصناعة أسطول بحري؛ إلى جانب نقل بعض السفن عن طريق البر في حين قام صناع من صور وصيدا وقبرص ببناء بقية السفن – ربما على ضفاف شط العرب - لينشئ أول أسطول بحري آشوري خلال عام كامل من أجل تعقب أحد الملوك المتعاونين مع ملوك عيلام الإيرانيين، حيث عبروا به الخليج نحو الشاطئ الإيراني لتدمير خصومهم، ومن ناحية ثانية فقد قام سينا خريب بتدمير مدينة بابل تدميراً كاملاً وأغرقها بمياه الفرات عام ٦٨٩ق.م. لأسباب ذكرها في أحد النقوش الآشورية:كان من أهمها من وجهة نظر آشور أن بابل قد ((باعوا الفضة والذهب والأحجار الكريمة منه إلى عيلام))[٢٠]، مما يعني أن الآشوريين كانوا يرون أن بيع هذه المعادن الثمينة من المحرمات التي استحقت بابل بسببها التدمير الكامل، وفي نفس الوقت يوحي إلى أن آشور كانت تفرض على إيران حصاراً اقتصادياً يشمل أهم سلع ذلك العصر.

ولعل العداء بين عراق آشور (التابعة لإستراتيجية جزيرة العرب) وبين عيلام الإيرانية قد بلغ مداه في عهد آشور بانيبال؛ حيث أن السياسة الناجحة الوحيدة التي تمكن من خلالها آشور بانيبال تدمير الإستراتيجية الإيرانية هي: تفريق أسرتها الحاكمة إلى فريقين حتى أنهكتها الحروب الأهلية، وكان لتدخل الآشوريين ما يزيد لهب نار تلك الحرب من خلال تأليب الفريقين على بعضهما، حتى جاءت النهاية السياسية لعيلام على يد جيوش آشوربانيبال فدمر عاصمتها سوسة تدميراً شاملاً واستولى على كل كنوزها، وهو ما فعله العيلاميون ببابل حين سلبوا كل ممتلكات بابل المالية والكنوز من الذهب والآثار في نهاية القرن الثاني عشر ق.م.، ولكن هذا النصر الكبير الذي حققته آشور على عيلام في عام ٦٤٤ق.م. كان فيه الكثير من الخطر على العراق ذلك أن مملكة عيلام كانت تقف حاجزاً بين العراق وبين القبائل الإيرانية البدائية، وبعد تدمير عيلام أصبح على آشور أن تتعامل مع تلك القبائل المخربة مباشرة[٢١].

منافسة الإستراتيجية الإيرانية لمثلي جزيرة العرب بالعراق (الحقبة الكلدانية)

ضعف الآشوريون وبضعفهم ستضعف إستراتيجية جزيرة العرب من حيث قدرة قبضتها على الإمساك بمصالحها بالعراق، يبدو أن إستراتيجية جزيرة العرب في تلك الحقبة لم يتمكنوا من تطبيق الدروس التي تعلموها في العراق: فقد كان الدرس الأول لإستراتيجية جزيرة العرب هو الحصار الاقتصادي لإيران وقت الحرب خصوصاً والتي كانت دائماً هجومية من قبل إيران ودفاعية من قبل العراق، أما الدرس الثاني: فهو الضرب بيد من حديد على يد أبناء العراق ومنعهم من التعاون مع الإستراتيجية الإيرانية، أما الدرس الثالث: فهو استخدام مبدأ " فرق تسد " لمنع وحدة إيران تحت مظلة حكومة واحدة لتظل إيران ضعيفة؛ ونتيجة لهذا الضعف؛ فقد عصفت بهم أسباب

داخلية وخارجية جعلت البابليين والكلدانيين وبدعم من الماذيون الإيرانيون والذي أطلق عليهم الإغريق اسم الميديين – وهم فرع من الفروع الإيرانية ذات الأصل الآري – من بناء اقتصادهم بعد قيامهم باستغلال الجبال الجنوبية لإيران والغنية بمعادنها وأحجارها الكريمة، وتمكنوا من إعلان حرب كبيرة على آشور، خاصة بعد أن تم طرد الحامية الآشورية من مصر وقيام ثورات على آشور ببلاد الشام.

قاد زعيم الماذيين هواخشير أو (كيخسرو) تحالفاً من القبائل الماذية الإيرانية إلى جانب العراقيين الجنوبيين من البابليين والكلدانيين الحاقدين على العسكرية الآشورية وقسوتها؛ بحيث تحالفوا مع عدوهم الماذيين ضد دولة آشور العراقية بالشمال والوسط من العراق، وتمكن هذا الحلف من تدمير عاصمة آشور نينوى تدميراً عنيفاً عام ٦١٢ق.م.، وقد اعترفت الوثائق البابلية أن هذا الجهد في النصر والتدمير كان من نصيب الماذيين العتاة، ليس في تدمير نينوى فحسب؛ بل في اجتياح الأقاليم العراقية التي رفضت الاعتراف بالوضع السياسي الجديد الذي أعقب سقوط المُلك السامي الآشوري وتدمير نينوى، أو التي رفضت الاعتراف بالملك البابلي الجديد حليف إيران (صنيعة إيران)؛ بحيث دمروا حتى المعابد العراقية، ويذكر النص البابلي هذا الاجتياح الإيراني بقوله ((إنهم اكتسحوا ما فوقهم وما تحتهم وما على يمينهم ويسارهم، وكانوا كإعصار الفيضان))، ولم يكن في وسع الحليف أو العميل البابلي إلا السكوت في سبيل القضاء على الغول الآشوري أو على وصف تعبير النصوص البابلية أن الملك البابلي الحليف لإيران ((لم يجد أمامه إلا أن يرسل شعره مهوشاً دون تمشيط ويؤثر النوم على الأرض دون المضاجع، تدليلاً على براءته من انتهاك حرمة المعابد على أيدي حلفائه))[٢٢]. لقد كانت ثروة وغنى الشعوب السامية المستقرة في وسط وشمال العراق تثير حسد وشهوة أولئك البدو العيلاميون في إيران، مما يجعلهم يؤيدون المتمردين على السلطة هناك[٢٣].

المواجهة الأولى بالعراق بين إستراتيجيتي إيران والدردنيل:

(حقبة الليديون):

كان جزء كبير من أهداف هذه الحرب الطويلة ذات أسباب اقتصادية بين آشور العراقية من جهة وبين الإيرانيون وحلفائهم العراقيين في جنوب العراق من جهة أخرى، حين انسحبت فلول المقاومة الآشورية، بعد أن أحرق ملكهم نفسه في عاصمتهِ؛ نحو حرَّان في شمال العراق، وكانت حران عصباً رئيسياً لأحد طرق التجارية الكبيرة بين بلاد النهرين، بل إن أحد معاني اسمها يعني الطريق، ورغم النجدات المصرية لبقايا فلول آشور إلا أن الهجمة الإيرانية وحلفائهم العراقيين (وهو الدرس الأول للإستراتيجية الايرانية) كانت أعتى من أن تبقي آشور في حران، فاضطروا إلى الانسحاب منها وإخلائها ليدخلها الماذيون والبابليون، وبعد ثلاث سنوات انتهت المقاومة الآشورية؛ بعد أن أثبتوا أنهم أعنف قوة عسكرية منظمة شهدها تاريخ الشرق القديم حتى عصرهم[٢٤].

يبدو أن التاريخ كان يرسم أو يشهد آنذاك سيناريو سيتكرر حدوثه بين عصر وآخر، فقد قويت بابل من جديد واعتلى عرشها نبوخذ نصر، وسلطه الله على مملكة أورشليم؛ بعد أن كان الملك الآشوري سرجون الثاني قد قضى على مملكة نابلس، وقام بنفي سكانها اليهود قاطبة وهم من عشرة أسباط من أسباط بني إسرائيل وأسكنهم حسب سياساته آنذاك في مواقع متفرقة من مملكة آشور ليمنع قدرتهم على الثورة مرة أخرى، ولا يعرف أبداً إن كانوا ظلوا أحياءاً واندمجوا مع بقية شعوب الأرض أم تم فناؤهم على يد الآشوريون أو شعوب الأرض الذين سكنوا بأرضهم، ولا يزال البروتستانت وخاصة الإنجليز يبحثون عن أين ذهب الأسباط العشرة.

هذا السيناريو سيكون على الدوام عداءاً مستحكماً بين العراق واليهود بفلسطين وهو الدرس الرابع للإستراتيجية العربية بالعراق، يكون نتيجته

استغلال الإستراتيجية الإيرانية لصداقة اليهود أو اليهود وحلفائهم من أجل تدمير العراق وإستراتيجية جزيرة العرب بالعراق أو من يمثلونها؛ لصالح الإستراتيجية الإيرانية، وقد أثبت التاريخ رسوخ هذا التحالف الإيراني اليهودي ونجاحه في حالات عديدة متشابهة خصوصاً بعيد تغلب القومية الفارسية على بقية القوميات الأخرى الإيرانية.

ماجت الهضاب الإيرانية المجاورة للعراق كإعصار مدمر من خلال " تحركات قبائل فتية عاتية أصرت على أن تفرض نفسها على عصرها فرضاً، وأن تبدأ فيه من حيث انتهى غيرها "، في وقت كانت الدولة الماذية قد سيطرت على شمال وشرق العراق مستفيدة من الطرق التجارية هناك لدعم اقتصادها، ثم اتجهت غرباً نحو آسيا الصغرى حتى وصلوا إلى نهر هاليس في آسيا الصغرى، ثم تصادمت مع دولة ليديا هناك والتي تمتزج بها حضارة الغرب بالشرق، وقد انحازت مملكة بابل العراقية في حرب الماذيين مع الليديين إلى حلفائهم الإيرانيين[٢٥]، مما يعني أن جغرافية وإستراتيجية إيران كان لها الغلبة في العراق آنذاك في حدود ٥٩١ ق.م ولعلنا نقول أنه منذ ذلك العصر ركزت الإستراتيجية الإيرانية على ضرورة أن يتبعها الجزء الجنوبي من العراق بحيث يأتمر سكان تلك المناطق بأمر قادة الإستراتيجية الإيرانية وهو كما ذكرنا الدرس الثاني للإستراتيجية الإيرانية.

وبينما كانت إستراتيجية جزيرة العرب تقاوم بضعف كبير— أو في الساعات الحرجة الأخيرة من المعركة – عن مصالحها بالعراق من خلال بقايا الساميين في بابل، ونجدات العرب لهم في الجزيرة العربية، فإن إستراتيجية الدردنيل قد بدأ الإيرانيون باستجلابهم من خلال استفزازهم نحو الصراع على العراق، ولم تنتهي الحرب بين الطرفين إلا بحدث فلكي كبير حين كسفت الشمس كسوفاً كلياً، وأظلمت الدنيا في وضح النهار وكان أحد العلماء الإغريق قد تنبأ بدقة في هذا الكسوف مسبقاً بينما ذعر الماذيون والليديون واعتبروا

الحدث نذير شؤم في وقت صادف هذا الحدث أحد أيام السنة السادسة للحرب بين الطرفين (٢٨ مايو ٥٨٥ ق.م.)، بحيث توسط ملكي بابل وقلقيلية (كيليكيا) بينهما وفي وقت آذنت مملكة الماذيين بأن تطوى صفحتها.

وعلى أنقاض مملكة الماذيين قام بيت مالك جديد من قبائل الفرس يعتقد هذا البيت المالك أنه أعرق وأكثر أصالة من الماذيين إذ أن والدة ذلك الملك كانت ابنة آخر الملوك الماذيين بحيث تمكن من توحيد المعارضين لملكة ماذي والقضاء عليها عام ٥٥٥ق.م، حيث بدأت أسرة بيت حاكم جديد لإيران أسمها الأسرة (الهخامنشية) أو كما أطلق عليها الأخمينية والتي يطلق عليها الدولة الفارسية الأولى يدفعها اعتزاز عنصري وقومي جديد بنسبها ولديها طموحات كبيرة، فقد وصف الملك قورش نفسه يقول ((أنا ابن قمبيز الملك العظيم..حفيد قورش الملك العظيم ملك أنشان... من أسرة ملكية دائماً)) كما وصف أحد ملوكهم نفسه بقوله ((أنا ابن الملك دارا الهخامنشي، فارسي بن فارسي، آري من نسل آري))(٢٦).

يبدو أن معاصري هذه المملكة الأخمينية قرأوا توجهاتها القومية العنيفة وأقلقهم هذه النهضة الفارسية – الإيرانية؛ مما استدعى تشكيل تحالف دولي ضدها شمل كل من بابل وليديا ومصر وإسبرطة الإغريقية، وكانت ليديا في آسيا الصغرى التي تبدو أنها تمثل إستراتيجية الدردنيل؛ إلى جانب مملكة إسبرطة الإغريقية؛ حيث كانت تطل بممتلكاتها على بحر إيجة أكثر دول التحالف تخوفاً من الإستراتيجية الإيرانية، ولهذا فقد أعلنت الحرب مبكراً حتى قبل وصول القوات المتحالفة الأخرى للانضمام إلى جيشها الغازي لأطراف المملكة الأخمينية، ولكن المفاجأة أن سحقت الجيوش الفارسية بطوفانها القوات الليدية قبل وصول حلفائها ولاحق قورش الفارسي جيوشها إلى عاصمتها التي قام قورش بتدميرها وأسر ملكها(٢٧)

وقد كان هذا ثاني استفزاز من قبل الإستراتيجية الإيرانية لإستراتيجية الدردنيل في العراق، كما كان أول محاولة من قبل الأخيرة (ليديا)أن تجرب غزو العراق لرد أخطار الإستراتيجية الايرانية؛ وهو الدرس الذي تعلمته إستراتيجية الدردنيل جيداً.

إستراتيجية جزيرة العرب في آخر طاقتها بالعراق في العصور القديمة:

لم تكن إستراتيجية فارس وهي في أوج قوتها تطوق العراق من شماله وشرقه بمثل هذه الانتصارات العظيمة والمقلقة، إلا لتشكل هاجساً مخيفاً لإستراتيجية الجزيرة العربية وممثليها بالعراق دولة بابل الجديدة، والتي يحكمها معاصر قورش بُعَيد وفاة نبوخذ نصر ببضعة سنوات واسمه (نابونهيد) والذي لم يكن من بيت بختنصر نفسه، ويبدو أن إستراتيجية جزيرة العرب وممثليها بالعراق قد وجهوا سياساتهم إلى ركيزتين: الأولى: وهي التركيز على التجارة والاقتصاد لتقوية دولة بابل العراقية وجيشها في وجه الفوران العسكري الذي تشهده إستراتيجية فارس.

وفي الوقت الذي تظاهر نابونهيد بمجاراة قورش ومحالفته حتى ضد الماذيين حلفاء بابل بالأمس من قبيل المثل القائل " مكرهاً أخاك لا بطل "؛ فقد كان هذا التحالف المؤقت بسبب أن وافق قورش الفارسي على أن تستعيد بابل حران التي ينتهي بها الطريق التجارية من السيطرة الماذية مقابل وقوفه إلى جانب قورش ضدهم، أما الركيزة الثانية: فهي أن نصَّب نابونهيد ولي عهده حاكماً على عاصمته بابل، واتجه بجيشه إلى شمالي جزيرة العرب؛ حيث دومة الجندل وتيماء حيث اعتبر الأخيرة – أي تيماء - مركزاً له، وذلك لاستنهاض إستراتيجية جزيرة العرب لإنقاذ العراق، ورغم الإجراءات العسكرية البغيضة والقسوة التي تعامل بها مع أهالي المنطقة، إلا أن هدفه كان الاستنجاد بإستراتيجية وجغرافية جزيرة العرب كآخر حل ممكن لدرء أخطار إستراتيجية

إيران عن العراق[٢٨]، وذلك من خلال عاملين، أما الأول فهو الاستفادة من العنصر السامي البشري – ذلك الوسط البدوي العربي القوي - لتغذية جيشه بالمزيد من الرجال الأقوياء من خلال قوات فتية يحيي بها مجد دولته ويستعد بها لمعركة تبدو قريبة مع الفرس الطموحين، أما الثاني فقد كان الهدف من تيماء هو أيضاً السيطرة على الطريق التجارية المارة بتيماء من الحجاز واليمن؛ حيث ينقسم الطريق في تيماء والتي كانت " بؤرة عظيمة للتجارة في الشمال " من جزيرة العرب فقد كانت متصلة مع بابل عن طريق دومة الجندل بطريق مباشر؛ كما كانت تتصل بمصر عن طريق معان فالعقبة فسيناء بحيث يتفرع طريق آخر من معان إلى البتراء و بصرى[٢٩].

إن هذه الطرق نحو العراق إلى الشمال الشرقي عبر دومة الجندل، ونحو الغرب حيث البحر المتوسط، حيث ينقسم بدوره إلى طريقين قسم شمالاً نحو بصرى وتدمر والشام نحو العمق السوري، وقسم إلى الساحل نحو العقبة فالعريش ففلسطين (غزة) ومصر تجعل تيماء في ذلك العصر عقدة تجارية هامة، وهنا جاء اهتمام نابونهيد بها وذلك للانتفاع باقتصادياتها، كما وسع دولته إلى سوريا من حماة إلى أدوم وغزة، ولكن نابونهيد لم يكن موفقاً حيث أن جميع سياساته باءت بفشل ذريع، فإجراءاته بتيماء ولدت نقمة عليه في تلك المنطقة، كما أن سياسات ولده في بابل أدت إلى فقرها وضعفها وفساد إدارتها، وقد كان هذا هو الوضع السياسي لدولته في عام ٥٤٥ق.م.؛ مع إعلان قورش الفارسي مشروعه لضم الهلال الخصيب لدولته تنفيذاً لإستراتيجيته؛ متهماً الملك البابلي بأنه ((تسبب في قتل نبلائه وبتعطيل طرق التجارة بمشروعاته التوسعية الفاشلة))؛ وهو يرمز بذلك إلى محاولات ممثل إستراتيجية العرب بالعراق نابونهيد إلى تغيير الطريق التجاري وتفعيل طريق التجارة من الشرق عبر اليمن وجزيرة العرب من خلال عقدة التجارة بتيماء، وهو ما يضعف الطلب على التجارة الفارسية؛ كما يشكل ضربة اقتصادية كبرى لبلاد فارس،

ويفسد الخطة الفارسية لخنق بابل اقتصادياً، وهو يشبه ما حدث في أواخر القرن العشرين حين قامت إيران بخنق العراق ومنعه من تصدير نفطه من خلال جنوب العراق؛ فاضطر إلى تصدير تجارته النفطية من خلال أنابيب البترول إلى ينبع القريب من تيماء، مما يؤكد أن العامل الاقتصادي إلى جانب العامل القومي كان أهم أسباب الصراع على العراق بين الإستراتيجيتين في ذلك العصر، ورغم صمود الملك البابلي ومحاولته لتشكيل حلف كبير لصد الهجوم الفارسي غير أن الحالة الاقتصادية والدينية والعسكرية لبابل لم تكن قادرة على الصمود أمام الطوفان الفارسي[٣٠].

فهزم الملك البابلي أمام قورش الذي دخل بابل بمساعدة اليهود أو السبي اليهودي ببابل، والذين هللوا للمنتصر الفارسي وتشفوا بالمنهزم البابلي[٣١].

وسواء كان الملك الفارسي مدفوعاً بحبه لزوجته اليهودية إستير بحيث استسلم لرغباتها في تدمير بابل وإعادة اليهود إلى فلسطين[٣٢]، أم أن قورش رأى في اليهود شعباً مستضعفاً ينشد الاستفادة من قوة المملكة الأخمينية لتحقق لهم أغراضهم السياسية بحيث أصبحوا عيوناً له ضد أعدائه بالمنطقة، إلى جانب رغبته في تحقيق إستراتيجيته في العراق والشرق الأدنى عموماً، فإن هذا التحالف التاريخي سيجعل الإستراتيجية الإيرانية تلجأ له كثيراً في سبيل دعم مصالحها بالمنطقة عموماً وبالعراق خصوصاً، فمنذ عهد قورش الفارسي الذي تعاون مع اليهود – السبي اليهودي في بابل – لتدمير حضارة العراق ودولة العراق، وضم العراق لجغرافية إيران مقابل إعادة اليهود إلى أورشليم القدس في عام ٥٣٨ق.م.، بحيث أعطى الملك الفارسي قورش الإذن لليهود بالعودة إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل (الثاني)[٣٣]؛ فقد أصبحت الإستراتيجية الإيرانية تتطلع دائماً إلى أعداء العراق في الغرب للقضاء على العراق؛ وهنا فقد انحسرت إستراتيجية جزيرة العرب وممثليها بالعراق من خلال العنف وسياسة

التطهير العرقي التي اتسمت به سياسة إستراتيجية إيران عبر العصور؛ مما جعل إستراتيجية إيران وإستراتيجية الدردنيل وجهاً لوجه.

المواجهة الثانية بالعراق بين إستراتيجيتي إيران والدردنيل:

(الحقبة الأخمينية- اليونانية)

بعد قورش حكم فارس ابنه قمبيز ٥٣٠- ٥٢١ق.م. وتمكن من المضي قدماً في إستراتيجية فارس ليس في العراق والشرق فحسب، بل مضى بعيداً بأهدافه نحو مصر واجتاز الدردنيل ووصل الفرس إلى ضفاف نهر الدانوب بأوروبا بعد أن هزموا اليونان[٣٤]، لقد طمع الفرس بثراء المدن الأيونية التي تقع على بحر إيجة، بعد سيطرتهم على طرق التجارة القادمة من الشرق، والتي كانت التجارة أشهر المهن التي يشتغل بها سكانها، كما تتبعوا المدن والجزر الهامة بثرائها كجزيرة باروس إحدى جزر الكيكلاد حيث أنها تشتهر بمناجم الذهب[٣٥].

وكان اليونانيين هم حراس الإستراتيجية الأوروبية أو ما أطلقنا عليه في هذا البحث اسم " إستراتيجية الدردنيل "، بحيث كان هذا الفوران والطوفان الإيراني (الفارسي) لم يأت ليحقق أهدافاً إستراتيجية لفارس سواء على المدى القريب أو البعيد؛ وإنما كان فوراناً أدى إلى نتيجة واحدة مهمة هو أنه استفز إستراتيجية أوروبا لتضع في حسبانها الدرس الأول الذي استفادته في الصراع مع الإستراتيجية الإيرانية وهو أن الخطر الأكبر على أوروبا سيأتي دائماً من البوابة العراقية، كما استطاعت إستراتيجية الدردنيل أن تطور أهدافها على أساس أن حماية إستراتيجيتها تكمن في احتلال بلاد الشام لحماية والحفاظ على أمن أوروبا.

لقد بدأت الإستراتيجية الإيرانية تؤصل سماتها التي اتصفت بها عبر العصور منذ ذلك الزمن من خلال سياساتها؛ فقد ضيّق الفرس على اليونان في

تجارتهم والتي أصيبت بالشلل التام منذ احتلال المدن الساحلية على بحر إيجة، بل إن مساعدة الفرس للفنيقيين على حساب اليونان كمنافسين للتجارة اليونانية جعل التجارة اليونانية تصاب بخسارة فادحة، كما كان الإيرانيين (الفرس) عنيفين ودمويين في تعاملهم مع المدن الإغريقية؛ فقد قاموا على سبيل المثال بتخريب مدينة ميليتوس وقتلوا معظم رجالها، وفرضوا العبودية على نسائها وأطفالها وكذلك فعلوا مع مدينة إريتريا حين استعبدوا جميع سكانها وأحرقت المعابد والبيوت[٣٦]، ورغم الدور الذي قامت به اسبرطة وأثينا في مقاومة الهجوم الإيراني وتمكنهما من صده فإن التصرفات البربرية حسب رأي اليونانيين بالفرس – والتي قام بها الفرس جعلت اليونانيين يعملون على توحيد بلادهم على يد فيليب ملك مقدونيا ٣٥٦ق.م.- ٣٣٦ق.م. والذي بعد أن درب جيشه جيداً أعلن خطته في تنفيذ فكرة الانتقام من إيران(فارس) التي سيطرت على قادة الإغريق منذ عام ٤٠١-٤٠٠ق.م.

مما جعل الإغريق يتوحدون خلف فيليب والذي رغم أنه أعلن مشروعه وعزمه على المغامرة إلا أن خليفة الملك اليوناني الإسكندر المقدوني هو الذي وضع تلك السياسة على رأس أولوياته وهي محاربة الفرس والانتقام منهم، فعبر الدردنيل على رأس جيش كبير نحو الأناضول يتقدم جغرافية وإستراتيجية الدردنيل، حيث استولى على الأناضول ملحقاً الهزيمة تلو الأخرى بجيوش فارس التي كانت قد وصلت في الدانوب إلى آخر مدها، ويبدو أن الفرس قد أفاقوا من سكرة انتصاراتهم، فعرض الملك دارا على الإسكندر بعد هزيمته في معركة إيسوس عام ٣٣٣ق.م. تسليمه كامل الجزء الغربي من إمبراطوريته حتى نهر الفرات، ولكن الإسكندر رفض ذلك العرض، وتابع الجيش الفارسي المنهزم حتى الأراضي السورية فدمشق ثم صور فالقدس فمصر ثم عاد إلى سوريا فالعراق حيث دارت معركة فاصلة مع الجيش الفارسي في موقع (كونكيله) شمال أربيل سحق بها الجيش الفارسي(الإستراتيجية الإيرانية) ثم

واصل فتوحاته حتى سواحل الهند وجبال الهملايا، ثم عاد إلى بابل لتنظيم هذه الأملاك والفتوحات الواسعة ولكنه توفي هناك عام ٣٢٣ق.م. لقد كان ((فتح الأسكندر الكبير لفارس وقضاؤه على الإمبراطورية الفارسية الأولى هو الذي مهد السبيل للامتداد الشرقي للعالم الأغريقي))[٣٧]. وبهذا فقد هزمت الإستراتيجية الإيرانية هزيمة ساحقة أمام إستراتيجية الدردنيل ليس بالعراق فحسب؛ بل في الهضبة الإيرانية نفسها.

المواجهة الثالثة بالعراق بين إستراتيجيتي إيران والدردنيل:

(الحقبة الساسانية - البيزنطية)

بعد سنوات طويلة حكم قادة الأسكندر المقدوني (السلوقيين) العراق، ظل العراق بعيداً عن السيطرة الإيرانية كما ظل حلم تلك الإستراتيجية وفردوسها المفقود، حتى جاء عهد الإمبراطور جستنيان؛ حيث تكالبت الأعداء على الإمبراطورية البيزنطية من كل جانب؛ فمن ناحية الشمال جاء الصقالبة، ومن الغرب ظهر خطر القوط الشرقيين والغربيين والممالك الجرمانية، ومن الشرق ظهر من جديد خطر الفرس (الإستراتيجية الإيرانية)، وحيث كان خطر الوندال على أفريقيا كبيراً فقد اضطر إمبراطور القسطنطينية إلى توقيع معاهدة صلح مهينة مع العدو الإيراني على أبواب الحدود الشرقية.

وكانت إيران قد حدث فيها تغيير في السلالة المالكة في عام ٥٣٢م حيث حكمهم ملك جديد هو كسرى أنوشروان بن أردشير، وكانت لديه طموحات بناء إمبراطورية كبرى، واضطر الإمبراطور البيزنطي أن يدفع للفرس جزية سنوية ضخمة اعتبرت مهينة للإمبراطورية البيزنطية، وكانت هذه المعاهدة إلى أجل غير مسمى، وكان جستنيان يرى ضرورة القضاء على خطر الوندال وتهديدهم للممتلكات الإفريقية لبيزنطة أولاً، ورغم تشكك القيادة البيزنطية في نجاح خطة

نقل الجيش البيزنطي إلى هناك بحراً والقضاء على خطر الوندال، إلا أن المعاهدة مع الفرس جعلت ذلك أمراً ممكناً وتم نقل الجيش البيزنطي بحراً من الشرق إلى الغرب؛ مما ترتب عليه أن أصبح الشرق مكشوفاً أمام الإستراتيجية الإيرانية (العدو الفارسي الذي سيصبح عدواً تقليدياً لبيزنطة)(٣٨).

كانت العراق منطقة حيوية للإمبراطورية الفارسية فالمدائن بنيت على ضفاف دجلة إلى الشمال الشرقي من بغداد الحالية، وكانت إستراتيجية وجغرافية إيران ترى أن أرض العراق هي من الأهمية القصوى بمكان بالنسبة للإستراتيجية الإيرانية بحيث أنها أصبحت مركز إيران نفسها، ولعل وجود العاصمة الفارسية على أرض العراق هو أكبر دليل على الأهمية الحيوية لأرض العراق بالنسبة لفارس، ولعل الوجود الفارسي بالعراق والوجود البيزنطي ببلاد الشام يجعل الاحتكاك بين إستراتيجية وجغرافية أوروبا والدردنيل من جهة وإستراتيجية وجغرافية إيران من جهة أخرى ليس وارداً فحسب، بل ومتوقعاً في كل لحظة، خاصة وأن أطماع كسروية فارس باستعادة أمجاد قورش قد تجددت آنذاك، إلى جانب تاريخ حافل بالعداء والحروب على الحدود بين الإمبراطوريتين.

كان كسرى أنوشروان يتميز بالذكاء والمهارة، واستغل مغامرة الإمبراطور البيزنطي في غرب الإمبراطورية، وغياب الجيش البيزنطي عن الشرق، وصعوبة نقله قبل تحقيق إيران انتصارات يصعب على بيزنطة مواجهتها، ومستغلاً استنجاد القوط الشرقيين به، فنقض معاهدة الصلح الدائمة مع بيزنطة، وبدأ حرباً كبيرة وعداء سافراً ضد الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، وانطلق الجيش الفارسي نحو الغرب حتى البحر المتوسط وأنطاكية ذات الأهمية الإستراتيجية والدينية والديموغرافية والاقتصادية لبيزنطة، ثم اندفع الجيش الفارسي شمالاً نحو البحر الأسود وأمام هزائم بيزنطة اضطر جستنيان إلى عقد معاهدة مهينة أخرى لمدة خمس سنوات مقابل دفع جزية كبيرة، ولكن في

نهاية المطاف سئم أنوشروان الحرب فوقع معاهدة لمدة خمسين عاماً مع بيزنطة وتضمنت المعاهدة شروطاً خاصة بالجزية التي تدفعها بيزنطة لفارس إلى جانب شروط دينية واقتصادية تجارية وانسحاب فارس من شرق البحر الأسود، غير أن الإمبراطورية الفارسية قد سيطرت على الشرق الأدنى بينما أفل نجم بيزنطة في تلك المنطقة(٣٩).

وبهذا النصر فقد تمكنت إستراتيجية وجغرافية فارس من السيطرة والاستئثار على أرض العراق الغنية والمهمة بالنسبة لها، وتمكنت من إبعاد شبح خطر إستراتيجية وجغرافية الدردنيل وأوروبا المتمثلة في هذا العصر ببيزنطة.

لقد كان العراق مهماً للإستراتيجية الإيرانية وإستراتيجية الدردنيل البيزنطية؛ بحيث أنها من خلال الملاحة النهرية في دجلة والفرات تتحكم بممرات التجارة العالمية آنذاك، فقد كانت تجارة أوروبا مع الشرق كلها سواء كانت مع الصين أو الهند وأغلى السلع وأندرها تمر إلى القسطنطينية من خلال العراق في الغالب؛ مما جعل العاصمة البيزنطية تتحول إلى وسيط تجاري بين الشرق والغرب، ولذا فإن سيطرة الفرس أيضاً على العراق جعله بمقدوره أن يصبح وسيطاً بين الشرق وبيزنطة نفسها فضلاً عن التحكم بتجارتها مما جعل الفرس يحرزون أرباحاً هائلة من تلك التجارة وذلك من خلال الطريق البري الذي يطلق عليه طريق الحرير من الصين إلى شمال الفرس عبر بخارى، أو من خلال الطريق البحرية التي كانت السفن التجارية الصينية تصل به إلى سيلان ثم تتمكن السفن الفارسية من حمله نحو مصب شط العرب ومن خلال دجلة والفرات يتم نقلها إلى المواقع التجارية التي حددتها المعاهدة، ولذلك فقد نصت المعاهدة التي وقعت بين الطرفين عام ٥٦٢م على أنه يتحتم على التجار الفرس والبيزنطيين ألا يباشروا تبادل تجارتهم إلا في مواضع معينة حيث يجري تحصيل الرسوم للدولتين(٤٠).

ولعل هذا ما يفسر محاولة بيزنطة إقامة حامية عسكرية بالقرب من أيلة (العقبة) لتحصيل المكوس ونقل تجارة الشرق من خلال فلسطين وسوريا، إلى جانب التحالف مع الحبشة من أجل احتلال اليمن لفك الطوق التجاري الذي أحكمه الفرس عليها في تجارة الشرق أي أن إستراتيجية الدردنيل قد حاولت الاستفادة من سياسة إستراتيجية جزيرة العرب في حربها الاقتصادية مع الإستراتيجية الإيرانية وبالخصوص من تجربة نابونهيد الذي حاول أن يفك الحصار الاقتصادي للإستراتيجية الإيرانية بنقل مركز دولته من بابل بالعراق إلى تيماء بشمال جزيرة العرب لفتح خطوط تجارية جديدة بعيدة عن سيطرة الإستراتيجية الإيرانية والسيطرة وإدارة وتشغيل تجارة اليمن مع الهند والصين من خلال تلك العقدة التجارية الهامة (تيماء)، كما يفسر ما قام به الفرس من احتلال بلاد اليمن كاحتلالها لبلاد العراق وذلك من أجل التحكم بالطرق التجارية المباشرة بين الشرق والغرب، بحيث أنها أكملت الطوق على بيزنطة بما يشبه الحصار الاقتصادي بأهم السلع التجارية الواردة من الشرق كالحرير والتوابل والعطور والقطن والأحجار الكريمة.

لقد كانت التجارة العالمية تتأثر بقوة بالعلاقات بين الإستراتيجيتين في العراق (إستراتيجية إيران وإستراتيجية الدردنيل) ذلك البلد الذي يعطي لإستراتيجية إيران الحياة، ولأن القرن السادس الميلادي قد شهد من الحروب بين بيزنطة وفارس بحيث غطت معظم عقوده، فقد تأثرت التجارة بين الشرق والغرب وتعرضت إلى خسائر فادحة.

وسنلاحظ أن إستراتيجية الجزيرة العربية تنزوي منطوية ومتقوقعة على نفسها فالعراق أصبحت ميداناً للإستراتيجية الإيرانية وظل العرب التبابعة ومن بعدهم المناذرة وبقايا الساميين مجرد أتباع خاضعين أو موالين للجبروت الكسروي[٤١]، بل لحق الضيم العرب في عقر دارهم اليمن؛ بحيث خضعوا للأحباش حلفاء بيزنطة ثم للفرس من بعدهم، وبهذا فإن إستراتيجيتي إيران

والدردنيل ستجدان في الشرق الأدنى ملعباً لتبادل الانتصارات العسكرية والسياسية فيما بينهما في ظل مرحلة السبات الكبير لإستراتيجية جزيرة العرب في تلك المرحلة.

وقد ذهبت سياسات جستنيان كلها سدى لمحاولات التطويق والاحتواء للإمبراطورية الفارسية (الإستراتيجية الإيرانية) من خلال تكوين تحالفات مع الأتراك في أواسط آسيا لنقل الحرير إلى بيزنطة بعيداً عن بلاد فارس، ولكن تلك الطريق كانت برية طويلة وشاقة وكثيرة الأخطار لذلك لم تنجح، وكانت روما – قبل بيزنطة – قد حاولت السيطرة على اليمن من خلال حاكم مصر الروماني، ولكن تلك الحملة حملة جلوس ٢٤ق.م. للسيطرة على طريق التجارة وما أسمته تطهير البحر الأحمر من القراصنة، قد فشلت فشلاً ذريعاً وأصيب رجالها بكارثة خيبت آمال الرومان، فعدلوا عن فكرة ضم بلاد العرب عسكرياً، واقتصرت خططهم على السيطرة على التجارة البحرية فحسب[٤٢].

وإلى جانب ذلك حاولت بيزنطة كخلفاء لنفوذ روما في الشرق إلى اصطناع مملكة أكسوم بالحبشة والتحالف معها بوصفهم دولة مسيحية من أجل جعلهم وسطاء تجاريين لتوابل الهند وسلع الصين من خلال طريق التجارة مع بلاد العرب والهند نحو شمال القلزم (البحر الأحمر)، وقد فشل الأحباش في منافسة التجار الفرس هناك، كما أدت هذه المنافسة إلى مغامرات حبشية؛ وإن اصطبغت تلك المغامرات وخاصة الاحتلال الثاني منها؛ بأهداف دينية إلا أن أهدافها الاقتصادية كانت واضحة – لاحتلال اليمن - وذلك في عام ٥٢٥م أعقبها طرد النفوذ الحبشي من اليمن لصالح النفوذ الفارسي؛ بحيث تم إحكام الطوق على بيزنطة وتمكنت الإستراتيجية الإيرانية من خلال سيطرتها على العراق من هزيمة بيزنطة، بل والسيطرة على طرق التجارة حتى عصر هرقل الذي أدرك أن الفرس أصبحوا أصحاب السلطان الفعلي على سواحل البحر المتوسط والبحر

الأحمر وتجارة التوابل والحرير، وأنهم قد تمكنوا من خنق اقتصاد حليفتهم مملكة أكسوم الحبشية أيضاً[٤٣].

في هذا العقد من القرن السادس الميلادي بدأ العالم بالتميُّز إلى قسمين قسم مؤمن بالله على ما لديه من مغالطات دينية كبيرة للديانة التوحيدية التي نزلت على عيسى عليه السلام تقوده بيزنطة، وفريق وثني يقوده الفرس، ورغم أن جامعة أثينا كانت - وهي مركز الفلسفة اليونانية – تمثل آخر معاقل الوثنية في أوروبا، فقد قام جستنيان بإغلاق جامعة أثينا ومضايقة علمائها من خلال نفيهم ومصادرة ممتلكاتهم؛ بحيث أدى هذا القرار إلى انهيار تلك الجامعة وفقدت أثينا نفسها أهميتها الثقافية وأصبحت كمدينة ضئيلة الأهمية؛ وكان ذلك كله يصب في مصلحة جامعة القسطنطينية، فاضطر فريق من فلاسفة جامعة أثينا إلى الارتحال إلى فارس كمركز عالمي كبير وقائد للوثنية، فرحبت بهم فارس، وفي الوقت الذي رحبت كسروية فارس بالوثنية العالمية واليهود، حيث كانت بيزنطة تقوم أيضاً باضطهاد الطائفة اليهودية إلى جانب الطائفة الوثنية في بلدانها.

وكان اليهود قد قاموا بثورات ضد بيزنطة في فلسطين، ودمرت معابدهم وأجبر ما تبقى منهم على تلاوة التوراة باليونانية في المعابد، ولعل الفرز قد ساد بين المجتمعات العالمية نحو الانقسام الديني هذا حتى أوائل القرن السابع الميلادي بحيث سيشارك اليهود والوثنيين مع الفرس أمانيهم، كما سيتشارك الموحدون أو أصحاب الديانات السماوية المسيحية والإسلامية عداءهم للحزب الآخر[٤٤].

شهدت الإمبراطوريتين تغييرات جذرية على صعيد القيادات في العقد الأخير من القرن السادس الميلادي، فقد حكم كسرى الثاني أبرويز فارس، بمساعدة وتأييد الإمبراطور موريس آخر سلالة جستنيان؛ بحيث كافأ بيزنطة بالتنازل الطوعي من خلال معاهدة ٥٩١م عن أرمينيا الفارسية والإقليم الشرقي

من الجزيرة العراقية بما في ذلك مدينة دارا الهامة، إلى جانب إعفاء بيزنطة من الجزية، في حين حدثت ثورة للجند بقيادة فوكاس أحد القادة العسكريين وأطاح بآخر سلالة جستنيان موريس و مثل بجثته، مما جعل كسرى يعلن حرباً ضروساً على بيزنطة في مطلع القرن السابع ٦٠٢-٦١٠م بحيث أشرفت بيزنطة على الانهيار[٤٥].

ولعل الصداقة التي ربطت كسرى الثاني (أبرويز) بموريس الذي ساعده على الوصول إلى عرش فار س جعل كسرى الثاني يصمم على الانتقام من قاتليه واسترجا ع ما منحه طواعية لموريس، واخترق خطوط الدفا ع البيزنطية في وقت كانت الإمبراطورية البيزنطية تعاني من أشد حالات ضعفها بسبب الحروب الداخلية إلى شفا الانهيار، بحيث أنها افتقرت إلى الموارد كافتقارها إلى العزيمة، مما جعل الهزائم تتوالى عليها؛ فاستولى كسرى على دارا سنة ٦٠٥م التي كان قد تنازل عنها طوعاً لبيزنطة في وقت سابق، ثم نفذ إلى آسيا الصغرى، و هوجمت بيزنطة من الصقالبة والآفار، وازدادت الثورات عنفاً في البلقان، وأصبحت بيزنطة في مهب الريح، لولا أن هرقل قد أعلن الثورة في أفريقية وانضمت إليه مصر، بحيث وصل أسطوله أمام القسطنطينية في أكتوبر ٦١٠م.

ومع ذلك فقد استمر الفرس في اكتساح الشرق الأدنى من ممتلكات بيزنطة وفي العام التالي لتولي هرقل كإمبراطور لبيزنطة ٦١١م؛ حيث استولوا على أنطاكية ودمشق وطرسوس وأرمينية، ولكن تحولت الحرب السياسية إلى حرب دينية حين قام الوثنيون الفرس ومعهم اليهود باحتلال القدس وتدميرها وإحراق المدينة بما فيها كنيسة القيامة بما تمثله من رمزية للديانة المسيحية، واستولوا على صليب الصلبون والذي يعتبر أثمن المقدسات المسيحية، ونقلوه إلى عاصمتهم اكتسيفون (المدائن) كعادتهم بمقدسات بابل التي نقلوها إلى عاصمتهم سوسة، ولعل اليهود في فلسطين وجدوها فرصة للانتقام من أعدائهم

المسيحيين إلى جانب حلفائهم التاريخيين الفرس بحيث قاموا بالسلب والنهب والمذابح.

ولعل هذا الهجوم الفارسي الوثني - للإستراتيجية الإيرانية- قد نتج عنه نتائج كثيرة أهمها انقسام العالم إلى قسمين قسم يتبع الديانات السماوية وهم المسيحيون البيزنطيون ومن في فلكهم إلى جانب المسلمين من قريش كديانة سماوية موحدة حيث عايرهم وثنيو قريش بانتصار الوثنية على الديانات السماوية، كما حزن المسلمون لانتصار الفرس الوثنيون، مع أن الهزائم البيزنطية – من جانب آخر – قد أعطت الجرأة للعرب - بعدئذ - لمهاجمة الممتلكات البيزنطية ذاتها، وازدادت الكوارث على بيزنطة بين ٦١٢-٦١٩ م حيث تم للفرس احتلال آسيا الصغرى حتى مضيق البسفور مقابل القسطنطينية ثم احتلال مصر، وبلغت الحرب بين إستراتيجية الدردنيل وإستراتيجية إيران مداها ونهايتها للمرة الثانية، ولكن فجأة انهارت قدرات إيران العسكرية بشكل فاق في السرعة والشدة ما حدث لانهيار بيزنطة، فقد عمل هرقل إلى إصلاح عسكري شامل، بحيث كان هذا التغيير سبباً في انتصارات باهرة حققتها بيزنطة، إذ نهضت بيزنطة من جديد، وما لبث الجيش الفارسي أن تعرض لهزيمة ساحقة[٤٦].

وبهذا فقد تمكن القيصر هرقل من إعادة تماسك الدولة البيزنطية، وتمكن من إعادة تسليح جيشها، وكان هرقل قد أمضى وقتاً جيداً في تدريب جيشه في آسيا الصغرى ودراسة الخطط العسكرية، كما قام بعكس ما قام به الإمبراطور جستنيان بحيث وقع معاهدة مع الآفار ودفع لهم جزية كبيرة وبعض الرهائن مقابل أن يسمحوا له بنقل جيشه من أوروبا إلى الشرق لمحاربة إيران.

لقد استفزت إستراتيجية إيران إستراتيجية الدردنيل وأجبرتها على أن تعود من جديد نحو الشرق والعراق،كما فعلت بالإسكندر المقدوني إبان الإمبراطورية الأخمينية الفارسية، وقد تمكن هرقل من اختيار أرض المعركة؛

بحيث أجبر الجيش الفارسي على الانسحاب من مواقعه الدفاعية في آسيا الصغرى نحو أرمينيا خلف الجيش البيزنطي، حيث حقق هرقل أول انتصار ساحق حرر آسيا الصغرى من أيدي الجيش الفارسي، حيث عاد هرقل لعاصمته لتجديد المصالحة مع الآفار عام ٦٢٣م، بيد أن كسرى الثاني لم يستطع قراءة الأحداث، ورفض إقرار الهدنة التي طلبها هرقل، وأرسل له خطاباً ملئ بالشتائم للديانة المسيحية، فأجبر ذلك هرقل على الخروج من عاصمته إلى أرمينيا من جديد؛ ثم اتجه إلى جانزاك المدينة الإيرانية ذات الطابع الديني والتي تعتبر عاصمة أردشير أول ملوك السلالة الساسانية الفارسية، ففر منها أبرويز (كسرى الثاني) فسقطت بيد هرقل فخربها وأحرق معابدها كما فعل الفرس ببيت المقدس.

ورغم المصاعب العسكرية التي واجهت هرقل في عامي ٦٢٤و ٦٢٥م ورغم أن عام ٦٢٦م كان أكثرها صعوبة حين تحالف أعداء بيزنطة من جديد الآفار والفرس حتى تمكن الفرس من الوصول إلى البسفور من جديد، إلا أن هزيمة الآفار جعل الجيش الفارسي الرئيسي يتراجع بدون نظام إلى الشام؛ بينما هُزم جيش فارسي آخر على يد أخي هرقل، وتمكن هرقل عام ٦٢٧م من التوجه مباشرة لقلب بلاد عدوه، وفي نينوى بالعراق حدثت المعركة الحاسمة التي قررت مصير الصراع بين إستراتيجيتي لإيران والدردنيل؛ حيث انتصر هرقل انتصاراً باهراً، وهزم الجيش الفارسي هزيمة ساحقة وتعرض لخسارة فادحة، وفي أول عام ٦٢٨م دخل هرقل داستاجرد مقر كسرى التي فر منها، وفي تلك الأحداث المخيبة لآمال راسمي الإستراتيجية الإيرانية حدث تمرد داخلي وعزل كسرى وقتل على يد ابنه قباد شيرويه، والذي عقد الصلح مع هرقل.

واستردت بيزنطة ممتلكاتها السابقة بالجزيرة العراقية شمال العراق - وهو الشيء نفسه الذي سيتكرر في عام ١٥١٤م مع إسماعيل الصفوي _

وأضافت إليها أرمينيا، وبهذا فقد استردت إستراتيجية الدردنيل إلى جانب الجزيرة العراقية فلسطين وسوريا ومصر، ووصل الهوان بإستراتيجية إيران أن أوصى كسرى شيرويه في مرضه الذي مات فيه أن هرقل هو الوصي على ابنه معلناً أن ابنه ووريثه عبداً للإمبراطور البيزنطي، وبعد عودته إلى عاصمته ارتحل من جديد إلى الشرق مع زوجته لإعادة الصليب المقدس إلى موضعه في عام ٦٣٠م، لقد انتصر معسكر الديانات السماوية على الوثنية مثلما نزل في القرآن في سورة الروم؛ بحيث اعتبر المسلمين أن هذا رداً على فرحة قريش بانتصار الفرس الوثنيين على بيزنطة قبل بضعة سنين، ولعلنا نشير هنا إلى أن السلام قد عم العلاقات بين إستراتيجيتي الدردنيل وجزيرة العرب في العصور القديمة عدا حالات قليلة في التاريخ؛ ولعل هذا التضامن الجديد بين إستراتيجية جزيرة العرب والدردنيل مع بداية الديانة الإسلامية هو أمر غريب ونادر في التاريخ، إذ لن يستمر هذا التضامن أو المشاركة بفرحة النصر لإستراتيجية الدردنيل إلا لسنوات قليلة جداً بينما انطبعت إستراتيجيتي جزيرة العرب والدردنيل بالعداء المطلق سواء كان على مستوى العراق أو الصراع الحضاري بشكل عام(٤٧).

لقد مهدت هذه الحرب الضروس بين الإستراتيجيتين لإيران والدردنيل الأرض في بلاد الشرق الأدنى - العراق وبلاد الشام ومصر - الأرض لإستراتيجية جزيرة العرب التي ستبدأ بعد سنوات قليلة غزوها للعراق كمنطقة تعتبر امتداد طبيعي لجزيرة العرب وأهلها منذ مئات السنين.

كان العرب قوة نائمة وراء كثبان الصحراء، ولم يكن قد آن أوان خروج هذا المارد العملاق من قمقمه آنذاك، حتى زاد غرور الفرس وكسرى أبرويز – المشار إليه - وداس كسرى الملك العربي النعمان بن المنذر ملك المناذرة تحت أرجل الفيلة عام ٦٠٤م، فثأر العرب في معركة ذي قار عام ٦٠٩م من كسرى وجيوشه التي تلقت أول هزائم النكبة التي ستتوالى على فارس الوثنية، ولعل

تصرفات كسرى العنيفة ضد العرب بدون مبرر؛ ما هي إلا نتيجة لتوقعات الإستراتيجية الإيرانية بصحوة عربية باتت على الأبواب، حيث جاء الإسلام ليخضعها نهائياً تحت لوائه.وانكفأت الدولة البيزنطية تدافع عن بقائها في الأناضول، كان ذلك هو الصراع الحضاري الأول حول العراق بين إيران (كسروية فارس) وجزيرة العرب ومضيق الدردنيل وبحر إيجة أو قل القسطنطينية سابقاً إستانبول حالياً.

تبادل الصراع على العراق بين الإستراتيجيات الثلاثة :

لم تلبث إستراتيجية الدردنيل إلا القليل في العراق، ورغم استعادة إستراتيجية إيران لنفوذها لفردوسها الثمين؛ فإنها ظلت تتخبط وتنتظر فقط القوة التي تطيح بها خارج العراق، في وقت كانت الدردنيل لا ترى كثير اهتمام بالعراق ذاته – آنذاك - أكثر من أنه يشكل نهاية الطريق التجاري الذي ينتهي بحران بشمال الجزيرة العراقية، بينما ظلت إستراتيجية جزيرة العرب تتحفز نحو العراق؛ وكانت قد بدأت القبائل العربية تتسلل نحو جنوب العراق شيئاً فشيئاً وتكون ممالك كمملكة المناذرة، والتي رغم خضوعها لكسرى؛ إلا أنها بدأت تتحفز نحو الثورة مستغلة تجييش المشاعر العربية ضد المظالم الفارسية سواء كانت تلك المظالم ضد العرب بشكل عام؛ حيث نزع كسرى سابور الثاني أكتاف خمسين ألف عربي حتى أطلق عليه "ذي الأكتاف "؛ أم ما فعله خلفه كسرى أبرويز ضد النعمان بن المنذر ملك المناذرة العربي بالعراق بشكل خاص حيث قتل عام ٦٠٤م؛ فتمكن ممثلي جزيرة العرب بالعراق من هزيمة الجيش الفارسي لأول مرة في عام ٦٠٩م،[٤٨].

ثم جاء تصرف كسرى فارس بتمزيقه لرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وبشارة الرسول لأصحابه بتمزيق ملك كسرى ليصب في رفع الروح المعنوية للعرب المسلمين؛ بل وحتى والي كسرى باليمن باذان أسلم وانضم

لدولة الرسول صلى الله عليه وسلم حين أبلغ الرسول عليه السلام رسل باذان بمقتل كسرى على يدي ابنه(٤٩)، ومن هنا تأتي ثاني الوثبات التي قامت بها إستراتيجية جزيرة العرب نحو العراق أمام إستراتيجيتي إيران والدردنيل لتسيطر إستراتيجية جزيرة العرب على العراق بشكل نهائي بين عامي ١١هـ - ٣٢٠هـ، فيما أطلقنا عليه حقبة المدينة المنورة.

هوامش الفصل الأول

١. د.عبدالعزيز صالح . الشرق الأدنى القديم مصر والعراق . مكتبة الأنجلوالمصرية . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٧٩م . ص٣٧٤

٢. ل.ديلابورت . بلاد مابين النهرين الحضارتان البابلية ولآشورية . ترجمة محرم كمال . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . الطبعة الثانية . ١٩٩٧م .ص ٢٦

٣. جورج كونتينو . الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور . ترجمة سلبم طه التكريتي وبرهان التكريتي . دار الشئون الثقافية العامة . بغداد . الطبعة الثانية . ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م . ص ١٥؛ د. عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص٣٨٥- ٣٨٧

٤. محمود عبدالحميد أحمد . الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربيةوبلاد الرافدين والشام إلى مصر طلاسدار . دمشق . الطبعة الأولى . ١٩٨٨م . ص٥١ . ص٤٥-٥٥

٥. جان بوتيرو . بلاد الرافدين الكتابة -العقل – الآلهة . ترجمة الأب ألبير أبونا ، دار الشئون الثقافية العامة . بغداد . الطبعة الأولى . ١٩٩٠م . ص ٩٤.

٦. هنري ساغس . جبروت آشور الذي كان . ترجمة د. آحو يوسف. ص٣٤-٣٥؛ د.عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص٤١٣-٤١٦؛ مارغريت روتن . تاريخ بابل . ترجمة زينة عازار و ميشال أبي فاضل . منشورات عويدات . بيروت . . باريس .الطبعة الثانية . ١٩٨٤م . ص٢٩

٧. المرجع نفسه . ص٢٧

٨. ديلابورت . المرجع السابق . ص٣٤

٩. مارغريت روتن . المرجع السابق . ص٢٩

١٠. د.عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص٤٢٢-٤٢٣ .

١١. المرجع نفسه. ص ٤٢٢

١٢. المرجع نفسه . ص ٤٤٣

١٣. ديلابورت . المرجع السابق . ص٤٨

١٤. د. عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص٤٥٦-٤٥٨

١٥. ليوا وينهايم . . بلاد مابين النهرين . ترجمة سعدي عبدالرزاق . دار الشئون الثقافية العامة . بغداد . الطبعة الثانية . ١٩٨٦م . ص٤٨؛ د. عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص ٤٨٦-٤٨٨

١٦. د.عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص ٤٩٧-٤٩٨

١٧. المرجع نفسه. ص٥٠١-٥٠٢؛ ص ٥٠٨؛ ص٥١٠

١٨. مارغريت روتن . المرجع السابق . ص٣٧ -٣٨

١٩. ليوا وينهايم . المرجع السابق . ص٦١؛ د. عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص ٥١٧؛ ص ٥٢٢

٢٠. هنري ساغس . المرجع السابق . ص١٥٣-١٥٤؛ د. عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص٥١٨؛ ص٥٢٢-٥٢٣

٢١. هنري ساغس . المرجع السابق . ص١٥٤؛ د. عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص ٥٢٤-٥٢٥؛ جورج كونتينو . المرجع السابق . ص٢٣-٢٤

٢٢. د.عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص ٥٤٦-٥٤٨

٢٣. جورج كونتينو . المرجع السابق . ص١٩-٢٠

٢٤.هنري ساغس . المرجع السابق . ص١٧٧؛ د.عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص٥٤٨-٥٤٩

٢٥.المرجع نفسه. ص ٥٥٤-٥٥٥

٢٦.موريس كروزيه . تاريخ الحضارات العام . تأليف . أندريه إيمار . جانين أوابوايه . ترجمة فريد داغر . فـ} اد أبو ريحان . منشورات عويدات بيروت . باريس . الطبعة الثالثة . ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م . المجلد الأول . ص٢١٦؛ د.عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص ٥٥٥؛ ل. ديلابورت . المرجع السابق . ص٦٣.

٢٧.د.عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص ٥٥٦

٢٨.لعل ذلك يشبه إلى حد كبير أنه في وقت ماجت الهضبة الإيرانية بثورة كبرى ضد شاه إيران في وقتنا المعاصر . مع الثورة الخمينية . فقد استقرا صدام حسين خطورة الوضع الذي يمر به العراق وخطورة مشروع الخميني بما أطلق عليه "تصدير الثورة " لدول الشرق الأوسط . مما جعل الرئيس العراقي صدام حسين يزور ملك المملكة العربية السعودية الملك فهد بن عبدالعزيز طلباً لدعمه في حربه التي ينوي أن يخوضها ضد الإستراتيجية الإيرانية.

٢٩.دي لاسي أوليري . جزيرة العرب قبل البعثة . ترجمة :موسى علي الغول . عمان . ١٩٩٠ الطبعة الأولى . ص١١٩-١٢١.

٣٠.ل. ديلابورت . المرجع السابق . ص ٦٤-٦٥؛ د.عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص ٥٥٦-٥٥٧

٣١.د.عبدالعزيز صالح . المرجع السابق . ص ٥٥٧

٣٢.نجيب الأحمد . فلسطين تاريخاً ونضالاً . دار الجليل للنشر . عمان . الطبعة الأولى . آذار ١٩٨٥م . ص٢٤

٣٣.كارين آرمسترونج . الحرب المقدسة .دار الكتاب العربي . . ٢٠٠٤م . بيروت . ص٤٩-٥٠.

٣٤.نجيب الأحمد . المرجع السابق . ص ٢٤-٢٥

٣٥.د. حسن صبحي بكري . الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني . عالم الكتب للنشر والتوزيع . الرياض . الطبعة الأولى . ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م . ص ٦٦ . ص٧٤.

٣٦.المرجع نفسه . ص٦٧ . ص٦٩ . ص٧١

٣٧.المرجع نفسه . ص ٦٧ . ص ٧٦-٨٣ ص١٥٣-١٥٤؛ نجيب الأحمد . المرجع السابق . ص ٢٥-٢٦؛ أرنولد توينبي . تاريخ البشرية . تعريب : نقولا زيادة . الأهلية للنشر والتوزيع . . بيروت . ١٩٨١م . ج١. ص ٣٩

٣٨.د.السيد الباز العريني . الدولة البيزنطية ٣٢٣- ١٠٨١م .دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت. ١٩٨٢م . ص ٦٧. ص٧٠

٣٩.المرجع نفسه . ص٧٥- ٧٦.

٤٠.المرجع السابق . ص٧٦. ص٨٧

٤١.عبدالسلام هارون . تهذيب سيرة ابن هشام . مكتبة السنة . القاهرة . الطبعة السادسة . ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م . ص٢١

٤٢.د. السيد عبدالعزيز سالم . تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام . مؤسسة شباب الجامعة . اسكندرية . ١٩٩٩م . ص١١٤- ١١٦

٤٣.دي لاسي أوليري . المرجع السابق. ص١٣١-١٣٣؛ د.السيد عبدالعزيز سالم . المرجع السابق. ص١٢٠-١٢٦ . ص١٥٠-١٥١؛ السيد أحمد أبو الفضل عوض الله . مكة في عصر ماقبل الإسلام . مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز . الرياض . الطبعة الثانية . ١٤٠١هـ /١٩٨٠م . ص ١٣٠ -١٣٥

٤٤.السيد الباز العريني . المرجع السابق . ص٩٩ . ص ١١٨

٤٥.المرجع نفسه . ص ١٠٤. ص١١٢

٤٦.المرجع نفسه . ص ١١٣ — ١١٤ . ص ١١٨-١١٩ . ص ١٢٣

٤٧.المرجع نفسه . ص١٢٤-١٢٨ .

٤٨.د. جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . دار العلم للملايين . بيروت . دار النهضة . بغداد .الطبعة الثالثة .فبراير ١٩٨٠ م . حـ ٣ . ص ٢٦٨؛ د.السيد عبدالعزيز سالم .تاريخ العرب في عصر الجاهلية .دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت . ١٩٧١.ص ٢٧٦؛ د. شوقي ضيف . تاريخ الأدب العربي . العصر الجاهلي . دار المعارف . القاهرة . الطبعة العاشرة. ١٩٨٢م . ص ٤٧؛ د. عبدالعزيز محمد اللميلم . وضع الموالي في الدولة الأموية . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الثانية . ١٤١١هـ ١٩٩١م . ص ٣٣ . ص٣٥-٣٨؛ د. عبدالمنعم النمر . الشيعة.المهدي.الدروز. تاريخ ووثائق. دار الحرية . القاهرة . الطبعة الثانية . ١٤٠٨هت — ١٩٨٨م . ص ٢٧

٤٩.أحمد محمد العقيلي . الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة . مطابع الشرق الأوسط . الرياض . الطبعة الأولى . ١٤١٤هـ/١٩٩٣م . ص٨٣-٨٤

الفصل الثاني

صــراع الإســتراتيجيات الــثلاث
علــى العـراق فــي العـصر الإســلامي

الفصل الثاني
صراع الإستراتيجيات الثلاث
على العراق في العصر الإسلامي

إستراتيجية جزيرة العرب تستعيد العراق للمرة الثانية :

العصور الإسلامية : (حقبة المدينة المنورة)

لعل الصدمة كانت كبيرة لدى الشعب الفارسي الذي لم يكد يصدق تبديل الأدوار في التاريخ، فالإسلام كان قد حسم - وبشكل جذري ونهائي — الصراع بين الإستراتيجيات الثلاثة لصالح جغرافية وإستراتيجية جزيرة العرب ليس في العراق فحسب؛ وإنما في إيران نفسها وما وراء إيران حتى طريق الحرير في بخارى و سمرقند والأناضول بل وحتى جنوب فرنسا .

ولعلنا نرى مفارقات عجيبة بُعَيد المواجهات الرئيسية بين الإستراتيجيتين بالعراق (إيران وجزيرة العرب) تظهر مدى تفكير رجال كل من الإستراتيجيتين، ففي الوقت الذي نجد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه زعيم إستراتيجية جزيرة العرب؛ يعمل على تأصيل الوجود العربي بالعراق شيئاً فشيئاً .

وقد أمر واليه حين بنيت مدينتي الكوفة والبصرة لتكونا أول مدينتين عربيتين بالعراق، حيث يقول أمير الجيش الذي أمره بالاستقرار بالبصرة عتبة بن غزوان ((إن أمير المؤمنين أمرني أن أنزل أقصر البر من أرض العرب وأدنى أرض الريف من أرض العجم...))، وكما يذكر الطبري أنه قد تم اختيار موقع البصرة ولم يدنو من النهر أي نهر دجلة وإنما حفروا نهراً أوصلوا الماء من

خلاله لموقع مدينتهم، بينما نجد التفكير الإيراني بالتجارة أولاً وقبل كل شيء فقد خسروا العراق ولكنهم استماتوا في السيطرة على طريق التجارة البحري؛ فحصنوا الأيلة على رأس الخليج كميناء في غاية الأهمية بالنسبة إليهم، ووضعوا بها فرقة عسكرية قوية من خمسمائة فارس لحمايتها، لأنها كما يذكر الطبري ((كانت مرفأ السفن من الصين وما دونها،)).

وفي الوقت الذي كان العرب يؤصلون استقرارهم في جنوب العراق الذي كانوا يعتبرونه أول أرض الهند، فقد كان الإيرانيون يراقبون، وبعد شهر من وصول العرب، هاجم الفرس العرب في أول مدينة يريدون بنائها في أرض العراق في العهد الإسلامي، وتمكن العرب المسلمون من طردهم من أيله نفسها في رجب أو شعبان من سنة ١٤هـ[1]، ولعل الدهشة هنا هي في إصرار كسرى على حماية مراكز التجارة كأيلة على رأس الخليج التي فتحها العرب سنة ١٤هـ وجزيرة بركاوان على البر الإيراني من الخليج في الطريق التجاري حيث فتحها شقيق والي البحرين الحكم بن العاص سنة ٢٣هـ[2]، وكان يزدجرد مهتماً بالسيطرة عليهما أكثر من استرجاع عاصمته أو المحافظة على خراسان نفسها.

وفي الوقت الذي هرب كسرى يزدجرد إلى فرغانة من بلاد الترك خطب الخليفة عمر في المدينة قائلاً:((ألا إن مُلك المجوسية قد هلك، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضر بمسلم، ألا وإن الله أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون، فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم))[3].

وأمام هذه الصدمة لم يكن من الشعب الإيراني إلا أن ينقسم على نفسه فمنهم من اندمج بإخلاص في الدين الجديد الإسلام متناسياً كل شيء آخر، وهم قلة قياساً بعدد الشعب الإيراني وإن كانوا كثيرين، ومنهم متردد كأن الأمر لا يعنيه سوى العيش بسلام، ولكن قلّة من المتطرفين الإيرانيين رأوا بأن التغيير

الذي طرأ بعد معركة نهاوند أمر لا يمكنهم استيعابه، وعملوا على حرب الإسلام بطرق يمكنهم ضربه من الداخل.

ولعلنا نتساءل كثيراً حول القرار الذي أمر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن منع على الشباب الإيرانيين وغيرهم بعد بلوغ سن الاحتلام من دخول أو سكنى المدينة فكان رضي الله عنه ((لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة))، وحتى أبو لؤلؤة المجوسي مولى المغيرة بن شعبة لم يدخل المدينة المنورة إلا كنوع من الاستثناء للقرار حين شفع به المغيرة ذاته لأن أبو لؤلؤة المجوسي ((عنده أعمال كثيرة فيها منافع للناس، إنه حداد، نقاش، نجار،))[٤]، لقد كانت حاسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأمنية قادرة على قراءة المستقبل، وما يمثله شعب الهضبة الإيرانية من أخطار على الإسلام والعرب، لذا فإننا نجد أن عمر لم يمنع شباب فارس فقط من دخول المدينة المنورة عاصمة الخلافة؛ بل وصل به الأمر إلى أن يخشى على قادة المسلمين وولاته على الأمصار من الزواج من الفارسيات اللواتي لم يدخلن في الإسلام، وهو ما يشبه منع الدول في عصرنا على شاغلي بعض الوظائف الحساسة بالدولة من الزواج من أجنبيات؛ فقد أمر واليه على المدائن عاصمة كسرى وقد علم أنه تزوج فارسية نصرانية، فكتب له ((إنه قد بلغني أنك قد تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها... فطلقها))[٥].

ولا ندري إن كان من المستغرب أن يظهر فيروز المكنى بأبو لؤلؤة المجوسي بالمدينة المنورة بحجة غريبة، بأنه يجيد العديد من المهن التي قد يفيد بها سكان المدينة العاصمة في ظل نهضة وازدهار عمراني ومالي، إن الحجة التي أدخل بها للمدينة لغريبة حقاً إذ أن ولاة العراق كانوا قادرين أن يأتوا ببعض الموالي أو العرب من ذوي المهن المتعددة دون أن يلجأوا إلى الشباب الذين شملهم قرار المنع لأسباب أمنية أو دينية، إذ أن المغيرة بن شعبة والي الكوفة يعلم بقرار عمر رضي الله عنه بأنه ((لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب إليه

المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده جملة صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويقول إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس... فأذن له أن يرسله))[٦]، فهل حسَّن للمغيرة إرسال هذا الشاب ليقوم بالمؤامرة التي يعد لها الهرمزان في غفلة من المغيرة عن أهدافها البعيدة، أم أن المكاسب المالية وحدها هي التي حفزت المغيرة على إرساله للمدينة بدليل فرضه خراجاً عالياً عليه يتناسب مع ما يمتلكه من مواهب يفترض أن تدر عليه مكاسب كبيرة، أم أن الثراء والغنى الجديد الذي فشا بالعاصمة الإسلامية المدينة المنورة، كان قد جعل الولاة يسعون إلى مد سكانها بما ييسر عليهم سبل الرفاهية الجديدة التي بدأت المدينة تنعم بها؟.

لقد لقي أبو لؤلؤة المجوسي عمر في السوق، فاشتكى مولاه المغيرة بأنه يغالي بالخراج الذي يطلبه منه: ((فقال ياأمير المؤمنين أعني على المغيرة فإن علي خراجاً كثيراً، قال وكم خراجك؟ قال درهمان كل يوم، قال: وأيش صناعتك؟ قال نجار، نقاش، حداد. قال: فما أرى خراجك كثيراً على ما تصنع من الأعمال، قد بلغني أنك تقول: لو أردت أن أصنع رحى تطحن بالريح لفعلت ! قال:نعم.قال فاعمل رحى. قال لئن سلمت لأعملن لك رحىً يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ! ثم انصرف عنه.قال عمر: أوعدني العبد الآن))[٧]، إذاً فلم يكن موقف عمر من شكواه هي الدافع، لقد كان أمرا مبيتاً، وقد فهم عمر رضي الله عنه أن أبو لؤلؤة المجوسي يتهدده بكلامه، ولكن الديموقراطية الحقيقية جعلت من خليفة المسلمين لا يستطيع أن يسجن أو يقتل مجرماً أو إرهابياً قبل أن يدان بفعله رغم أنه قال وهدد قائد الدولة، ثم إن الأولى بالانتقام بالنسبة لفيروز هو المغيرة وليس عمر، لأنه هو الذي اتفق مع المغيرة على هذه القيمة قبل إرساله إلى المدينة، أضف إلى أن عمر المشهور بعدله لو رأى عليه ظلما مجحفاً لأنصفه.

لقد زعم فيروز هذا أنه قادر على صنع رحى كبيرة لطحن الدقيق تشتغل على الطاقة الهوائية (على طاقة الرياح)، ورغم أنه دخل المدينة لمثل هذه

الأغراض؛ فإنه أولاً لم ينفذ أي شيء مما جاء من أجله علناً، ثم اختلق سبباً للخلاف مع مولاه على الأجر رغم اتفاقهم مسبقاً على ذلك الأجر، ليجعل ذلك مبرراً لقتل خليفة المسلمين، إن الأمر بالتأكيد أكبر من هذا التبسيط للموضوع.

فقد جعل أبو لؤلؤة من نفسه رأس حربة لمؤامرة يقودها أحد قادة الفرس الذين هزموا أمام عدداً من الجيوش الإسلامية (الهرمزان)، والذي كان سيعدم بأمر من عمر لنكوثه بعهوده للمسلمين أكثر من مرة، ولكنه تحايل على عمر حتى أعطاه الأمان، وقد شهد عبدالرحمن بن أبي بكر لحظة ضرب فيروز لعمر فجراً؛ أنه غداة قتل عمر رأى أمراً مريباً فقال: ((مررت على أبي لؤلؤة عشي أمس، ومعه جفينة و الهرمزان، وهم نُجيٌّ، فلما رهقتهم ثاروا، وسقط منهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، فانظروا في أي شيء قتل، وقد تخلل أهل المسجد وخرج في طلبه رجل من بني تميم... حتى أخذه فقتله، وجاء بالخنجر الذي وصف عبدالرحمن بن أبي بكر، فسمع بذلك عبيدالله بن عمر، فأمسك حتى مات عمر، ثم اشتمل على السيف، فأتى الهرمزان فقتله،...، ثم مضى حتى أتي جفينة، وكان نصرانياً من أهل الحيرة...أقدمه... ليعلم بالمدينة الكتابة، فلما علاه بالسيف صلَّب بين عينيه)) وكان عبيدالله بن عمر قد قَتَل - بعد تأكده من المؤامرة لقتل أبيه - كل من الهرمزان وجفينة وابنة أبي لؤلؤة المجوسي، ويلمح بعض المؤرخين إلى أن كعب الأحبار الذي كان يزعم ما يشبه التنجيم قد يكون مشتركاً بالمؤامرة، ونحن هنا لا نضعف هذا الرأي لأن قوة الإستراتيجية الإيرانية تكون قوية إذا ارتبطت بالتحالف مع اليهود كما أثبتت أحداث التاريخ القديم والحديث[8].

ويقول أحد المؤرخين ((إن مقتل عمر على يد رجل من الموالي ليبين مبلغ الاستياء والسخط الذي استولى على نفوس هؤلاء الفرس بعد زوال سلطانهم ودخولهم في حوزة العرب))، ويرى آخر بصراحة أكثر ((يؤكد ما آلت إليه حياة الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد أحد هؤلاء

الموالي، لا لشيء إلا لأن عمر بن الخطاب هو الذي دك حصونهم وأجهز على دولتهم))[٩].

الفتنة الفكرية وضرب إستراتيجية جزيرة العرب من الداخل: (إبان حقبة المدينة المنورة)

صحوة إستراتيجية جزيرة العرب(المدينة المنورة) لخطورة هجمة الإستراتيجية الإيرانية لقد أوصى عمر خليفته الذي سينتخب بعده قبل وفاته بالعرب ((لأنهم مادة الإسلام))[١٠]، ولعل هذه هي القضية التي بدأ الفرس واليهود يستعدون للإجهاز عليها، فإذا ضعف العرب ستفنى مادة الإسلام، ولعل التقدير الذي يحظى به مزار أبو لؤلؤة المجوسي في إيران لدى حكومة إيران الحالية يعطي انطباعاً كافياً حيال هذه المسألة من كافة جوانبها.

وعلى أية حال فقد بدأ في عهد عثمان الهجوم الفكري من قبل إستراتيجية إيران على معتقدات الإسلام ومحاولات تنظيرية بين الواقع والمأمول وكانت نقمتهم على حصر الخلافة في قريش، وكانت البدايات في عهد سعيد بن العاص بالكوفة عام٣٣هـ، من قبل مجموعة وصفت بأنهم ليسوا بالعرب ولا بالعجم ولعلهم عرب متأثرون بالفرس عن طريق المصاهرة أو المجالسة والتأثر الفكري أو ما شابه ذلك، وهم عشرة أشخاص؛ ومنهم مالك الأشتر وابن ذي الحبكة، وجندب وصعصعة بن صوحان، وابن الكواء وكميل بن زياد النخعي وعمير بن ضابئ.

وكان والي عثمان على الكوفة سعيد قد قربهم منه وجالسهم، بحيث كانت بدايات فتنتهم التي بدأوا بالتصريح فيها نقاش حول أملاك آل كسرى على جانب الفرات وسواد العراق إن كان يمكن تسميته ببستان قريش، وهل لقريش حق أكثر من الآخرين بالعراق، في حديث كانت بداياته أشبه بالتسامر والمزاح،

حين قاموا بضرب قائد شرطة سعيد في مجلس سعيد نفسه، وقد بدأت من هذه القضية نقاش لقضية فكرية فلسفية أخرى، ثم تطور الأمر إلى طلب أشراف الكوفة من الخليفة عثمان نفيهم من الكوفة فنفاهم إلى الشام، فاتجهوا إلى معاوية الذي أكرمهم بناء على وصية عثمان له بإكرامهم حين قال له ((إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلقوا للفتنة فرْعَهم وقُم عليهم)).

كان تصرف رجال إستراتيجية جزيرة العرب في حقبة المدينة ديموقراطياً متحضراً، فلم يستخدموا العنف، ولم يستحلوا دماء من تأكدوا أنهم أعداءهم، وهو ما يغيظ الإستراتيجية الإيرانية أن تكون المدينة المنورة بمثل هذا القوة الحضارية مع ضعف القانون، أو احترامها لحقوق الإنسان بما فيها حين يصل الخلاف إلى مرحلة العنف، على عكس البطش الذي اتسمت به الثقافة الفارسية أو ثقافة الإستراتيجية الإيرانية عبر العصور من مملكة عيلام مروراً بقورش ووصولاً لقمبيز وأبرويز؛ بحيث استغلوا هذه العدالة الموجودة لدى إستراتيجية جزيرة العرب بحقبة المدينة المنورة أبشع استغلال، وكان تعامل الدولة مع هؤلاء النشطاء للإستراتيجية الإيرانية الذين هم " لا عرب ولا عجم " كما وصفهم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد تعاملاً ثقافياً ومتحضراً فاعتقد الخليفة عثمان أنه بإبعادهم عن البيئة العراقية التي تسمح لهم بالاتصال برجال الإستراتيجية الإيرانية نحو البيئة الشامية قد تحل المشكلة.

وقد اهتم بهم معاوية وأسكنهم وضيفهم على حساب الدولة، وناقشهم في معتقداتهم وخاصة نقمتهم على حق قريش بالخلافة، وحذرهم من هذه الفتنة التي قد تصيب الأمة وتستمر حتى بعد وفاتهم، فتكلموا بكلام لا يليق وتطاولوا على معاوية بأن قال صعصعة ((إنا نأمرك أن تعتزل عملك، فإن بالمسلمين من هو أحق به منك،)) فرد عليهم ((... لم أحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزل عملي، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب لي بخط يده فاعتزلت عمله... ولعمري لو كانت الأمور تقضى على رأيكم وأمانيكم ما استقامت الأمور

لأهل الإسلام يوماً و لا ليلة)) وكان معظم حجتهم سفسطة، فرد معاوية على متحدثهم قائلاً:((عرفتكم الآن، علمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيب القوم، ولا أرى لك عقلاً، أعظِّم عليك أمر الإسلام، وأذكرك به، وتذكرني الجاهلية...، أخزى الله أقواماً أعظموا أمركم، ورفعوا إلى خليفتكم، افقهوا – و أظنكم لا تفقهون – أن قريشاً لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز وجل،...فبوأهم الله حرماً آمناً يتخطف الناس من حولهم، هل تعرفون عربا أو عجماً أو سوداً أو حمراً إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدوله، إلا ما كان من قريش، فإنهم لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل،... فارتضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له أصحاباً فكان خيارهم قريشاً ثم بنى هذا الملك عليهم، وجعل هذه الخلافة فيهم، ولا يصلح ذلك إلا عليهم... أف لك ولأصحابك... فأما أنت يا صعصعة فإن قريتك شر قرى عربية... نُزَّاع الأمم [أي أغراب] وأنتم جيران الخط وفعلة فارس،)) ثم طردهم. إنهم الطبقة العاملة لدى الفرس، ومتعلقة عقولهم بغلبة الفرس وعظمتهم.

عرف معاوية أنهم بوجودهم في دمشق سيفسدون بلاد الشام بدلاً من إصلاحهم، فقام بطردهم من هناك منبهاً لهم بقوله: ((فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون))، فكتب لعثمان يقول فيهم ((إنه قد قدم علي أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أثقلهم الإسلام، وأضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة، إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة... فإنهم ليسوا لأكثر من شغب ونكير)). وفي رواية أخرى أنه كتب يقول ((فإنك بعثت إلي بأقوام يتكلمون بألسنة الشياطين وما يملون عليهم، ويأتون الناس – زعموا – من قبل القرآن، فيشبهون على الناس، وليس كل الناس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فرقة، ويقربون فتنة، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم..وقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم)).

فوجههم إلى حمص، فاستدعاهم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وأسكنهم الساحل السوري وأجرى عليهم رزقاً وقال لهم: ((ياآلة الشيطان، لا مرحباً بكم ولا أهلاً،... خسَّر الله عبدالرحمن إن لم يؤدبكم حتى يحسركم، يا معشر من لا أدري أعرب أم عجم... أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من قد عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ الردة)) ثم حكم عليهم بما يشبه الأشغال الشاقة، حتى صاحوا نتوب إلى الله أقلنا أقالك الله، فقال: تاب الله عليكم وأطلقهم، فعادوا إلى العراق[11].

ونستطيع أن نجزم أن هذا الأمر – في عهد عثمان رضي الله عنه - هو أول ظهور علني وحقيقي للشعوبية التي هي نوع من الكيد والمؤامرة على إستراتيجية جزيرة العرب، والشعوبية هي فرقة لا تفضل العرب على العجم، وكما جاء في لسان العرب أن الشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب، ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم، أو كما وصفهم كرد علي بأنهم قوم متعصبون على العرب يفضلون عليهم العجم.

ولعل الدكتور عبدالعزيز الدوري يرى أن مفهوم الشعوبية معقد إذ يشمل دور الحركات السرية التي تتظاهر بالإسلام وتعمل على هدم السلطان العربي الإسلامي أو على هدم الإسلام أو هي الاتجاهات التي تحاول نسف الإسلام والعرب من الداخل ومسخ دورهما في التاريخ، وكان الفرس هم أشد هؤلاء حماساً وأوضحهم دورا؛ بحيث أصبح مدلول هذه الشعوبية الذي يختلف من عصر إلى آخر، يتحدد في الكيد للعرب والإسلام في اتجاه واضح (ظاهره ديني وسلوكه سياسي ومحاوره فكرية وأدبية واجتماعية) ويجتهد في تمرير أفكاره عبر هذه القنوات ويؤدي وظائفه وفق مصلحته والظروف المحيطة به[12].

لقد اختار الشعوبيون العراق لتكون مركزاً لهم بالدرجة الأولى لأن العراق يمثل البوابة التي نفذ منها الإسلام وسلطانه وأثره وثقافته إلى بلاد فارس وهنا حرص الشعوبيون على إيصاد وإغلاق هذه البوابة، أو تشويه ما ينفذ منها[13]

ولكنهم في رأينا قد اختاروا العراق لأنه ذلك البلد الذي طالما حلم به رجال الإستراتيجية الإيرانية؛ فالهدف هنا هو الكيد للإسلام واستعادة العراق من إستراتيجية الجزيرة العربية.

و فيما يبدو أن هناك جهة منظمة بدأت تنظم إدارة الصراع الفكري مع إستراتيجية جزيرة العرب مستغلة ديموقراطيتها، فدفعت أو وظفت بعض الشواذ من هنا وهناك، وقد أوردت الروايات التاريخية قصة رجل اسمه حكيم بن جبلة وهو لص إذا قفلت الجيوش عن بلاد فارس تأخر عنهم فسعى في أرض فارس فساداً فيعتدي على أهل الذمة ثم يعود بما يكسب، فشكاه المسلمين والنصارى إلى الخليفة عثمان، فأمر عثمان واليه على البصرة أن يبلغه بالإقامة الجبرية بالبصرة لا يخرج منها.

ومن العجيب أنه حين قدم عبدالله بن سبأ (ابن السوداء) إلى البصرة فقد حل ضيفاً على حكيم بن جبلة هذا، فيتبادر لنا سؤالاً وجيهاً:من أين عرفه عبدالله بن سبأ لولا أن هناك جهة تنظيمية بدأت تنشط في غفلة من استخبارات المدينة ورجالها بالعراق؟ وأن حكيم هذا ما هو إلا كذراع عسكرية لذلك التنظيم من قبيل التجربة والبداية وجس نبض قوة إستراتيجية جزيرة اعرب في حقبة المدينة المنورة: واجتمعت مجموعة عنده فطرح عليهم أفكاره تلميحاً ولم يصرح، فقبلوا منه أفكاره، وجعلوه رئيساً لهم، فطلبه ابن عامر والي عثمان للتحقيق معه، فقال: إنه من أهل الكتاب، رغب في الإسلام، ورغب في سكنى البصرة، فقال له أن الأخبار التي بلغته خلاف ذلك وأمره بالخروج من البصرة، ومن الكوفة طرد إلى مصر.

ولعل التنظيم التآمري النشط كان أكبر من قدرة استخبارات ولاة عثمان على كشفه، فيذكر الطبري أن عبدالله بن سبأ ((استقر في مصر، وجعل يكاتبهم ويكاتبونه، ويختلف الرجال بينهم))[١٤]، وبهذا فقد تم اختيار ابن سبأ اليهودي لقيادة التنظيم فيما يبدو، وهو ما ذكرناه من رأينا أن القوة دائماً في

تحالف اليهود مع الإستراتيجية الإيرانية وأتباعها، ففي تحالف هؤلاء الرجال من أتباع الإستراتيجية الإيرانية مع عبدالله بن سبأ (تحالف الفرس مع اليهود) وسلموه القيادة و بدأوا يتكاتبون سراً حيال مؤامرتهم بدأت إستراتيجية جزيرة العرب تواجه المخاطر، وبدأت إستراتيجية إيران تسجل النجاحات.

ونتيجة للتحالف الإيراني – اليهودي الفكري، كما حصل في تحالف قورش مع يهود سبي بابل، تمكنوا من تنظيم معارضة فكرية نتج عنها أول ما نتج انقسام واضح بين قريش نفسها حول أحقية عثمان أم علي بالخلافة من الآخر وأمور أخرى فقهية كسؤال ابن السوداء عبدالله بن سبأ لأبي ذر الغفاري كما يروي الطبري حول مسألة المال أهو مال الله أم مال المسلمين؛ وحول الأزمة التي قامت بالشام بين الفقراء والأغنياء حيث تمكن من جعل أبا ذر يقود معارضة دينية ذات طابع اقتصادي ضد والي دمشق معاوية ابن أبي سفيان، وكان رد عثمان حول تلك الأزمة الفقهية ذات الأبعاد الاقتصادية على أبا ذر حين قدم المدينة ((يا أبا ذر، عليّ أن أقضي ما عليَّ وآخذ ما على الرعية، ولا أجبرهم على الزهد، وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد))، لقد أخرجت ((الفتنة..خطمها وعينيها)) آنئذٍ؛ بحيث بدأت مطالبات تلك الزمرة بتنازل معاوية بن أبي سفيان عن ولاية الشام، وانتهت المطالبة بتنازل عثمان عن الخلافة أو بعزله لصالح خلافة علي بن أبي طالب، وهناك بدأت الفتنة الداخلية بالعاصمة المدينة المنورة؛ حيث انتهت في عام ٣٥هـ بمقتل الخليفة عثمان بن عفان وانتخاب علي بن أبي طالب، ومما لا شك فيه أن علي لم يرض عما حصل وهو كما قال رضي الله عنه ((والله ما قتلت، ولا أمرت، ولا رضيت))[١٥].

ولعل أكثر ما يثير الدهشة هو انقسام قطبي اليهودية عبدالله بن سبأ وكعب الأحبار ففي الوقت الذي كان أبي ذر مؤيداً من قبل ابن السوداء فإن الخلاف بينه وبين كعب وصل إلى أن يعتدي أبا ذر على كعب الأحبار ويشجه في رأسه وهو في حضرة الخليفة قائلاً له ((يا ابن اليهودية، ما أنت وما ها هنا !

والله لتسمعن مني أو لأدخل عليك))مما جعل الخليفة يصيح بأبي ذر ((يا أبا ذر، اتق الله واكفف يدك ولسانك)) لقد نمت أصداء الفتنة وكان يمكن لإستراتيجية جزيرة العرب أن تطفئها لو استخدمت القوة العسكرية ولكنها أفرطت في الديموقراطية والحرية حين قال الخليفة وهو يستجيب لطلبات أهل الفتنة طلباً بعد آخر حين طالبوا بعزل واليه سعيد ورد أبا موسى ((قد أثبتنا عليهم أبا موسى ووالله لا نجعل لأحد عذراً ولا نترك لهم حجة))؛ ثم نادوا بعزل كل عماله على الأمصار؛ وقد نادى القعقاع بن عمرو وهو من أبطال القادسية باستخدام القوة لدرء الفتنة حين قال: ((أترد السيل عن عبابه فاردد الفرات عن أدراجه هيهات لا والله لا تسكن الغوغاء إلا المشرفية ويوشك أن تنتضى ثم يعجون عجيج العتدان ويتمنون ما هم فيه فلا يرده الله أبدا فاصبر))، كما طالب بعض ولاة عثمان بالشدة على أهل الفتنة إلى حد قتلهم[١٦].

ولكن على أية حال فقد نجحت الفتنة وقتل الخليفة الراشدي الثالث وضربت إستراتيجية جزيرة العرب بالصميم؛ ورغم مبايعة الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ إلا أن الدولة دخلت في حرب أهلية وانضم الموالي بالعراق وفارس لمناصرة علي رضي الله عنه ضد معاوية وأهل الشام؛ وبهذا فقد اعتبرت الإستراتيجية الإيرانية أن هذا النجاح سبباً من أسباب ميلهم في المستقبل للعلويين دون قريش، بل ودون بيت الرسول صلى الله عليه وسلم من بني هاشم، لقد اختارت الإستراتيجية الإيرانية ضرب إستراتيجية جزيرة العرب من الداخل رغم أن آخر أكاسرة فارس لا يزال حياً يقود المقاومة العسكرية بين كرمان وخراسان حتى عام ٣١هـ.

انحياز الإستراتيجية الإيرانية للعلويين (شق صف الأمة) :

ما من شك أن الأمويين منذ عهد معاوية قد تخلوا عن العدالة الإسلامية التي أقرها الإسلام، وتقمصوا إستراتيجية جزيرة العرب رافضين مساواة

الموالي بهم، ولا نستبعد أن يكون السبب في ذلك أن معاوية قد رأى في الفرس قوم لا يمكن أن يقبلوا بالعرب والإسلام مهما كان عدل العرب معهم إلا أن يتنازل لهم العرب عن رياسة الدولة، وقد كان للخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان تاريخاً حافلاً بالعدالة مع الفرس ومع ذلك لم يقبلوا منه حلماً ولا حرية؛ وإنما سعوا لإقامة الفوضى بالتعاون مع زعامات اليهود؛ لذا فإننا نجد أن معاوية يكتب لعثمان عن رجال الفتنة يقول ((إنه قد قدم علي أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أثقلهم الإسلام، وأضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة، إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة... فإنهم ليسوا لأكثر من شغب ونكير))، كما أكد للخليفة عثمان مراراً أن الفتنة قادمة، وأن المدينة سيتم غزوها من قبل المتآمرين وأنه سيتم اغتيال الخليفة وعرض عليه أن ينقل دار الخلافة إلى دمشق ليكون في مأمن أو يسمح له بإرسال جيش من جنود الشام لحماية الخليفة[١٧]، وهو ما يعني أن معاوية رأى أن السيف والقوة والبطش هو ما ينفع مع هذه الفئة.

وهذا يعني أنه لن يرضي الموالي من أتباع الأرض الإيرانية عن القوة الأموية الجديدة في دمشق التي تراجعت عن العدالة التي لم تكن ترضيها أصلاً، لأن الظلم وكثرة المظالم تجعل الأرض خصبة للثورة والتغيير الذي يريد رجال الإستراتيجية الإيرانية إجراؤه على الأرض، فهم إلى جانب فقدانهم لاستقلالهم و دولتهم وتبعيتهم لقومية كانت تابعة لهم حقبة من الزمن، فإن المساواة حسب ما جاء في الدين الإسلامي الذي قبلوه في الظاهر قد حرموا منها، مما جعل الفرس يؤيدون أهل البيت لعلهم يطبقون هذه المساواة في الحقوق والواجبات من ناحية، ومن ناحية أخرى يتمكنوا من تفريق العرب وضربهم بانقسامهم وفرقتهم، بينما كان قادة الإستراتيجية الإيرانية يرحبون بتلك السياسة الأموية – قادة إستراتيجية جزيرة العرب والتي ستُعد الأرض

لثورة كبرى ضد تلك الإستراتيجية،كان هذا على الأقل المسألة من وجهة نظر جدلية

ورغم أن التحالف الفكري بين اليهود بقيادة عبدالله بن سبأ ومن وراءه وبين رجال الإستراتيجية الإيرانية قد أنتج مشروعاً سياسياً دينياً - كما يقول الطبري - بدأ بالرجعة ثم علي وصي محمد ثم الطعن بخلافة عثمان وأن علي بن أبي طالب كوصي لمحمد النبي أولى بالخلافة من عثمان الذي يجب عزله(١٨)؛ قد نتجت عنه نتائج سلبية للغاية على إستراتيجية جزيرة العرب إلا أن الظلم الذي تعرض له العلويين على يدي الأمويين؛ قد جعل العلويين يعتمدون على تأييد رجال الإستراتيجية الإيرانية من الفرس أو طبقة العمال العرب لدى الفرس (في العراق) لنيل حقوقهم السياسية؛تلك الطبقة الذين أسماهم معاوية أغراب الأمم و (فعلة فارس) وللمطالبة بما اعتقد أبناء وأحفاد علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنهم حق لهم بالخلافة دون قريش، ولكن مع كل مظاهر التأييد فقد خذلوا علياً كرم الله وجهه أمام معاوية رضي الله عنهما، واستشهد بين ظهرانيهم، وكادوا يقتل الحسن بن علي رضي الله عنهما الذي أبى أن يستمر بالاعتماد عليهم كما استشهد الحسين رضي الله عنه وهو على مرمى حجر من سيوفهم؛ بل قتل بسيوفهم التي بايعته، ووجدوا في هذا الظلم الذي وقع على أهل البيت بأيديهم مؤسساً لمادة دسمة من التأثير والتكاتف حيال رمز إسلامي أريد منه تدمير الإسلام الذي يدين به ذلك الرمز - سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم - ويقضى به على سلطان العرب وقوة إستراتيجية جزيرة العرب، وظلت ثوراتهم تفشل حتى تمكن أهل البيت من فرع آخر وهم (العباسيين) وبمساعدة الفرس الإيرانيين من القضاء على خلافة بني أمية ودولتهم التي تمثل إستراتيجية الجزيرة العربية من جميع جوانبها واستئصال تلك الأسرة، و يبدو أن قادة إستراتيجية إيران مع فشل العلويين بالقيادة، وفشلهم في القضاء على

الدولة الأموية، مالوا إلى آخرين من أهل البيت؛ لأن الهدف الأساس هو القضاء على سلطة الجزيرة العربية بالعراق وإيران.

الانتفاضة أو الثورة الكبرى(الخطوة المرحلية الأولى):

لقد جاء الإسلام ليوحد بين إستراتيجيتي الجزيرة العربية وإيران في وجه إستراتيجية الدردنيل، وكانتا الإستراتيجيتان قادرتان على التوحد والانتصار لو أن قادة الإستراتيجية الإيرانية قبلوا بهذا القدر الإلهي، ولكن مسار الأحداث أثبت أن القوميون الإيرانيون رفضوا الانصياع وأصروا خلال مئات السنين على بعث إستراتيجيتهم للوجود من جديد كمنافس لإستراتيجيتي جزيرة العرب والدردنيل؛ ولم يكن بوسع إستراتيجية إيران سوى الكيد للإسلام من الداخل في ظل عجز عسكري كامل وشامل عن التحرر من سلطة العرب، بحيث كان هؤلاء القوميون الإيرانيون المتطرفون – آنذاك في القرن الثاني الهجري – يعلمون بأنهم غير قادرين على تغيير الوضع القائم، لأن مجموعات كبيرة من الشعب الفارسي قد اندمج في الدين الإسلامي الجديد، بينما الأكثرية ظلت غير عابئة بما يجري، ومن هنا جاءت اهتمامات ومحاولات المفكرين والنبلاء الإيرانيين – كما يرى وجيه كوثراني – بالدخول بالدين الإسلامي والدولة الإسلامية والتأثير في جهاز الدولة ذاتها من الداخل(١٩)، ومناصرة كل حركة تناهض المشروع الإسلامي القائم على أكتاف العرب أو القائم على إستراتيجية الجزيرة العربية، فكان كثير من الثورات التي قامت في عهد الدولة الأموية قائمة على أكتاف طبقة الموالي أو الفرس الساخطين.

و مما يثبت مصداقية هذا الرأي أنه كما ذكر ابن خلدون أن جيش يحي بن علي عم السفاح – على سبيل المثال - والذي أرسله السفاح لتأديب أهل الموصل الذين طردوا واليه حباً ببني أمية؛كان من ضمن جيشه الذي يتكون من إثني عشر ألف مقاتل حوالي أربعة آلاف كلهم من الزنوج بينما بقيتهم ربما من

الموالي وعمال فارس، حيث قام هذا الجيش وقائده بقتل إحدى عشر ألف من أهالي المدينة بالمسجد ثم استباح النساء وفي اليوم الثالث أمر بقتل النساء والأطفال، وفي اليوم الرابع أمر بقتل الزنوج على يد بقية جيش الموالي، إنها بصمات الإستراتيجية والطبيعة الإيرانية على مر العصور؛ فقد أثبت الفرس الإيرانيين منذ احتلالهم للعراق وكذلك إبان احتلالهم اليونان مدى الدموية الرهيبة التي تصاحب جيوشهم تجاه نساء وأطفال البلدان التي تحتلها جيوشهم، بينما عجزت الحرية والديموقراطية التي تحلت بها إستراتيجية جزيرة العرب في عهد الخلفاء الراشدين من التخلص من عشرة من عمال الفرس ذوو الأصول العربية، أو حوالي المائتين من متآمري التحالف اليهودي الإيراني لقتل عثمان رضي الله عنه.

ويذكر ابن خلدون أنه بخروج المختار بن عبيد الثقفي على الدولة الأموية ((فشا التعصب [في العراق] لأهل البيت في الخاصة والعامة بما خرج عن حدود الحق، واختلفت مذاهب الشيعة فيمن هو أحق بالأمر من أهل البيت، وبايعت كل طائفة لصاحبها سراً ورسخ الملك لبني أمية، وطوي هؤلاء الشيعة قلوبهم على عقائدهم فيها وتستروا بها، مع تعدد فرقهم وكثير اختلافهم))[٢٠].

وكان جزءاً من ظاهرة التشيع بالنسبة للقادة لفرس لا تعدو رغبة في ضرب الإسلام من الداخل؛ وذلك من خلال تنظير يهدف إلى إضعاف الجبهة الداخلية لإستراتيجية جزيرة العرب القائمة على الإسلام آنذاك ابتداء من ذلك الزمن الذي كانت المدينة المنورة عاصمة للإسلام وحتى انتقالها منها إلى بغداد مروراً بدمشق، فقد دخل هؤلاء الموالي إلى الإسلام وقد نقلوا معهم كثير من عقائدهم وتعاليمهم السابقة، ويروي البعض مدى تأثير الأساطير القديمة الموجودة لدى ذلك الشعب على اتجاه اعتقاداتهم، فمثلاً هناك من يرى أن زواج الحسين بن علي بن أبي طالب من ابنة يزدجرد آخر ملوك الساسانيين إنما أدى إلى تشيع الفرس للعلويين[٢١].

وإذا كانت كل تلك الثورات الشيعية الأولى قبل عهد عبدالملك بن مروان قد فشلت؛ فإن الدعوة السرية لآل محمد والتي بدأت في عهد عمر بن عبدالعزيز عام ١٠٠هـ وحتى ١٣٢هـ قد نجحت نجاحاً باهراً على أيدي إثني عشر نقيباً بينهم بعض الموالي مثل بكير بن ماهان و أبوسلمة الخلال إلى جانب بعض القادة العسكريين الإيرانيين للثورة كأبي مسلم الخراساني وأبي داود وعثمان بن جديع الكرماني، والذين كان وجودهم على رأس هرم قيادة الثورة العباسية مدعاة لاندماج الإيرانيين خلفها، فكما يؤكد ابن خلدون وهو بصدد الحديث عن بدايات الثورة العباسية: ((وبعث الدعاة منهم إلى الآفاق...، وأجابه عامّة أهل خراسان)) وما إن دخل جيش الثورة الكوفة حتى اعترف بأبو سلمة الخلال كوزير لآل محمد؛ بحيث تولى كل السلطات بيده(٢٢).

بل إن إقليم خراسان من فارس كان هو الأرض الذي نبتت فيه الثورة والمنطلق الذي منه انطلقت، و يبدو أن التمايز بين أتباع الإستراتيجيتين الإيرانية والجزيرة العربية في مواجهة الموقف إبان هذه الثورة كان واضحاً، فقد دافع العرب الموالين للدولة الأموية رغم أنهم يعلمون أن الدولة تترنح من كثرة الثورات قبيل سقوطها كنصر بن سيار الذي أرسل محذراً الخليفة الأموي من عدم إمداده بالقوات اللازمة لمواجهة الثورة، والذي ظل يقاتل حتى قتل، ولم يكن أمير العراق الأموي يزيد بن هبيرة ليستسلم لجيش الثورة العباسية، قبل أن يقف وقفته الأخيرة في الدفاع عن العراق ضد الثوار الزاحفين، وهو ما فعله ما يمكن تسميتهم برجال " العهد القديم " في خراسان من أنصار الدولة الأموية وواليها نصر بن سيار أمثال زياد بن عبدالرحمن القشيري والي بلخ في خراسان، ومسلم بن عبدالرحمن بن مسلم الباهلي والي ترمذ حيث تمكنوا في مقاومتهم من تأخير قوات الثورة العباسية الرئيسية بقيادة أبو مسلم عن التوجه إلى العراق(٢٣).

لقد كانت الثورة العباسية نوع من التمرد المرحلي للإستراتيجية الإيرانية على الأوضاع التي سادت بها إستراتيجية جزيرة العرب بقوة السيف ليس على العراق فحسب وإنما على كافة بلاد إيران وما وراءها، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا أن الدعوة العباسية كانت نوع من التشيع؛ بقدر ما تندرج من زاوية خفية تحت الإستراتيجية الإيرانية المرحلية للتسلط على الحكم وطرد إستراتيجية جزيرة العرب من العراق وإيران، بل لابد من استقراء الأحداث بطريقة صحيحة، فقد كان واحدة من الخطط المطروحة أمام رجال الإستراتيجية الإيرانية كأبو سلمة الخلال وأبو مسلم الخراساني إحداث الفوضى والبلبلة حتى السيطرة على الأوضاع بيد من حديد، فبعد أن بويع الخليفة العباسي السفاح عمل أبو سلمة الخلال على إجراء بعض الاتصالات بالعلويين ربما لتبديل الخليفة ونقل الخلافة من بني العباس لبني علي بن أبي طالب.

ولعل الخطة تستكمل في إحداث تغيير آخر بعيد قتل السفاح وبني العباس، قتل الخليفة العلوي واستيلاء أبو مسلم على الحكم، وقد أثبتت الأحداث أن أبو العباس السفاح تعامل بهدوء وحكمة ضد أبو سلمة الخلال وقتله كنتيجة لخيانته و عمله على تبديل الخلافة،[٢٤]، كما أثبتت الأحداث أن أبو مسلم حين وافق الخليفة على التخلص من أبوسلمة الخلال، كان يعمل على إحداث تغيير آخر في الخلافة العباسية، من خلال محاولته تحريض ولي عهد المنصور عيسى بن موسى للثورة على عمه أبو جعفر، بيد أن المحاولة فشلت لرفض ولي العهد الخطة برمتها مع أن أبو مسلم وعده بوضع ثقله معه في هذه المؤامرة،[٢٥].

وحين فشل في ذلك بدأ يبتعد بنفسه عن المنصور حتى تحين الفرصة المناسبة؛ بحيث أنه بدأ يعد نفسه لوراثة السلطة العباسية بنفسه، من خلال بعض التصرفات المثيرة وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد طلب يد آسية بنت علي العباسية[٢٦]، وهو مولى بحيث يستحيل على مولى الزواج بامرأة من بيت

الرسول صلى الله عليه وسلم، أما الثالثة فإن أبو مسلم زعم أنه من نسل سليط بن عبدالله بن العباس[٢٧]، كما جاء على لسان أبو جعفر المنصور وهو يقرعه قبل قتله، إن مثل هذه الأمور الخطيرة تؤكد أن القيادة الإيرانية في الثورة العباسية وصلت إلى حد رغبتها وقدرتها على اختطاف الثورة العباسية برمتها، واختطاف جهد ونشاط إستراتيجية جزيرة العرب بسهولة ويسر وتخطيط ماكر.

ولعل هذا الموضوع يجعلنا نتساءل حيال نسب أبو مسلم الخراساني نفسه فهو ليس من بيت عريق بإيران، كما أنه حاول أن يدعي نسباً ليس عربياً فحسب؛ وإنما نسباً شريفاً لعبدالله بن العباس بما يمثله ذلك من خطورة انتقال الخلافة إلى بيت فارسي، وفي حقيقة الأمر لم يحسم نسب أبي مسلم الخرساني حتى الآن:غير أن هناك إشارات تظل محيرة وتجعلنا نضع تساؤلات حيالها، فقد خاطبه أبو العباس السفاح حين استأذنه أبو مسلم للحج بقوله ((لولا أن أخي على الحج...لوليتك الموسم، فإنك رجل منا أهل البيت...))، كما قال أبو جعفر المنصور وهو غاضب منه ((أنا بريء من العباس إن لم أقتل ابن وشيكة...)) ووشيكة أسم أم أبي مسلم، مما يعني أن والدته الفارسية كانت من موالي العباسيين في مكة وهي معروفة لديهم، كما نعته بالعبد حين قال ((لمثلها أحسب أن العبد كتب بما ترى))، وحين كان يحاكمه على أفعاله؛ فقد ناقشه بغضب حول ادعائه أنه ينتمي إلى سليط بن عبدالله بن عباس، ومن هنا نرجح إمكانية أن أبو مسلم الخرساني رغم كونه فارسياً إلا أنه قد يكون من موالي بني العباس؛ أو أن والدته كانت خادمة في أحد بيوتهم؛ لأن لهجة هذه المخاطبات التي أوردناها تعني أنه كان من البيئة المحيطة بأهل البيت والتابعة لهم[٢٨].

ومما يجعلنا نقدر مدى ضخامة الدور الإيراني في هذه الثورة – حسب ما يذكر ابن خلدون - أنه حين استدعى أبوجعفر المنصور أبو مسلم ليبلغه بوفاة السفاح وأخبر الخليفة الجديد أبو مسلم خوفه من تمرد عمه عبدالله بن علي عليه، قال أبو مسلم: ((أنا أكفيكه وعامة جنده من أهل خراسان، وهم أطوع لي

منه))، وقد ذكر ابن خلدون أن الفرقة الداعية لآل لعباس يطلق عليهم الكيسانية الذين هم بالأصل قد بايعوا محمد بن الحنيفية ثم تنازل ابنه أبو هاشم عن الحركة لأبناء عمومته العباسيين، بل وصل الأمر بالناس أن يسمون شيعة بنو العباس الكيسانية باسم آخر هو الحَرْمَاقِيَّة نسبة إلى لقب أبو مسلم الخراساني الذي كان يلقب بحرماق، ولعل ابن خلدون يعطي تفصيلاً أكثر على تشيع أهالي خراسان لبني العباس؛ حيث يذكر أن لبني العباس شيعة ((يسمون الراوندية من أهل خراسان يزعمون أن أحق الناس بالإمامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم هو العباس لأنه وارثه وعاصبه...))(٢٩).

وبمجرد نجاح الثورة العباسية برز العنصر الفارسي أو قل رجال الإستراتيجية الإيرانية على مستوى اتخاذ القرار، فقد قام وزير آل محمد أبو سلمة الخلال ((بتعيين بعض رجال الخرسانية في في المناصب الكبرى في الحكومة وأقر تعيين آخرين في مناصبهم في الجيش، وزاد عطاء المقاتلين بالجيش وجلهم من الخرسانيين إلى جانب القبائل اليمانية في خراسان، من ثلاثمائة درهم في السنة إلى ثمانين درهماً في الشهر أي ما يقارب ألف درهم في العام))، ووقع على عاتق الفرس تكوين جهاز الدولة العباسية، واتخذ أبو مسلم الخراساني لقباً جديداً باسم " أمير آل محمد " والتي زادت صلاحياته إلى الدرجة أن جعل له مندوباً هو أبي الجهم بن عطية ليوافيه بأخبار الجيش بالعراق، وبتأييد من أبو سلمة الخلال، مع أن وزير آل محمد أبو سلمة الخلال والخليفة كلهم بالعراق؛ بحيث لا يحتاجون إلى مشاورته بالقرارات الهامة بما يستدعي وضع سفير له أو جاسوس (أبي الجهم) ليتجسس له في العراق،كما تولى ديوان الخراج وهو ما يشبه وزارة المالية أو الخزانة حالياً فارسي أسمه برمك هو الجد الأعلى للبرامكة الذين نكبهم هارون الرشيد(٣٠).

كان زعماء الثورة من الإيرانيين يرون أن الثورة العباسية هي حقهم وجهدهم وعليه فلا بد أن يقطفوا ثمارها بأن يكون لهم الأمر والنهي، ووصل

الغرور بأبي مسلم — و الغرور هو عدو الفرس في كل زمان وسبب هلاكهم منذ غزوهم لليونان قبل عهد الإسكندر المقدوني — بأن تجاهل وجود شيوخ ونقباء الدعوة والثورة بخراسان، بل وصل به الحد أن يرفض أمر الخليفة ابو العباس السفاح حين ولى عمه عيسى بن علي ولاية خراسان، وهم واليه محمد بن الأشعث أن يقتل عم الخليفة، وحين أبلغه من حوله أنه ليس له صلاحية في قتل عم الخليفة قال: ((بل أمرني أبو مسلم أن لا يقدم أحد علي يدعي الولاية من غيره إلا ضربت عنقه، ثم خلّى سبيله)) فرجع عم الخليفة وأبلغه بذلك فكظم الخليفة غيضه ورأى أن ليس هذا وقت حسابه، وزاد غرور أبو مسلم إلى الدرجة أن عين أبي الجهم بن عطية جاسوساً له ليس لأخبار الجيش بالعراق فحسب؛ بل في بلاط الخليفة نفسه، وكان السفاح يعلم بذلك[٣١].

وقد بلغت براعة الفرس أن أرادوا سلب العباسيين ثورتهم حين ادعى أبو مسلم الخراساني أنه ينتمي إلى آل البيت، بل ونافس المنصور عند الخليفة، وأراد أن يتولى إمارة الحج في عام ١٣٦هـ - كما ذكرنا - لولا أن الخليفة احتال لتكليف أبو جعفر بإمارة الحج ليقطع الطريق على أبو مسلم، وذكر عنه أنه قال وهو في طريقه للعراق ((إني لأرجو أن يموت أبو العباس، فأكون أقوى مما بعده، ثم أغلب على الأمر، ويكون لي شأن من الشأن، فلا تبقى بلداً إلا وطيته برجلي هاتين))[٣٢]، وهي أحلام الإستراتيجية الإيرانية عبر العصور والتي تجد شهيتها مفتوحة عبر العالم لا يحدها حدود تاريخية ولا جغرافية ولا بشرية؛ لقد كان أبو مسلم يتصرف باعتباره كسرى فارس أو الإسكندر المقدوني والمسألة في نظره لا تعدو إلا مسألة وقت، وكانت وفاة الخليفة السفاح هو الموعد الذي حدده لوصوله إلى سدة الخلافة، ولم يكن وزير آل محمد بأقل طموحاً من أمير آل محمد الإيرانيين التائقين لاستعادة طموحات إيران ومكانتها السابقة.

وقد رأى الخليفة السفاح من أبو سلمة الخلال ما أقلقه من محاولته لتغيير الخلافة، فأرسل ولي عهده المنصور والفقيه الحجاج بن أرطأة و إسحق بن

الفضل ووفد إلى أبو مسلم يستشيره ويأخذ رأيه في انحراف أبي سلمة الخلال وقتله من قبل الخليفة حين كاتب ثلاثة من العلويين من أجل تحويل الخلافة من العباسيين إليهم، لقد أراد السفاح التفريق بين زعماء الإستراتيجية الإيرانية فيتمكن قادة إستراتيجية العرب من أخذهم واحداً بعد آخر طالما أنه قد ثبت للخليفة وولي عهده أن هؤلاء ليسوا على مستوى الثقة، وأن مسألة انقلابهم لا تعدو إلا مسألة وقت.

ومما زاد الطين بلة لدى المنصور أن أبو مسلم قتل سليمان بن كثير الخزاعي شيخ النقباء العباسيين وأبو جعفر المنصور ضيفاً عنده في خراسان لتلك المهمة، ونفذ قتله دون الرجوع للمنصور في مثل هذه القضية الخطيرة، مكتفياً بكتابة خطاب للخليفة يبلغه بقتله لسليمان، مما جعل المنصور يقول للخليفة حين عاد للعراق، ((لست بخليفة، ولا أمرك بشيء، إن لم تقتل أبا مسلم، فقال أبو العباس: وكيف ذلك؟ قال: لا والله ما يعبأ بنا، ولا يصنع إلا ما يريد، فقال أبو العباس: أسكت واكتمها، وفي رواية أنه قال: ((لست بخليفة مادام أبو مسلم حياً، فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك، فلقد رأيته وكأنه لا أحد فوقه، ومثله لا يؤمن غدره ونكثه، فقال أبو العباس: وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان وقد أشرب قلوبهم حبه و إتباع أمره وإيثار طاعته، فقال له، فذاك والله أحرى أن لا تأمنه، فاحتل له، فقال أبو العباس: يا أخي أضرب عن هذا ولا تعلمن رأيك في ذلك أحداً))، وقد دس السفاح مع أبو مسلم زياد بن صالح الأزدي وكلفه أن ينتهز فرصة في أبو مسلم ويقتله، ولكنه فشل في المهمة[٢٣].

كان أبو جعفر المنصور يدرك أن دولته قد تم السيطرة عليها سواء كانوا قادة الجيش أو رجال الدولة من قبل رجال هم في غالبيتهم المطلقة من الفرس أي تابعي الإستراتيجية الإيرانية، وكان قد قرر القضاء على أبو مسلم، خاصة وقد بيّن عداؤه للمنصور منذ توليه الخلافة، فحتى قبل أن يصل المنصور إلى العراق

وهو في طريق عودته من الحج، حرَّض أبو مسلم ولي عهده عيسى بن موسى على إعلان الثورة ضد المنصور وأكد دعمه له إن فعل ذلك، ولكن عيسى بن موسى رفض قائلاً ((الأمر لعمي ولو قدمني أبو العباس لقدمته على نفسي)) وقد أبلغ المنصور بموقف أبو مسلم هذا[٣٤].

وقد أراد أن يبعده عن قاعدته خراسان ليسهل القضاء عليه، فبعد أن قضى أبو مسلم على عم الخليفة عبدالله بن علي عينه المنصور والياً على مصر والشام، ولكن أبا مسلم رفض الأوامر واتجه إلى خراسان، فبدأ الطرفين سياسة " لي اليد " ومفاوضات شاقة لحسم الخلاف، وتثبت المناقشات والمشاورات التي أجراها أبو مسلم مع أتباعه من القادة الفرس أن مشروعهم للانقضاض على الشرعية كان جاهزاً ينتظر ساعة الصفر، فأشار عليه مالك بن الهيثم محذراً: ((والله لئن أتيته ليقتلنك)) كما أشار والي الري الفارسي نيزك برفض مقابلة الخليفة وأشار عليه ((بنزول الري وخراسان من ورائه فيكون أمكن لسلطانه))، فرفض أبو مسلم بناء على هذه المشاورات العودة للعراق لمقابلة الخليفة.

ولكن رسول الخليفة قدم إليه التهديد والوعيد النهائي الذي أبلغه الخليفة ألا يقدمه إليه إلا بعد أن يرفض أبو مسلم العودة إلى العراق، وهنا كانت لحظة تاريخية من لحظات الصراع بين قادة الإستراتيجية الإيرانية التي تناور للعودة لمجدها وقائد إستراتيجية جزيرة العرب التي أثبتت حتى ذاك قوة مجدها، وتمكن المنصور بدهائه ودهاء إستراتيجية جزيرة العرب المعهود أن يُرعب أبو مسلم؛ وذلك حين كاتب خليفة أبو مسلم في خراسان سراً، وأخذ تأييده ضد أبو مسلم؛ مع أنه كان مفترضاً أنه نائب أبو مسلم ومكان ثقته، فكتب نائب أبو مسلم إليه يحذره المعصية والخلاف، فأسقط في يده وعلم أنه أصبح محاصراً بين خراسان والعراق، وكان نائب أبو مسلم قد كاتب المنصور سراً يؤيده، فاضطر القائد الإيراني أن ينزل عن غروره ويعود للقاء الخليفة.

وفي اللقاء الذي جمع الخليفة أبو جعفر المنصور بأبي مسلم وبعد تعنيفه عن كافة الأمور التي لاحظتها الخلافة عليه؛ من تمرد وتعال بأمور علمية وفقهية على الخليفة السابق، ومراسم بين القائد العسكري وقادة الدولة كان ينبغي عليه أن يقدرها لولي العهد الذي أصبح خليفة بتقديره له والوقوف حتى يمضي الخليفة الجديد بالطريق قبله إبان عودتهم من الحج، وتأخيره بالبيعة لمدة يومين، والبدء باسمه كقائد للجيش قبل اسم الخليفة بالمراسلات، وامتلاكه لممتلكات ذات قيمة معنوية من آل العباس كسيفي وجارية عبدالله بن علي، وتمرده وعصيانه للأوامر التي وجهته لولاية مصر والشام، وسيطرته على خزائن المال وعدم تسليمها لديوان الخراج أو الخزينة، وأخيراً جرأة أبو مسلم على أمور لا تنبغي لمن هو مثله؛ حيث قال الخليفة ((ألست الكاتب إلي تبدأ بنفسك، وتخطب آسية بنت علي، وتزعم أنك ابن سليط بن عبدالله بن عباس؟ لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعباً)).

ثم أنَّبه على اتخاذ قرارات بالإعدام ليست من صلاحياته كقتله سليمان بن كثير ((مع أثره في دعوتنا، وهو أحد نقبائنا، من قبل أن ندخلك في هذا الأمر؟...ثم قال أبو مسلم: كيف يقال هذا بعد بلائي وما كان مني؟ قال الخليفة: يا ابن الخبيثة لو كانت أمة مكانك لأغنت، إنما ذلك بدولتنا وبريحنا، فأكب أبو مسلم يقبل يده ويعتذر))، وحين بدأ بقتله صاح أبو مسلم استبقني لعدوك، قال ((لا أبقاني الله، إذاً، وأي عدو لي أعدى منك))، ثم قام رجال الخليفة بالإجهاز عليه وقتله، وهي الكلمة التي كررها الخليفة لولي عهده حين جاء يثني على بلاء أبو مسلم فقال: ((والله ما أعلم على وجه الأرض عدواً أعدى لكم منه، هو ذا في البساط))، وقد عدَّ أحد مستشاري المنصور جعفر بن حنضلة يوم قتل أبو مسلم، اليوم الأول من خلافة المنصور قائلاً ((عُد خلافتك من هذا اليوم))[٣٥].

الصدمة الثانية للإستراتيجية الإيرانية (انقسام الإستراتيجية الإيرانية على نفسها):

كان الخليفة كقائد لإستراتيجية جزيرة العرب مدركاً تماماً لخطورة أبي مسلم الخراساني كقائد حقيقي للإستراتيجية الإيرانية، وقد تمكن من اجتثاث خطرها مؤقتاً، وقد تدهورت نتيجة لقتل أبو مسلم العلاقات العباسية – الإيرانية، ليشكل تدهورها دافعاً لسلسلة من الانتفاضات السياسية – الدينية في إيران ضد الحكم العباسي، وقد كانت صدمة الإستراتيجية الإيرانية عظيمة بقتله، فانقسمت الإستراتيجية الإيرانية على نفسها، فخرج من أتباع أبو مسلم بقيادة سنباد (فيروز أصبهبد)، حيث انضم إليه المتشددون من الإستراتيجية الإيرانية من أهالي الجبال – وهم الذين لم يدخلوا بالإسلام أصلاً مع غيرهم من المتعصبين الإيرانيين - معلنين الثورة على الخليفة العباسي يطالبون بدم أبو مسلم، ولعلنا نتنبه إلى قضية هامة وهي أن الإيرانيين ظلوا بعيدين عن الإسلام كشعب، ولم يدخلوا – كما يرى بعض المؤرخين – دخولاً جماعياً بالإسلام إلا بالقرن الخامس الهجري بجهود ونشاط من الحركات الصوفية[٣٦].

ولهذا فإن مثل هذه الثورات اللاحقة لمقتل أبو مسلم الذي فيما يبدو كان أملاً إيرانياً بالخلاص، قد أصبحت تحمل طابعاً إيرانياً بحتاً حتى وإن اصطبغت في بعض الأحيان بسمات التشيع والغلو بما وصفه ابن خلدون ((... بما خرج عن حدود الحق))[٣٧]، وتمكن سنباد من السيطرة على نيسابور والري وخزائن أبو مسلم المالية وسبى نساء السكان الموالين للدولة العباسية، وحافظ على التجارة وأموال التجار؛ وهو مما يؤكد على اهتمامات الإستراتيجية الإيرانية الدائمة بالتجارة والثروة، ثم أعلن حلم الإستراتيجية الإيرانية المستمر والذي كان حلماً لإبرهة الأشرم، كما ظل حلماً لإيران حتى تمكن القرامطة من تحقيقه، أعلن أنه ((قاصد إلى الكعبة يهدمها)).

ولكن المنصور وجه إليه جيشاً تمكن من دحر هذه المحاولة الكبرى للإستراتيجية الإيرانية لاستعادة مجدها، ويدل على مصداقية ذلك أن الذين قتلهم جيش المنصور من غلاة الإستراتيجية الإيرانية والمنضوين تحت لواء سنباد بلغوا ستين ألفاً كما يورد ابن خلدون، ورغم اغتيال سنباد فقد مضت الإستراتيجية الإيرانية بعيداً في صدمتها حين انتكس مشروعها على يد المنصور، فخرج من بقي من أصحاب أبو مسلم عن دين الإسلام الذين يرون أنه دين العرب، وابتدعوا ديانة جديدة أو فرقة جديدة من أتباع أبو مسلم أسمها الراوندية، كان من أهم عقيدتهم الإيمان بالتناسخ والحلول.

وقد دبر الراوندية محاولة اغتيال للمنصور من خلال تجمهرهم حول نعش جنازة نحو السجن فأخرجوا سجنائهم من الراوندية الذين أمر الخليفة بسجنهم، ثم اتجه جميعهم وهم حوالي ستمائة لقتل المنصور نفسه، وقد باغتت هذه المؤامرة المنصور إلى الدرجة أن خرج إليهم راجلاً يدافع عن نفسه حتى تتالى مجيء رجال إستراتيجية جزيرة العرب لإنقاذه، وكان من بينهم من كان محسوباً على الدولة الأموية ومطلوباً دمه من الخليفة، ربما رأوا أن زوال الخلافة أو قتل الخليفة سيكون كارثة عامة، مع عدم استبعاد انتهاز الموقف للحصول على العفو من الخليفة، وتمكن الناس من قتلهم عن آخرهم.

ولعل هذه الحادثة أعادت الثورة العباسية إلى توازنها تجاه العناصر العربية التي هي محسوبة على إستراتيجية جزيرة العرب وكانت مستبعدة من الدولة منذ إعلان الخلافة العباسية، كما أعادت الدولة العباسية باعتبارها تمثل إستراتيجية جزيرة العرب؛ بل إن قرار الرحيل من جنوب العراق — لأن جنوب العراق كان دائماً ذا ولاء خاص للإستراتيجية الإيرانية - إلى وسط العراق وبناء مدينة بغداد قد جاء بناء على عدم ثقة المنصور بالكوفة المظهرين ولاءهم للعلويين، وعدم ثقته بحصانة الهاشمية بعد ثورة الراوندية أتباع أبو مسلم[٣٨].

أجبرت هذه الانتكاسة إستراتيجية إيران التي لن تهدأ على العمل ضد إستراتيجية الجزيرة العربية؛ وقد اتخذت سبيلين: الأول رسمي مهادن وهم المعتدلين من خلال الوزراء والقادة العسكريين بالدولة العباسية ذوي الأصول الإيرانية، والذين يريدون السيطرة السلمية على الخلافة العباسية خلال فترة طويلة زمنياً، أو من أسماهم د.سليمان الرحيلي "فريق يرى إحياء [ملك الأكاسرة الساسانيين وإعادة مجدهم] وإلباسه لبوساً إسلامياً "، والثاني: هم المتشددون الغلاة والذين اعتمدوا طريق الثورات أسلوباً وحيداً لهم، وهم من أطلق عليهم د.الرحيلي "والثاني يرى تقويض الإسلام وهدم تعاليمه ومبادئه وإقامة ملك كسروي "[٣٩]. فقد سار برمك وخالد بن برمك و وزير المهدي أبو داود يعقوب بن داوود بن طهمان الذي كان شيعياً يميل للزيدية ويحيى بن برمك وأبناؤه جعفر وموسى، والفضل بن سهل وغيرهم على طريق الفريق الأول من المعتدلين.

وسار سنباد الذي كان جيشه يزيد عن مائة ألف مقاتل؛ وكذلك رجل آخر ادعى النبوة اسمه أستادسيس الذي كان قوام جيشه قريب من ثلث مليون مقاتل (٣٠٠،٠٠٠) مقاتل، والتي قضى ولي العهد الجديد المهدي على ثورته يمثلون الغلاة من الإستراتيجية الإيرانية، على طريق الفريق الثاني من الغلاة، ولعل الدهشة كبيرة أن تكون مراجل زوجة هارون الرشيد أو محضيته وأم المأمون هي ابنة أستادسيس، ثم تبعه في عهد المهدي المقنع الذي كانت عقيدته التناسخ وادعى الألوهية[٤٠].

ولكن مع ذلك فإن أتباع أو أعوان أبو مسلم سيسكنون فترة ليواصلوا مشوارهم من جديد في عهد هارون الرشيد، حيث أحفاد وزير الخزانة (الخراج) برمك، وفي الوقت الذي كانت إستراتيجية إيران تعيش فترة نشوتها، ورغبتها بالعودة إلى صناعة الأحداث وجددت نشاطها في بداية عهد الرشيد عام ١٧٠هـ ومنذ اليوم الأول حين كلف يحي البرمكي وزيراً له وسلمه خاتمه، فقد كانت

إستراتيجية جزيرة العرب في عام ١٧٥هـ تعيش نكسة جديدة من الانكفاء على الذات بحيث حدثت فتنة بدمشق بين المضرية واليمانية بما كان مؤذناً بأفول نجم إستراتيجية العرب عما قريب[٤١].

المحاولة الثانية للانتفاض على إستراتيجية العرب:

ولم يمض جيل واحد على التصحيح الذي قام به العباسيين في عهد أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور من قتل المؤامرة التي كان يحيكها قادة الإستراتيجية الإيرانية بالدولة العباسية — بقيادة أبي مسلم - في مهدها، والذين هم يمثلون آنذاك رأس الهرم للإستراتيجية الإيرانية، إلا وقامت إستراتيجية إيران بالصعود إلى رأس الهرم بالدولة العباسية من جديد من خلال البرامكة، وهم الحزب الفارسي الذي كان يتحكم بالدولة تحت بصر الخليفة هارون الرشيد.

في عهد هارون الرشيد استعادت الإستراتيجية الإيرانية مواقعها بالدولة من جديد وبقوة ونفوذ أكبر، وسيطر البرامكة على مجريات الأمور، وعزلوه عن الناس، حتى أن فترة حكمهم استمرت حوالي سبعة عشر سنة كان لهم كل شيء بالدولة العباسية من المال والجاه والسلطان، ويبدو أنهم قد رأوا — بعد ذلك الزمن الذي احتكروا فيه السلطة بالدولة - أنه قد آن أوان ثورتهم والقضاء على هارون الرشيد والدولة العباسية، ولعل العجيب أن علي بن عيسى بن ماهان وهو ابن أحد شيوخ الدعوة العباسية جاء إلى هارون الرشيد وأبلغه أن موسى بن يحيى البرمكي والي هارون البرمكي على خراسان بدأ يكاتب رجال الدولة من الفرس (رجال الإستراتيجية الإيرانية) ((ليسير إليهم ويخرجهم عن الطاعة))، لذا فقد قرر الرشيد القضاء على البرامكة بعد عودته من الحج لعام ١٨٧هـ، حيث أمر بقتل جعفر وسجن يحيى والفضل ومحمد وموسى — صاحب خراسان - وصادر مالهم من أموال وضياع ومتاع ((و أرسل من ليلته إلى

سائر البلاد من قبض على أموالهم ووكلائهم ورقيقهم وأسبابهم وكل مالهم)) ولم يتعرض لمحمد بن خالد البرمكي وأولاده وماله لأنه كما يذكر ابن الأثير ((علم ببراءته مما دخل فيه أهله))، كما أمر بصلب رأس جعفر على أحد جسور بغداد، وقطع بدنه قطعتين؛ بحيث نصبت كل منهما على جسر مختلف، ولقد زاد حنق الرشيد حين شكك بعلاقة مؤامرة البرامكة بمؤامرة عبدالملك بن صالح بن علي بن عبدالله بن العباس الذي اعترف عليه ابنه عبدالرحمن وكاتبه بأنه يُعِد لخلع الرشيد، فأصبح التحقيق متجه نحو الربط بين المؤامرتين، إلى جانب ما فعله جعفر البرمكي من إطلاق سراح يحيى العلوي أخو ذو النفس الزكية من سجن الرشيد رغم تأكيده عليه بسجنه حتى يرى رأيه فيه[٤٢].

ولقد رأى الخليفة هارون الرشيد من تجاوزاتهم ما جعله يقوم بنكبتهم وضربهم بقوة، تلك النكبة التي سميت بالتاريخ بنكبة البرامكة، إلى درجة ضربت معهم إستراتيجية إيران للمرة الثانية خلال أقل من جيلين.

الانتفاضة الثالثة ضد إستراتيجية جزيرة العرب:

ولكن إستراتيجية إيران لم تيأس بتاتاً من الكيد لإستراتيجية الجزيرة العربية، فالابن الأكبر للرشيد هو من أم فارسية، وهو لديهم في خراسان بين ظهرانيهم وقد تمكنوا من التأثير الفكري على توجهاته الفلسفية والدينية وحتى السياسية حداً جعله يفكر بتحويل الخلافة سلمياً من أسرته إلى بني عمومته آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد استغل القادة العسكريون الإيرانيون التابعون للمأمون العباسي (كطاهر بن الحسين والفضل بن سهل) الخلاف الذي حدث بين الأخوين الأمين والمأمون، حيث أن هذا الخلاف لم يكن إلا صورة من صور الصراع بين الإستراتيجيتين الإيرانية وجزيرة العرب، وقد أبدى طاهر بن الحسين حقداً دفيناً لا يمكن استيعابه على الأمين بل وحتى أمه زبيدة التي

أهانها بشكل لا يليق من قائد تجاه أم خليفة، وهي ابنة عم للمأمون؛ مما حدا بها إلى أن ترسل أبياتاً من الشعر للمأمون تقول فيها:

أتــى طــاهراً لا طهــر الله طــاهراً ... ومـــا طــاهراً في فعلـــه بمطهـــر

فــأبرزني مكـشوفة الوجــه حاســراً ... وأنهـــب أمـــوالي وأخـــرب أدوري

يعــز علــى هــارون مــا قــد لقيتــه ... وما نالني من ناقص الخلق أعور[٤٣].

لقد كانت المرحلة الثالثة في عهد الأمين الذي لم يستمع لناصحيه من العرب بعدم نكثه للعهد كعبدالله بن حازم وهرثمة بن حازم أو خزيمة بن حازم، وانساق خلف رغباته ومشورة الفضل بن الربيع و علي بن عيسى بن ماهان أحد مستشاريه الفرس وبعض العرب الآخرين لعزل أخيه المأمون من ولاية العهد لصالح ابنه[٤٤].

ولقد قاد الإستراتيجية الإيرانية هذه المرة مجموعة من قادة الفرس إلى جانب المأمون الذي كان آنذاك يمثل إستراتيجية فارس بحق، فهو حفيد أستادسيس من ابنته مراجل، إلى جانب الفضل بن سهل الملقب بذي الرياستين، بالإضافة إلى طاهر بن الحسين الذي أفصح عن حقد دفين على الخليفة الأمين حين طلب أن يؤمنه هو وخاصته وأعوانه من العائلة والقادة، فرد قائلاً ((الآن لما ضيق خناقه، وهيض جناحه، وانهزم فساقه، لا والذي نفسي بيده، حتى يضع يده في يدي، وينزل على حكمي))[٤٥].

وقد حوصرت بغداد حتى عمَّتها المجاعة والدمار، ودافع رجال الأمين وهم عراة دفاع المستميت، ولكن بعد استمرار الحرب لسنة وشهرين احتل طاهر بغداد شارعاً بعد شارع، واستمرت حرب الخنادق وهدمت بغداد على يد رجال الإستراتيجية الإيرانية حياً بعد آخر، ولكن جيش العراة المقاتل مع الأمين الذي كان يزيد عن مائة ألف كما يذكر المسعودي ظل صامدا فترة طويلة من الحصار والقتال، وفكر الأمين بالهروب أو الاستسلام لقائد آخر للمأمون، ولكن طاهر

لاحقه حتى وهو مستسلم لهرثمة بن أعين قائد المأمون الآخر وأغرقت سفينته التي تحمله، ثم قبض عليه، وضرب بالسيوف.

وقد كان موقف المأمون أشد غرابة، فبعد أن وصل إليه رأس أخيه ربط العطاء للجند بلعن أخيه الأمين المصلوب على خشبه، فقال أحد الجنود الفرس حين أمر بلعن الأمين ((لعن الله هذا ووالديه وما ولدا، وأدخلهم في كذا وكذا مع أمهاتهم، فقيل لعنت أمير المؤمنين، وذلك بحيث يسمعه المأمون فتبسم وتغافل))، وحين كاتبته أم الأمين زبيدة مرسلة إليه شَعرَها برفقة شِعرِها، بكى المأمون بكاء الخليفة المغلوب على أمره وقال أقول ما قاله علي رضي الله عنه بقتل عثمان: ((والله ما قتلت، ولا أمرت، ولا رضيت))[٤٦]، وهو نفس الموقف لملك عراقي كلداني عميل للإستراتيجية الإيرانية في القرن السابع قبل الميلاد حين رأى تدمير الإستراتيجية الإيرانية للعراق بحيث لم تستثني حتى المعابد، وعلى وصف تعبير النصوص البابلية لموقف الملك البابلي الحليف لإيران ((لم يجد أمامه إلا أن يرسل شعره مهوشاً دون تمشيط ويؤثر النوم على الأرض دون المضاجع، تدليلاً على براءته من انتهاك حرمة المعابد على أيدي حلفائه)) الإيرانيين[٤٧].

وقد استمرت إستراتيجية إيران مع المأمون وهو في خراسان بعد قتل الخليفة الأمين، بحيث سيطروا عليه فلم يكن بمقدوره أن يعود إلى بغداد عاصمة الخلافة ست سنوات منذ توليه الخلافة وخاطبوا خصومه بأن الخليفة يقيم في خراسان بين شيعته وأخواله الفرس، كما أنهم سيطروا عليه من الناحية الفكرية إلى الدرجة أن بلغ مدى التأثير الإيراني على المأمون أن قرر نقل الخلافة للعلويين بنفسه، وبهدوء ودون دماء، اعتقاداً منه أنهم أحق من العباسيين بالخلافة، حين أعطى ولاية العهد لعلي الرضا بما يعنيه ذلك من انتقال للخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي لولا أن فطن المأمون في اللحظات الأخيرة قبيل دخوله لبغداد، وذلك حين قرر العباسيون الثورة عليه، وتمكن من التخلص

من ولي عهده الذي نصبه بنفسه علي الرضا، حيث قُتل ودفن في مشهد؛ بينما دخل بغداد بعدما استرد بعض قدراته.

وفي الوقت الذي تمكن طاهر بن الحسين أن يسلك طريقاً ثالثاً جديداً غير طريق البرامكة والفضل بن سهل وأبو مسلم وأبو سلمة الخلال للسيطرة السلمية على الخلافة، ويختلف عن طريق سنباد وأستادسيس الثوري وأمثالهم، وذلك حين تمكن من تشكيل سلالة إيرانية تحكم تحت عباءة الدولة العباسية، إلا أن المأمون كان قد استوحش من قائده الفارسي الآخر الحسن بن سهل فكان مصيره القتل كمن سبقوه(٤٨).

ورغم الانتصار المؤقت الذي حققته إستراتيجية إيران على إستراتيجية جزيرة العرب بقتل الأمين ومبايعة المأمون بن هارون الرشيد ذو الأم الفارسية، إلا أن هذا النصر المؤقت كان يحمل بذرة الفشل فالعباس بن المأمون الذي كان يفترض أن يكون ولياً للعهد كان يؤيد العنصر العربي بالدولة، أي أنه سيعود للانتصار لإستراتيجية جزيرة العرب إذا ما تولى الخلافة، فضلاً عن أن المأمون نفسه الذي رأى نفسه ليس أكثر من سجين لوزرائه الفرس في خراسان عرف نواياهم فانقلب عليهم، وقتل الفضل بن سهل، بينما المعتصم الذي ربما لم يكن أحد يتوقع أن يعتلي سدة الحكم كان يناصر إستراتيجية جديدة مختلفة، ولعل الله سبحانه وتعالى قدر أن يكون على يدي المعتصم بجلبه للأتراك من أواسط آسيا نحو العراق، ستحدث خطوة أولى نحو تشكيل إستراتيجية الدردنيل الإسلامية التركية في المستقبل البعيد، بحيث تبدلت الجغرافيا والتاريخ هناك.

الاتجاهات الجديدة للإستراتيجية الإيرانية:

ومع هذا فقد ظل الخليفة العباسي المعتصم يمثل إستراتيجية جزيرة العرب بينما قام الأتراك بإقصاء إستراتيجية إيران بشكل نهائي، فانقسمت

إستراتيجية إيران إلى فريقين: الفريق الأول اتجه نحو تقليد ما قام به طاهر بن الحسين بتأسيسه للدولة الطاهرية تحت عباءة الخليفة العباسي، وقد قامت عدة دول على هذا المنوال: بحيث تشكلت الدولة الزيارية ٣١٦هـ والدولة السامانية، والصفارية والبويهية والتي عملت – هذه الأخيرة - على التقليل من قيمة الخليفة، كما حاولت الرجوع علناً إلى مجد الأكاسرة، كما فعل مرداويج بن زيار مؤسس الدولة الزيارية والذي استقل بجرجان وطبرستان وضم همدان وأصفهان وغيرها وتطلع إلى إحياء المجد الفارسي القديم من خلال القضاء على ملك العرب، إلى الدرجة أن أوصى جنده بأن يعيدوا بناء إيوان كسرى بالمدائن غداة دخوله بغداد، كما أعد لنفسه تاجاً ساسانياً يشبه تاج أنوشروان بن قباذ ليلبسه في تلك المناسبة وصنع لنفسه سرير من الذهب ليجلس عليه تشبهاً بكسرى[٤٩].

أما الفريق الثاني: وهو الطريق الرابع للإستراتيجية الإيرانية التي تجربه لمقاومة إستراتيجية جزيرة العرب؛ فقد اتجه إلى العمل السري والتنظيمات الشيعية المختلفة التي بدأت تنمو كما ينمو الفطر خاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهو الاتجاه الأخطر للإستراتيجية الإيرانية لأنها خرجت من طور الدفاع عن الذات داخل الهضبة الإيرانية نحو الجزيرة العربية ذاتها، فمن اليمن إلى نجد والأحساء إلى جانب العراق تمكنت من تكوين سلالات شيعية، بل وإيرانية في حالة القرامطة، مما جعل إستراتيجية جزيرة العرب تعيش أسوأ حالة مرت بها عبر العصور؛ بحيث أعادت إليها تلك الفترة التي سبقت ظهور الإسلام حين تمكنت الإستراتيجية الإيرانية من الاستحواذ على العراق واليمن.

فكما يرى ابن خلدون أنه منذ افترقت عصبية العرب بسقوط دولة بني أمية ((ظهر دعاة أهل البيت بالمغرب والعراق من العلوية ونازعوا خلفاء بني العباس واستولوا على القاصية من النواحي كالأدارسة بالمغرب الأقصى والعبيديين بالقيروان ومصر والقرامطة بالبحرين والدواعي بطبرستان والديلم والأطروش

فيها من بعده))، بحيث أن مذهب كمذهب القرامطة التي يعتقد أنها جزء من فرق الإسماعيلية قد أخذت بمبدأ سنباد أصبهبد الذي أعلن رغبته بهدم الكعبة بحيث تمكن أبو طاهر الجنابي في عام ٣٢٧هـ من تحقيق هذا الهدف بعيد المدى للإستراتيجية الإيرانية فاستباح مكة ثلاثة أيام،وقتل الآلاف من المسلمين وهدم الكعبة ونقل الحجر الأسود إلى هجر عاصمة القرامطة، وأعفى أتباعه من أركان الإسلام كالصلاة والصوم وغيرها[٥٠].

. فأبو عبدالله الشيعي يؤسس الدولة الفاطمية في المغرب، وحمدان القرمطي يؤسس دولة ومذهب القرامطة في شرق جزيرة العرب، والدولة البويهية على المذهب الشيعي الإثني عشري من ٣٢٠هـ- ٤٤٧هـ، وهناك الكثير من المذاهب الشيعية المختلفة كالمشبهة والجهمية والدرزية وغيرها من شرق الأمة إلى غربها.

حتى يمكن القول أن إستراتيجية الجزيرة العربية القائمة على الإسلام السني مذهب الخلافة العباسية قد أصبح غريباً على الأمة، بحيث لم يحفظ هذا المذهب إلا العنصر التركي الذي كان يقوده محمود الغزنوي في الدولة الغزنوية في أفغانستان، بينما انتشرت المذاهب الشيعية مع انتشار الدويلات الشيعية في جزيرة العرب ذاتها بما تمثله من تبعية للإستراتيجية الإيرانية القائمة على اصطناع الموالي واضطهاد العرب في عقر دارهم بين نهاية القرن الثاني والرابع للهجرة، كالقرامطة في شرق الجزيرة العربية والدولة الأخيضرية في نجد ووسط جزيرة العرب، إلى جانب انتشار مذاهب الإسماعيلية كالصليحية وكذلك الزيدية في اليمن؛ وهنا تأتي المفارقة ففي الوقت الذي تمكن رجال الإستراتيجية الإيرانية من ضرب إستراتيجية جزيرة العرب في عقر دارها وتغيير مبادئ دينها ومصدر قوتها؛ فإن الله قد حفظ لها هذا المصدر من حيث لا تحتسب الإستراتيجية الإيرانية؛ بحيث جاءها من الشرق من جهة أفغانستان والدولة التركية الغزنوية ومن بعدها السلاجقة.

وقد نتعجب من قدرة الإستراتيجية الإيرانية على التخطيط البعيد المدى مع أن نفسها قصير فلا تلبث أن تنحني من جديد، فنرى أبو مسلم حين قرر أن يحج إلى مكة قد خطط أن يكسب ولاء العرب في جزيرة العرب نفسها ربما استعداداً لدورة قادمة يستولي بها على الحكم من خلال إدعائه النسب العباسي، كخطة مرحلية لانتقال الخلافة برمتها إلى الإيرانيين بسهولة وتخطيط محكم، حتى يذكر ابن خلدون أن أبا مسلم كان يقدم نفسه على المنصور ((ويؤيد نفسه عليه، ويتقدم بالإحسان للوفود وإصلاح الطريق والمياه، وكان الذكر له، وكان الأعراب يقولون: هذا المكذوب عليه))[٥١].

نموذج الدولة البويهية كمثال:

لقد بلغ تسلط الإستراتيجية الإيرانية مداه في ظل الدولة البويهية على الخليفة العباسي، بما يمثله ذلك من نقلة كبيرة في تلك الإستراتيجية، فلم تعد تكتفي في الدور الثاني أو الثالث بالدولة كقائد الجيش أو الوزير العباسي، وإنما أصبحت إستراتيجية إيران في ظل الدولة البويهية بمثابة " دولة داخل دولة " وانتزع السلطان البويهي من الخليفة كافة صلاحياته، مما عد أحد الباحثين الإيرانيين قيام هذه الدولة "بعصر اليقظة الإيرانية التي اتخذت من المذاهب ما ينسجم مع ميولها "[٥٢].

وكان السلطان البويهي قادراً – آنذاك - على عزل الخليفة العباسي نفسه، وتحقيق المشروع الشيعي الذي كان يستهدف إقامة خلافة علوية، وهناك وثيقة تدل على ما وصل إليه الأمر بين الطرفين الخليفة والسلطان؛ حيث يقول الخليفة المطيع في عهد تولية عضد الدولة: ((قد رأيت أن أفوض إليك ما وكل الله تعالى إلي من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها، وتدبيرها من جميع جهاتها، سوى خاصتي وأسبابي وما تحويه داري))، بل لقد كانت رسالة كتبها الخليفة المطيع لعضد الدولة أشد من الأولى؛ يقول فيها مبرراً

قعوده عن الجهاد: ((الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي، وعلي تدبير الأمور والرجال، وأما الآن وليس لي منها إلا القوت القاصر عن كفافي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف، فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي يُخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم، فإن أحببتم أن أعتزل، اعتزلت عن هذا المقدار أيضاً وتركتكم والأمر كله))[٥٣].

ويرى بعض المؤرخين أن معز الدولة البويهي حين دخل بغداد، فكر بالقضاء على الخلافة العباسية، ليقضي بها على إستراتيجية جزيرة العرب الاسمية على العراق وإيران، وأن يستبدل بالخليفة العباسي خليفة علوياً، لكن بعض مستشاريه نهوه بشدة وقالوا إن ((هذا ليس برأي، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، فإذا أجلست بعض العلويين خليفة؛ كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته؛ فلو أمرهم بقتلك لفعلوه))[٥٤] وهي التجربة التي لم يستفد منها أبو عبدالله الشيعي مع عبيدالله المهدي عند قيام الدولة الفاطمية.

ولا غرو في قيادتهم للإستراتيجية الإيرانية فإن بنو بويه أرجعوا نسبهم إلى يزدجرد بن هرمز بن كرمنشاه بن سابور الملك بن سابور ذي الأكتاف المنسوب إلى الملوك الساسانيين[٥٥]، وسواء كانوا فرساً إيرانيين أو كما عدهم ابن طباطبا بأن نسبهم يعود لأسرة يهودية إيرانية؛ حيث أرجع نسبهم إلى يهوذا بن يعقوب[٥٦]، فإننا لن نستغرب مثل هذا النسب من حيث أن هناك حقيقة تاريخية، وهي أن سرجون الثاني حين قرر تدمير مملكة نابلس اليهودية وإحلال العرب مكانهم، فقد رحل -كعادة الآشوريين - شعب نابلس اليهودي الذي يعود لعشرة أسباط من أسباط بني إسرائيل، ولم يعثر لهم على أثر حتى يومهم هذا، فهل هم وزعوا بعناية فائقة من قبل الآشوريين بحيث أسكن كل مجموعة صغيرة منهم في مدينة أو قرية بحيث ذابوا في تلك المجتمعات أم أن

الآشوريون قد أبادوهم واختفوا من التاريخ، ولعلنا نجد أن بعض مهووسي الشعب الإنجليزي ظل يبحث طويلاً آملاً في أن يكون الشعب الإنجليزي هو أحد الأسباط العشرة الضائعة ولعلنا نلمس الكثير من المؤشرات التي ترجح مثل هذا النسب، كالعلاقات الوطيدة والنفوذ الواسع الذي اكتسبه اليهود الإيرانيون في هذا العصر البويهي[٥٧]. إلى جانب ما اشتهرت به الإستراتيجية الإيرانية على مر العصور من أن نهضتها ترتبط في الغالب بإقامة علاقات خاصة ووطيدة مع اليهود.

ومع ذلك فإن إستراتيجية جزيرة العرب الاسمية بالعراق وإيران مع وجود السلطان البويهي والسلجوقي قد أصبحت بلا حولٍ ولا قوة بالعراق، وتمكنت الإستراتيجية الإيرانية ليس في ضرب إستراتيجية جزيرة العرب بالعراق وإنما في عقر دارها من خلال خطتها بعيدة المدى بالحرب الثقافية والإعلامية والتمذهب (بمعنى أن مذهب ينشق من مذهب آخر)،ومن خلال هذه الخطة تمكنت من ضرب معتقدات العرب، و تمكنت من إخراجهم خارج مسرح التاريخ فعلياً لعدة قرون مع استمرارهم اسمياً فقط من خلال وجود الخليفة العباسي ببغداد، بحيث سيسطر على العراق صراع جديد بين الإستراتيجيتين الإيرانية والتركية – فيما بعد - والتي كانت تتجه عبر مسيرة طويلة من التغييرات الديموغرافية والهجرة لكي تصبح قادرة على أن تمثل إستراتيجية الدردنيل.

تلاها جهود السلاجقة الأتراك الذين كانت المنطقة – الشرق الأدنى - تعيد تشكيل نفسها من خلال الجغرافيا والتاريخ من خلال هذا الجنس التركي، ورغم أنهم من جنس ومذهب الغزنويين، إلا أن الدولة الغزنوية حاربتهم بقوة ومنعتهم من النزول إلى إيران فترة من الزمن؛ لقد حسم العنصر التركي أخيراً المعركة في ذلك العصر فكل الجهود التي قام بها فلاسفة ومتشددي إستراتيجية إيران لضرب إستراتيجية جزيرة العرب ومصدر قوتها

الدينيـة والفكريـة والعـسكرية والـسياسية، وذلـك مـن خـلال تـشرذم المـذاهب والأفكـار باضـطراد وتـشكيل الـدويلات هنـا وهنـاك كـل لهـا نحلـة أو مـذهب مختلف، بشكل يجعل تلك الإستراتيجية المنافسة لها (أي جزيرة العرب) بلا روح ولا قوة، كل تلك الجهود ذهبت أدراج الرياح بجهود موفقة من العنصر التركي الغزنوي والسلجوقي.

هوامش الفصل الثاني

١. الطبري . تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر . القاهرة . ١٩٦٢م . ج٣ . ص٥٩٤

٢. ابن الأثير . الكامل في التاريخ . دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر . بيروت . ١٣٨٥هـ /١٩٦٥م. ج ٣ . ص٤١

٣. المصدر السابق. ج٣ . ص ٣٧.

٤. السيوطي . تاريخ الخلفاء . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . مطبعة السعادة بمصر . الطبعة الأولى .١٣٧١هـ -١٩٥٢م . ص١٣٣

٥. الطبري . المصدر السابق . ج٣ . ص٥٨٨

٦. السيوطي . المصدر السابق . ص١٣٣؛ من العجيب أن نرى بعض الدول في العصر الحديث تأخذ من جوانب أمنية بحتة بمثل هذه السياسة فإسرائيل على سبيل المثال تمنع الشباب دون سن الأربعين من الصلاة في المسجد الأقصى . وكذلك في بعض الحالات في أمريكا وبريطانيا .

٧. الطبري . المصدر السابق . ج٤ . ص١٩٠-١٩١؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٣ . ص٤٩؛ د.عبدالعزيز محمد اللميلم . المرجع السابق . ص٢٠-٢٢

٨. الطبري . المصدر السابق . ج٤ . ص٢٩٣-٢٤٠؛ د.عبدالعزيز اللميلم . المرجع السابق . ص٢١ . ص٢٣ . ص ٢٥؛ طارق محمد سكلوع العمودي . كعب الأحبار هل له ضلع في حادثة مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

مجلة مركز وبحوث ودراسات المدينة المنورة . العدد السادس . رجب – رمضان ١٤٢٤هـ سبتمبر – نوفمبر ٢٠٠٣م . المدينة المنورة الشركة السعودية للتوزيع . ص ١٥١-١٩٦.

٩. د. حسن ابراهيم حسن . تاريخ الإسلام... مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . الطبعة السابعة . ١٩٦٤ م . ج ١ . ص ٢٥٢؛ د. عبدالعزيز محمد اللميلم . المرجع السابق . ص٨

١٠. ابن الأثير . المصدر السابق . ج٣ . ص٥١

١١. الطبري . المصدر السابق . ج٤ . ص٣١٧-٣٢٢. ص٣٢٤-٣٢٥

١٢. د. سليمان الرحيلي . مظاهر الشعوبيةفي العصر البويهي . . بحث منشور في مجلة بحوث تاريخية صادر عن الجمعية التاريخية السعودية عن اللقاءين العلميين الأول والثاني في شهر شوال ١٤٠٩هـ وشوال ١٤١٠هـ . مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض . ١٤١١هـ -١٩٩١م . ص٢٨٣-٢٨٤

١٣. المرجع نفسه . ص٢٨٤

١٤. الطبري . المصدر السابق . ج٤. ص٣٢٦-٣٢٧ الطبري . المصدر نفسه. دار صادر. بيروت . الطبعة الثانية . ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م . ج٢ . ص٧٩١-٧٩٢

١٥. المسعودي . المصدر السابق . ج٣. ص٤١٤-٤٢٤؛ الطبري . المصدر السابق . ج٢ . ص٧٧١

١٦. الطبري . المصدر السابق . ج٢ . ص٧٧١-٧٧٢؛ و ص ٧٨٨-٧٨٩؛ ص ٧٩٢

١٧. المصدر نفسه . ج٢ . ص٧٩٣

١٨. المصدر نفسه. ج٢ . ص٧٩١-٧٩٢

١٩. وجيه كوثراني . المرجع السابق . ص١٠١

٢٠. ابن خلدون . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر . في أيام العرب والعجم والبربر.... دار الكتاب اللبناني . بيروت . المجلد الثالث . القسم الأول(ج٥) . ص٣٦٧. ص٣٧٨؛ د. محمد عبدالحي شعبان . الثورة العباسية . ترجمة عبدالمجيد القيسي . دار الدراسات الخليجية . ص٢٢٤.

٢١. وجيه كوثراني . المرجع السابق . ص١٠٢

٢٢. ابن خلدون . المصدر السابق . مجلد ٣ . القسم الأول . ج٥. ص٣٦٩؛ د. محمد عبدالحي شعبان . المرجع السابق . ص ٢٢٤ . ص٢٤٧- ٢٥٠ ص ٢٥٥-٢٥٦.

٢٣. المرجع نفسه . ص٢٥٣-٢٥٥

٢٤. المسعودي . المصدر السابق . ج٢ . ص٢٦٨- ٢٦٩؛ د.عبدالعزيز محمد اللميلم . المرجع السابق . ص ٩٧

٢٥. د.حسن فاضل العاني . سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية . بغداد و١٩٨١م. ص١٧٢

٢٦. ابن خلدون . المصدر السابق . المجلد ٣ القسم ١ . ج٥. ص ٣٩٠-٣٩٢

٢٧. المصدر نفسه . المجلد ٣ القسم ١ . ج٥. ص ٣٩٠-٣٩٢

٢٨. د. حسن فاضل العاني . المرجع السابق .ص ١٦٩. ص١٧١

٢٩. ابن خلدون . المصدر السابق . المجلد ٣ القسم ١ . ج٥.ص ٣٧٠ . ص٣٨٤

٣٠. المصدر نفسه . المجلد ٣ القسم ١ . ج٥. ص ٣٧٦-٣٧٨؛ د. محمد عبدالحي شعبان . المرجع السابق . ص ٢٥٥-٢٥٧؛ انظر أيضاً : وجيه كوثراني . المرجع السابق . ص١٠١

٣١. ابن خلدون . المصدر السابق . المجلد ٣ القسم ١ .ج٥. ص٣٧٨؛ د. حسن فاضل العاني . المرجع السابق. ص ١٦٣-١٦٤

٣٢. المرجع نفسه . ص ١٦٤ . د. عبدالعزيزمحمد اللميلم . المرجع السابق . ص١٠٩-١١١

٣٣. ابن خلدون . المصدر السابق . المجلد ٣ القسم ١ . ج٥.ص٣٧٦-٣٧٧، ص٣٨٢؛ المسعودي . المصدر السابق . ج٣ . ص٢٦٨- ٢٦٩؛ د.عبدالعزيز محمد اللميلم . المرجع السابق . ص ٩٧؛ د. حسن فاضل العاني . المرجع السابق . ص ١٦٤-١٦٦

٣٤. المرجع نفسه. ص١٧٢

٣٥. ابن خلدون . المصدر السابق . المجلد ٣ القسم ١ . ج٥. ص ٣٩٠-٣٩٢؛ د. وجيه كوثراني . المرجع السابق و ص١٠٠ -١٠١

٣٦. ابن خلدون . المصدر السابق . ج٥. ص٣٧٨

٣٧. المصدر نفسة . ج٥.ص ٣٩٣ . ص ٣٩٥-٣٩٦ . ص٤١٧

٣٨. د. سليمان الرحيلي . المرجع السابق . ص٢٨٧

٣٩. ابن خلدون . المصدر السابق . المجلد ٣ القسم ١. ج٥. ص٤٢١ -٤٢٢

٤٠. المصدر نفسه . المجلد ٣ القسم ١ . ج٥. ص٤٦٠ . ص٤٦٤

٤١. ابن الأثير . المصدر السابق . دار الكتاب العربي . بيروت . الطبعة الثالثة . ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م . ج٥ . ص١١٥-١١٧

٤٢. المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. دار المعرفة . بيروت . ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م. ج٢ . ص٤٢٤ .

٤٣. المسعودي . المصدر السابق . ج٣ . ص٣٩٨.

٤٤. المصدر نفسه . ج٣ . ص ٤٠٨.

٤٥. المصدر نفسه . ج٣. ص٤١٤-٤٢٤

٤٦. انظر ص ١٧ من هذا البحث

٤٧. د.سليمان الرحيلي , المرجع السابق , ص٢٨٩؛ عبدالعزيز محمد اللميلم , المرجع السابق , ص١١٢-١١٣

٤٨. المرجع نفسه , ص٢٨٦

٤٩. ابن خلدون , المصدر السابق, المجلد الثالث , القسم الأول , ج٥, ص ٣٦٤؛ انظر سليمان سليم علم الدين , المدارس الفكرية والتيارات السياسية ودعوة التوحيد (تذكر يامروان) , دار نوفل , بيروت , الطبعة الأولى , ١٩٩٨م , ص٨٠-٨٢

٥٠. ابن خلدون , المصدر السابق , المجلد ٣ القسم ١ , ج٥, ص ٣٨٨ , انظر في ذلك :أيضاً د.حسن إبراهيم حسن , المرجع السابق , ج٣, ص٨٨-٨٩

٥١. د.سليمان الرحيلي , المرجع السابق , ص٢٨٨

٥٢. د.وجيه كوثراني , الفقيه والسلطان جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية –القاجارية والدولة العثمانية , دار اطليعة للطباعة والنشر , بيروت , الطبعة الثانية , ٢٠٠١م , ص٢٨ .

٥٣. ابن الأثير , الكامل في التاريخ , , ج٦ , ص٣١٥؛د.وجيه كوثراني , المرجع السابق , ص٢٨-٢٩؛ محمد أمين غالب الطويل , تاريخ العلويين , دار الأندلس للطباعة والنشر , الطبعة الثالثة , ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م , ص٢٩٦

٥٤. محمد أمين غالب الطويل , المرجع السابق , ص٢٩١

٥٥. د. سعد بن عبدالعزيز القصيبي , اليهود في العصر البويهي ٣٢٠-٤٤٧هـ الجمعية التاريخية السعودية , الرياض , الإصدار العاشر , ١٤٢١هـ ٢٠٠١م , ص٥

٥٦. كارين آرمسترونج , المرجع السابق , ص٤٤؛ د. سعد بن عبدالعزيز القصيبي , المرجع السابق , ص٣٦ -٣٩ , ص ٥١-٥٥

الفصل الثالث

صـــراع الإســـتراتيجيـــات الـــثلاث
علـــى العـــراق فـــي العـــصور الحديثـــة

الفصل الثالث
صراع الإستراتيجيات الثلاث
على العراق في العصور الحديثة

المواجهة الرابعة بين إستراتيجيتي إيران والدردنيل (تحالف إستراتيجيتي الدردنيل وجزيرة العرب):

(الحقبة العثمانية – الصفوية):

في ظل عجز وتراجع إستراتيجية جزيرة العرب عن العراق، إلى جانب ضعف الإستراتيجية الايرانية نفسها، فقد برز العنصر التركي كقوة جديدة على بلاد الشام والعراق وإيران ذاتها؛ إلى جانب هجرة ديموغرافية نحو الأناضول والدردنيل، ليستقر العنصر التركي هناك سيداً لإستراتيجية الدردنيل الإسلامية الجديدة، وفي الوقت الذي كانت إستراتيجية إيران لا تزال تعمل على تغيير الأرض بإيران أولاً ثم بالعراق، من خلال العمل على اختيار المذهب الذي يتناسب مع تفكير الإستراتيجية الإيرانية ويحقق لها استقلالها، فإن جزيرة العرب ظلت ساكنة تصارع قوى التسلط التي زرعتها الإستراتيجية الايرانية في شرقها وجنوبها، وفي الوقت الذي ستصبح إستراتيجية الدردنيل التركية الإسلامية الجديدة منافسة بالعراق، فإن جزيرة العرب من خلال أشراف الحجاز الذين قبلوا عن طيب خاطر بالتبعية لإستراتيجية الدردنيل والسلطان العثماني، سيكون ذلك بمثابة تحالف غير معلن أو على الأقل قبولاً

من قبل إستراتيجية جزيرة العرب بسيطرة إستراتيجية الدردنيل على العراق ضد الإستراتيجية الإيرانية.

وفي الوقت الذي كانت إستراتيجية الدردنيل (الدردنيل وأوروبا) تشهد ذاتها صراعاً بين إستانبول وقوى وسط أوروبا وخاصة فرنسا وإنجلترا التي ستتحالف مع إستانبول في عهد سليمان القانوني من جهة؛ والبرتغال وأسبانيا من جهة أخرى، فإننا سنجد إيران تتحالف مع البرتغال ضد إستراتيجية الدردنيل الإسلامية، لعله التحالف الثاني بين الإستراتيجيتين(أي تحالف الإستراتيجية الإيرانية مع الجزء الثاني من الإستراتيجية الأوروبية الضعيفة — آنذاك — أي البرتغال)، ضد الجزء القوي من إستراتيجية أوروبا- الدردنيل (الدولة العثمانية) المتحالف ضمنياً مع إستراتيجية جزيرة العرب بخصوص العراق[1] أي أنه في الوقت الذي انقسمت فيه إستراتيجية الدردنيل على نفسها بين القسطنطينية (استانبول) الإسلامية المتحالفة مع إستراتيجية جزيرة العرب؛ فإن القسم الثاني روما وباريس و فيينا والبرتغال وأسبانيا قد تحالفت مع الإستراتيجية الإيرانية حيث يعيد التاريخ نفسه هنا للمرة الثالثة.

ذلك أن الملك الفارسي أبرويز قد تحالف مع الآفار والصقالبة ضد الإمبراطور جستنيان وهرقل لتفرض الإستراتيجية الإيرانية شروطها على إمبراطوري بيزنطة فترة من الزمن بفضل هذا التحالف، ولكن في حالة إسماعيل الصفوي وملك البرتغال، لم يتمكنا من الانتصار على سليم الأول وسليمان القانوني.

بدايات التغيير:

تمكن السلاجقة الأتراك أن ينزلوا إلى العالم الإسلامي، ومن بغداد بدأت هجرة ديموغرافية نقلت العنصر التركي من أواسط آسيا نحو الأناضول عبر

إيران، في هجرة ستغير الجغرافيا والتاريخ في تلك المنطقة، بحيث أنها ستتواصل من خلال سلاجقة الروم ثم الدولة العثمانية والتي ستقوم بفتح الأناضول والبلقان شبراً فشبراً من براثن الدولة البيزنطية التي كانت تصارع ضعفها.

لقد تطلع العثمانيون إلى وراثة بيزنطة منذ عهد السلطان يلدرم (بايزيد الأول) (١٣٨٩-١٤٠٢م) حين أعلن نفسه سلطان الروم وبمباركة وتوقيع الخليفة العباسي بالقاهرة[٢]. كما تمكن سلطان الروم بايزيد الأول أن يكون سلطان الروم بحق حين أجبر الإمبراطور البيزنطي على أن يمنح المسلمين بالقسطنطينية جامعاً ومحكمة وقاض خاص بهم[٣].

وفي عام ١٤٥٣م تمكن السلطان العثماني محمد الفاتح من فتح القسطنطينية وتغيير اسمها إلى إسلامبول، كما غير كنيسة أياصوفيا لتصبح مسجداً، وقد ظلت إسلامبول مركزاً لإستراتيجية الدردنيل فيما يتعلق بالعراق وبلاد الشرق الأدنى عموماً، تماماً مثلما كانت القسطنطينية قبل ذلك، فقط تغير اسم العاصمة العريقة وديانتها وجنس الشعب الذي يقطنها والحاكم الذي يسير دفة السياسة فيها، وكسلفها الدولة البيزنطية في أوائل عصورهما فقد كانت غاية السياسة العثمانية هي أوروبا في بداية الأمر، فقد تركت الشرق الأدنى وراء ظهرها ولم تكن ترغب الوقوف ربما إلا على أبواب باريس عبر روما التي وجه محمد الفاتح أساطيله تجاهها لولا وفاته المبكرة، لقد صدمت أوروبا من فتح الفاتح للقسطنطينية فقد لاح لهم حدود تقدم الأتراك في أوروبا بل بدأ الخوف يدب في قلوب البابوات الذين اعتقدوا أن مصير روما لن يختلف عن المصير الذي آلت إليه القسطنطينية[٤].

في وقت مبكر من العصر الحديث كذلك ظهرت سلالة قوية " منحرفة " في إيران – على حد تعبير برنارد لويس – وحاول إسماعيل الصفوي المشكوك أصلاً في أصله الفارسي؛ بحيث يرى كثير من المؤرخين أنه كان تركياً

ويستدلون على رأيهم، بأن الصفويين قد ((حوَّلوا إيران إلى دولة كل ما فيها تركي أو للعناصر التركية،حتى ضاع فيها الفرس وأصبحوا غرباء في وطنهم)) بل إن الملوك الصفويين كانوا يتحدثون بالتركية وليس بالفارسية وينظمون الشعر بالتركية، وحتى اللغة المستخدمة في بلاطهم وديوانهم كانت اللغة التركية وليست الفارسية، و يكمل مؤلف كتاب " سياست واقتصاد در عصر صفوي " د.ابراهيم باريزي قائلاً:((إن ما فعلوه بإيران وبالفرس لا يقبل فارسي أن يفعله بوطنه وَمواطنيه))(٥).

وبغض النظر عن نسبهم سواء كان تركياً أم فارسياً فإنهم بالأصل إيرانيين لأن إيران تضم شعوباً وقوميات فارسية وتركية وكردية وعربية، ولذا فهم إيرانيون بغض النظر عن كونهم فرساً أم أتراكاً، وحتى لو اعتبرناهم أتراكاً فإن الأتراك قد " تأثروا كثيراً في رحلتهم غرباً عبر فارس بثقافة الهضبة الإيرانية القوية "، ولعل الأهم من هذا كله هو أنهم تطلعوا كعادة ملوك الأرض عامة وملوك فارس خاصة من اصطناع نسب شريف يصبغ على ملكهم الشرعية، فمن ناحية نجد أن إسماعيل الصفوي يدعي أصلاً عربياً شريفاً متناسياً الأصل التركي أو الفارسي؛ وبأنه من سلالة الإمام السابع للشيعة الجعفرية موسى الكاظم أي إلى علي بن أبي طالب مباشرة، محاولاً توحيد الفرس والعرب والترك والمغول حيث قامت سلطته على أنقاض مملكة تيمورلنك(٦).

وتمركزت سلطة الشاه اسماعيل الصفوي في المنطقة الشمالية الغربية قرب الحدود الإيرانية – العثمانية، لتشكل حاجزاً صعب النفاذ بين إيران والأناضول وهي حواجز " العقيدة والخوف " – كما يسميها برنارد لويس -؛ وهنا بدأ الصراع البارد بين الطرفين إستراتيجية إيران وإستراتيجية الدردنيل، فقد كان هناك ملايين المسلمين السنة في إيران، كما كان هناك بضعة مئات من الشيعة في الأناضول، " والذين كان يمكن أن يتهموا بموالاة شاه إيران المنحرف

المبتدع. كان كل من السلطان العثماني والشاه الصفوي في نظر الآخر ملحداً وغاصباً لا يطاق "(٧).

ويرى الدكتور عبدالله العسكر في بحثه في التحقيب التاريخي أن إسماعيل الصفوي حين اتخذ من المذهب الشيعي مذهباً لدولته لم يكن إلا كنوع من ترسيخ ظاهرة الإقطاع العسكري القائم هنا في الحالة الصفوية على ظاهرة المذهب القومي، حيث بدأ إسماعيل الصفوي بفرض المذهب الشيعي بالقوة في إيران والعراق، ومن ثم دخل في صراع مذهبي /سياسي مع السلطان العثماني، لقد صنع إسماعيل الصفوي في الشرق الإسلامي انشقاقاً دينياً رهيباً فقد حاول تغيير المذهب السني بالعراق بالقوة لولا أن السلطان العثماني تمكن من سحق هذا الانشقاق الشيعي بالقوة(٨).

ومما يؤكد ما ذهب له د. العسكر أن جد إسماعيل الشيخ صفي الدين اسحق الأردبيلي ٦٥٠-٧٣٥هـ كان شيخاً صوفياً على المذهب الشافعي وله زاوية في مدينة أردبيل، ولم يغير مذهبه الصوفي السني الشافعي إلى الشيعي الإثني عشري إلا لأهداف سياسية بعيدة المدى ولعل اعتزاز الإيرانيين بالدولة الصفوية باعتبارها أنها الدولة التي حققت حلمهم في الوحدة والسيادة والقومية، لأنها أول دولة إيرانية تحكم بلادهم منذ الفتح العربي تجعلنا نفهم ما ذهب إليه د. العسكر(٩).

لعلنا لا نغالي إن قلنا أن الشاه إسماعيل الصفوي لم يكن قادراً على تغيير قالب تفكيره الإيراني وتفكير مستشاريه الفرس، ذلك التفكير الذي لا يحسن التعامل الإستراتيجي مع المشكلات، وخاصة إدارة الصراع الإستراتيجي مع الدردنيل وجزيرة العرب، فكأنه قدراً مقدوراً على زعماء إستراتيجية إيران أن يسيروا بنفس الخطى دون أحذ العبرة من التاريخ، فكما فعل ملوك المملكة المادية الإيرانية مع مملكة ليديا في آسيا الصغرى، حين بدأوا باستفزازها، وكما فعل قورش وخليفته قمبيز ملوك الدولة الأخمينية الفارسية

حين استفزوا اليونان ممثلي إستراتيجية الدردنيل آنذاك فجلبوهم ليس إلى فارس وإنما إلى جبال الهملايا، وهو العمل الذي فعله أكاسرة الدولة الساسانية حين استفزوا إستراتيجية الدردنيل في عهد الدولة البيزنطية – جستنيان وهرقل – حتى تمكن هرقل من دخول عاصمة كسرى التي فر منها كسرى، فقد قام الشاه إسماعيل الصفوي بنفس الإستراتيجية الغبية من استفزاز سيد إستراتيجية الدردنيل في عصره السلطان العثماني من جديد.

سمات الإستراتيجية الإيرانية عبر العصور:

كانت أهم سمات الإستراتيجية الإيرانية عبر العصور هي حب المال، والغرور والصلف وتفخيم الألقاب، وشهوة الانتقام من الشعوب المغلوبة بالعنف والإرهاب وبشكل لا تقبله أية إستراتيجية أخرى عدا المغول، وقد حاولت مملكة فارس الصفوية إعادة كرة الصراع بين تبريز وإستانبول كما كان بين (سوسة واكتسيفون) و مع (مقدونيا والقسطنطينية)؛ في وقت كانت جزيرة العرب خارج مسرح التاريخ في الحالتين؛ ولكن مع تغير الأدوار والشخصيات والديانات، فقد ظلت إيران والدردنيل في صراع مستمر على الشرق عامة والعراق خاصة.

وقد اتسمت الإستراتيجية الإيرانية بدموية عنيفة عبر العصور، فإيران الصفوية قد تمكنت بالحديد والنار والمجازر من تحويل فارس السنية إلى فارس الشيعية الأثني عشرية، كما كانت فارس تفعل بالمدن والشعوب اليونانية مما ولَّد انتقام الإسكندر المقدوني؛ حتى أن إسماعيل الصفوي كان يحرق الناس أحياءً إذا رفضوا أن ينطقوا بالثلاث شهادات حسب المذهب الشيعي الإثني عشري بأن يضيفوا إلى الشهادتين شهادة ثالثة هي " وأشهد أن علياً ولي الله "، وأن يعلنوا التبرؤ من أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وأن يقروا بصحة ولاية علي والأئمة الإثني عشر من بعده.

كما وصل به الأمر من شدة دمويته في بعض الأحيان بطهي بعض قادة أهل السنة ويرمي لحمهم للكلاب، كما ولى على بغداد خادم من خدمه وأطلق عليه لقب (أبا المنصور خليفة الخلفاء) استهزاء بالخليفة المنصور العباسي، وهي عقدة نفسية لدى الإستراتيجية الإيرانية فالألقاب مهمة بدرجة تفوق أية أمور أخرى، لذا نجد بالثقافة السياسية للإستراتيجية الإيرانية (البويهية – الصفوية) مالا يمكننا أن نجده في غيرها فلقب (خليفة الخلفاء) و (شاهنشاه،أي ملك الملوك) و(ذو الرياستين) و(ذو الكفايتين)،و (كافي الكفاة) و(الكافي الأوحد) و(أوحد الكفاة)[١٠]. وهو غرور اتصفت به الإستراتيجية الإيرانية أكثر من بقية الأمم.

وكان احتلال إسماعيل الصفوي لبغداد وضمها لإيران مع مطلع عام ١٥٠٢م /٩٠٨هـ، وفي عام ١٥٠٧م / ٩١٣هـ ضم ديار بكر وجزء من كردستان، كما تمكن من دخول بغداد في العام التالي وبناء قبة على قبر موسى الكاظم وقتل العديد من علماء المدينة وسكانها من أهل السنة متتبعاً نفس الخطى لأكاسرة فارس القديمة وسياساتها الدموية مع الشعوب التي يخضعونها لهم، بل وصل به الأمر أن يخرج عظام الإمام أبو حنيفة من قبره ويحرقها، وكما يقول أحد أساتذة طهران د.ابراهيم باريزي ((إن مظالم جيش الشاه إسماعيل وسلوكه المنحط تلوث القلم بالعار عند كتابتها، فإنهم بعد ارتكاب المذابح كانوا يوزعون الزوجات على أمراء القزلباشية))[١١].

كما أن التجارة وحب المال والثروة كانت وراء كثير من السياسات الإيرانية بالعراق، سواء ما ذكرناه عن أن ملك آل ساسان كان يتهاوى بينما نجد أن جيشاً كان لا يزال يحرس أيلة على رأس الخليج كمركز من مراكز التجارة بدلاً من الدفاع عن فارس، وكما ذكر د.الرحيلي من أن مسلك الشعوبيون في حيازة الأموال والاستبداد بها وتوزيعها على الصنائع والأتباع كما أعادت الدولة البويهية نظام الإقطاع الموجود لدى كسروية فارس بحيث يرى آشتور أن توزيع

الإقطاعات على كبار قادة الجيش قد" أدى إلى ظهور نوع جديد من الإقطاع في الدولة الإسلامية سمي إقطاع استقلال تمييزاً له عن إقطاع التمليك الذي كان معروفاً من قبل " فقد خلق هذا النظام الإقطاعي الجديد الفاسد الذي أسسه البويهيون ومن ثم نقله الأتراك السلاجقة إلى الشرق العربي " أزمة خطيرة في الإمبراطورية الإسلامية " في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي، لقد كان لهذا النظام الإقطاعي الذي نقله السلاجقة الأتراك عن البويهيون آثاراً سلبية عظيمة حين أحلوه محل النظام النقدي العربي، ومنحت الإقطاعات لقواد الجيوش ضماناً لولائهم، حيث ظل هذا النظام حتى القرن العشرين، وعمل تدميراً بالبنى التحتية الاقتصادية بالشرق العربي أكثر مما فعله البويهيون بالخلافة، وأكثر مما فعلته الحروب الصليبية بالشرق، فقد تفشى ذعر واسع من جراء هذا التحول الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع[١٢].

استجابة إستراتيجية الدردنيل للاستفزاز والتحدي:

في الجانب الآخر وفي الدردنيل تمكن الأتراك العثمانيون بالعسكرتارية العثمانية والإنكشارية من تحويل القسطنطينية المسيحية إلى عاصمة الإسلام السنية، وتجدد الصراع الفارسي البيزنطي القديم – الوثني المسيحي - على أسس مذهبية جديدة – شيعي وسني -، و قد تسببت محاولة إسماعيل الصفوي المتشدد غزو الأناضول وإخضاعه لإيران كممر لإخضاع العراق لإستراتيجية إيران، إلى استفزاز إستراتيجية الدردنيل للقدوم إلى العراق من جهة، ومن جهة أخرى تسببت في إعادة صياغة التاريخ فبدلاً من نشاط العثمانيين ضد فيينا عاصمة النمسا لفتحها، استدارت الآلة العسكرية العثمانية إلى الشرق لدرء الخطر الإيراني الصفوي على الأناضول، واستجابة لنداءات أهل السنة العراقيين بنجدتهم من سياسات إسماعيل الصفوي الدموية؛ ولعلنا نسجل مفارقة بسيطة هنا وهو أنه بدلاً من استنجاد الفرس بالآفار في

عهد هرقل، فقد قام الأوروبيين بالاستنجاد بالإستراتيجية الإيرانية في عهد إسماعيل الصفوي لإشغال إستراتيجية الدردنيل الإسلامية عن توحيد أوروبا تحت عاصمة الإسلام إستانبول.

كان بايزيد الثاني والد السلطان سليم الأول قد شعر بالخطر من الصفويين منذ إحراق جثمان الإمام أبي حنيفة؛ حيث أرسل السلطان بايزيد الثاني سفيراً إلى بغداد للتحقق من تلك الحادثة ثم قابل – السفير - إسماعيل الصفوي إثر ضمه لأصفهان، وقد بلغ الشاه من الصفاقة وقلة الدبلوماسية والغرور – تماماً كما كان عليه غرور قورش وقمبيز وأبرويز ودارا من قبل - فقام بإشعال نار كبيرة في ميدان المدينة وأمر بإلقاء جثث بعض الزعماء السنة الذين قتلهم إلى جانب بعض الأحياء في حضور سفير السلطان بايزيد الثاني العثماني ثم أعطوه رمادهم للذكرى.

وقد أرسل كذلك خليفته السلطان سليم الأول من بعده سفيراً لإيران يسأل الشاه عن الدافع الذي دفعه لحرق جثمان أبي حنيفة ويطلب الكف عن لعن الخلفاء الثلاثة رضوان الله عنهم، لقد كان إسماعيل الصفوي بربرياً إلى درجة لا تطاق فلم يتورع عن أن يسلخ جلد رأس أحد الملوك الأوزبك ويحشوه بالقش ويرسله إلى السلطان بايزيد بإستانبول، وقد قام السلطان بايزيد بإجراءات تتناسب مع خطورة الموقف بتلك المرحلة من الصراع، وذلك بنقل الشيعة في الأناضول إلى إقليم المورة بأوروبا في عام ١٥٠٢م وفي عام ١٥١١م، ورغم قسوة التهجير القسري من قبل العثمانيين للشيعة في الأناضول؛ غير أنهم أثبتوا أنهم أكثر رقياً وتحضراً من أسلوب الإبادة الذي اتبعه إسماعيل الصفوي في إيران والعراق لكل من ينتمي للمذهب السني، وقد اشتد الخطر الصفوي على شرق الدولة العثمانية وبدا مهدداً لإستراتيجية الدردنيل في الحدود الشرقية للعثمانيين، ولذا تنازل السلطان بايزيد لابنه السلطان سليم الأول عام ١٥١٢م لمواجهة خطر إسماعيل الصفوي في الشرق[١٣].

وقد تطور النزاع بين الإستراتيجيتين إلى صراع مذهبي ثم فكري ثم دبلوماسي، وأخيراً اتجه الصراع للحسم العسكري؛ حين حاول إسماعيل الصفوي التدخل في النزاع العائلي على السلطنة بين سليم الأول وابن أخيه مراد بن أحمد الذي التجأ للشاه طالباً مناصرته، وبعد أن وضع التاج على رأسه مستغلاً وعد مراد بالتشيع، وعده بإعادته على عرش العثمانيين قائلاً ((أمامنا نحو شهر ونصف إلى أن يحل فصل الربيع، وآنذاك سنتوجه إلى تبريز لجمع الجيش، وإذا حضر السلطان سليم وفر علينا الجهد، وإلا فستكون معركتنا على شاطئ أسكودار)).

وجاء رد السلطان سليم عنيفاً من خلال رسالة له للشاه ((ليكن معلوماً للشاه إسماعيل أنك أرسلت عدة مرات إلى أبينا المخرف فخدعته وأخفته، فمرة أرسلت له رأس شاهي بك ومرة قطعة من علم جنكيز خان، ولهذا السبب خلعناه، وقد صممت على الانتقام للماضي وكنت أنوي التوجه إليه في العام الماضي ولكن ثارت مشكلة أخي الذي التجأ ابنه إليك، وعلى أية حال يجب عليك أن تقيده وتجعل الأغلال في عنقه وترسله إلينا، وعليك أن تكف يدك عن ديار بكر، وتخرج أعوانك منها حتى ينتهي ما بيننا وبينك من عداوة و حرب، وتحل محلها المودة والصداقة، وإذا فعلت غير ذلك فعليك الاستعداد للحرب)).

وقد رد إسماعيل بغرور ملوك الفرس المعهود على رسالة سيد الدردنيل قائلاً ((قرأت رسالتك الركيكة التي ذكرت فيها عدم تعقل أبيك...، ولقد كان أبوك بعيد النظر، يعلم أن كل من يخالفنا نسويه بالأرض، وطالما أن أهواء الغرور قد سيطرت على عقلك فإن شاء الله سنقطع رأسك التعس هذا بقوة ذراع فاتح خيبر – أمير المؤمنين عليه السلام – ونرسله إلى ملك البرتغال))، ورفض بقية المطالب بصلف قائلاً ((ولما كنت تريد المجيء إلينا، فقد نلتقي والسلام))، وتوجه إليه سليم وأرسل إليه الإنذار الأخير بأنه إن لم ينفذ مضمون رسالته السابقة ((فموعدنا للحرب سيكون في تبريز، فاختر ماتشاء وأخبر رسولنا به وأعده

إلينا فنحن في انتظار ردك))، فأرسل إليه رسالة جاء فيها ((على أية حال أحسنت بمجيئك، وإن شاء الله سأجلب على رأسك ما تتحدث به الأجيال بعد ذلك... موعدنا أرضروم، وقد أحسنت أن أبلغتنا بقدومك)) ثم قال للسفير العثماني ((عد، فإنك ما تكاد تقابل القيصر حتى أكون قد لحقت بك))لقد كانت إشارته لملك البرتغال تذكير للسلطان سليم بالحلف الذي عقده الصفويين مع الأوروبيين ضد العثمانيين[١٤].

المواجهة العسكرية بين الإستراتيجيتين:

وفي ٢٣ أغسطس ١٥١٤م / أول رجب ٩٢٠هـ تواجه الجيشان وهزمت الإنكشارية والمدفعية العثمانية جيش الشاه في سهل جالديران قرب الحدود العثمانية الصفوية (الحدود بين إستراتيجيتي إيران والدردنيل آنذاك)، وكما هرب الملك دارا حفيد قورش من عاصمته أمام الأسكندر المقدوني؛ وكما فر كسرى أبرويز من عاصمته اكتسيفون التي أحرقها هرقل، فر الشاه إسماعيل الصفوي من تبريز عاصمته التي احتلها السلطان سليم الأول في ٤ سبتمبر ١٥١٤م أيضاً، واستولى على خزائن الشاه في عاصمته التي فر منها ونقلها إلى إستانبول، وبعد أن انسحب مؤقتاً حتى انتهاء الصقيع عاد من جديد واحتل تبريز العاصمة الإيرانية، في الوقت الذي عاد إلى عاصمته إستانبول فقد كلف جيشه بضم ولايات شرق الأناضول وشمال العراق كماردين و أورفه والرقة والموصل وديار بكر[١٥].

ويرى البعض أن معز الدولة البويهي تنبأ بنهاية حكم العلويين أو الشيعة وزوال مجدهم في كلمة كظ بحساب الجمل أي في عام ٩٢٠هـ ويعتبر عند الشيعة من أكبر رجال الدين الشيعة[١٦].

ثم انسحب السلطان العثماني " بعد أن تركوا الشاه مهزوماً ذليلاً " على حد تعبير برنارد لويس، مستعيداً شمالي العراق وكردستان، وكما تبادل كسرى وجستنيان اضطهاد وثنيي أثينا واليهود من جهة بيزنطة؛ واضطهاد المسيحيين من جهة كسرى؛ فقد تبادل الشاه إسماعيل الصفوي والسلطان العثماني سليم الأول اضطهاد السنة بإيران والشيعة في الأناضول[١٧]، وهنا يعيد التاريخ نفسه للمرة الثانية أو الثالثة، ولم يلبث الصراع بين الإستراتيجيتين أن تطور إلى أرض العراق التي كانت دائماً هي نهاية المطاف للإستراتيجيتين بحيث تمكنت استانبول من انتزاعه من سيادة الإيرانيين ومد نفوذها إلى الخليج العربي، بل لقد أعادت احتلال تبريز العاصمة الإيرانية مرة أخرى في عهد سليمان القانوني[١٨].

ويرى وجيه كوثراني أنه مما لاشك فيه أن الصراع العثماني الصفوي لم يكن دينياً مذهبياً صرفاً، " فثمة دولتان تقدمان نفسيهما دولتين إسلاميتين، تتصارعان على السيطرة على العالم الإسلامي، انطلاقاً من دوافع إستراتيجية وسياسية ونظام مصالح، لكن التأكيد المذهبي على انتماء كل دولة كان يعطي أهلها وقواها دفعاً تعبوياً وأيديولوجياً في الصراع[١٩].

ولعل الإيرانيون في العصر الحديث يعتزون بالدولة الصفوية أيما اعتزاز ويصورونها بأنها الدولة التي حققت حلمهم في الوحدة والسيادة والقومية، وأنها أول دولة إيرانية تحكم بلادهم بعد استعمار طويل أو حكم أجنبي مستمر منذ الفتح العربي لإيران ثم تبعه حكم الغزنويين والسلاجقة والمغول والتتار، بل إن البعض سمى الدولة البويهية " بعصر اليقظة الايرانية التي اتخذت من المذاهب ما ينسجم مع ميولها "[٢٠].

وقد اشتد الصراع الفكري والإعلامي بين العثمانيين والصفويين، ولعله من الطريف أن نذكر أن العثمانيين قد أرخوا لظهور المذهب الشيعي الصفوي بإيران في سنة ٩٠٦هـ ١٥٠٠م بحساب الجمل بكلمتين فارسيتين هما " مذهب

ناحق " بمعنى باللغة العربية " مذهب باطل " فرد الصفويون بأن حروف الجملة يجب قراءتها باللغة العربية لتكون " مذهبنا حق " ويجب ألا تقرأ باللغة الفارسية، وحيثما تزعم السلطان العثماني أهل السنة بعد سقوط دولة المماليك، فقد آثر الصفويون أن يتزعموا الشيعة، لذلك – ومما يلفت الإنتباه – اضطر الشاه لكي يكسب الصفة الدينية إلى جانب الدنيوية حسب المذهب الشيعي الإثني عشري أن يعود لفكرة " ولاية الفقيه " فطلب من علي بن عبدالعال الكركي العاملي كبير علماء الشيعة بجبل عامل بلبنان أن يوطد له دعائم السياسة والملك ويجيز جلوسه على كرسي الملك والحكم باسم الولاية العامة التي هي من صلاحيات الفقيه، وبهذا فقد وضع نفسه أمام شعوب إيران التي قام بسحقها بحد السيف والنار في منافسة إستراتيجية كبرى مع سيد الدردنيل السلطان العثماني[٢١].

كان الصراع الإستراتيجي بين إيران والدردنيل مريراً في هذه المرة، فقد قرر السلطان سليمان القانوني ضم تبريز وبغداد، وفي عام ١٥٣٤م وقد دخلها السلطان العثماني مرتين هذا العام، وتوجه منها بجيشه إلى بغداد، حيث دخلها بدون مقاومة تذكر، وهي الصورة التي عودتنا عليها إستراتيجية إيران حين يفر ملوك إيران من عاصمتهم عبر حقب التاريخ دون مقاومة؛ بعد أن يكونوا هم الذين أشعلوا حرباً شعواء ودموية مع الشعوب الأخرى، لقد اتسمت إستراتيجية إيران الدفاعية على مر العصور بقوة هشة سرعان ما تتهشم أمام أعدائها بسهولة تثير الدهشة والاستغراب.

وتكررت الحروب بين الإستراتيجيتين عدة مرات كان أهمها ما حدث في عهد السلطان مراد الثالث والشاه عباس الأول الصفوي، حيث وجه الأول عدة حملات ضد عدوه وأجبر الشاه على توقيع معاهدة في عام ١٥٩٠م نصت على أن أقاليم جورجيا وشروان وكارباخ وتبريز ولورستان هي مناطق للعثمانيين، كما أجبر الصفويون بموجب المعاهدة بعدم التشهير بالخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، وهو تقليد داب عليه الصفويون منذ الشاه إسماعيل الأول، بيد أنه بعد أن

تمكن من استقرار الوضع الداخلي، قام باستغلال أزمات العثمانيين في عام ١٦٠٥م وتحرك دون إعلان للحرب وحتى عام ١٦١٨م حيث وقعت معاهدة بين الطرفين أعيدت الحدود إلى ما كانت عليه في عهد السلطان سليم ماعدا العراق التي ظلت بيد العثمانيين، وهو ما يعنينا هنا أن إستراتيجية الدردنيل فرطت بكل فتوحات سلاطينها في أذربيجان وإيران ولكنها لم تتراجع عن مصالحها في العراق(٢٢).

على أن الصراع على بغداد بين الإستراتيجيتين لم ينته بعد، ففي عام ١٦٢٣م تدهورت أوضاع الإمبراطورية العثمانية الداخلية من جديد فتمكن الشاه عباس الثاني من الهجوم على بغداد وانتزاعها من العثمانيين وكذلك احتل الموصل وديار بكر، وارتكب أعمالاً دموية ضد سكان بغداد من السنة، وهدم مسجد أبو حنيفة وغيرها من أماكن العبادة لأهل السنة، ولم يتمكن العثمانيون من استعادة بغداد إلا في عام ١٦٣٥م؛ إلى جانب دخول الجيش العثماني لتبريز وأريوان، واستمرت الحرب سجال حيث استعاد الصفويون ما خسروه، فاضطر السلطان مراد الرابع أن يجرد حملة جديدة عام ١٦٣٨م نجحت في استعادة بغداد وعقدت معاهدة بين الطرفين اعتبرت أريوان إيرانية وبغداد عثمانية(٢٣).

لعل إستراتيجية الدردنيل بتغير ديانتها تمكنت من أن تندمج مع إستراتيجية جزيرة العرب ذاتها مادامت استانبول تطبق الإسلام وتدافع عن العراق، ولكن بعد أن توفي السلطان سليمان القانوني الذي لقبه الأوروبيين بالعظيم في عام ١٥٦٦م، اعتلى عرش الإمبراطورية العثمانية – إستراتيجية الدردنيل – سلاطين ضعفاء، مما جعل الجزيرة العربية بعد ما يزيد عن قرن ونصف من وفاته تتلمس قوتها من جديد، ومع أن العراق ظل قوياً أمام إستراتيجية إيران إلا أنه وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ١٧٩٥م بدأت جزيرة العرب تستولي على غرب ووسط العراق وتهدد جنوبه، وبنفس الطريقة

التي غزا الأموريون العراق في العصر القديم حيث كانت تلك الوثبة أو محاولة الوثوب نحو العراق لإستراتيجية جزيرة العرب قد انطلقت من الدرعية.

محاولة جزيرة العرب الثالثة استعادة العراق من إستراتيجية الدردنيل: (حقبة الدرعية)

غفلت جزيرة العرب عن العراق فترة طويلة من الزمن زادت عن سبعمائة سنة من السبات العميق أي ما يزيد عن سبعة قرون منذ استيلاء البويهيين على بغداد، تحت ظل ضربات قوية من إستراتيجية لإيران في عقر دار الجزيرة العربية حين تمكنت دولة القرامطة ذات الأصول الفارسية والدولة الأخيضرية ذات الميول العلوية الشيعية من ضرب المجتمع النجدي في قواه العسكرية والعلمية والاقتصادية بحيث ساهم بُعْد العواصم الكبرى من دمشق إلى بغداد والقاهرة إلى أن تفتقر جزيرة العرب لمصادر قوتها ونهضتها.

وللمرة الثالثة ماجت جزيرة العرب في نهضة إصلاحية كبرى قامت على عنصري الدين والوحدة، متخذة من القوة العسكرية والالتزام الديني بالجهاد ونشر مبادئ الحركة أسلوباً للقضاء على جيوب التقاعس والفرقة، وما إن تمكنت الدرعية من توحيد الجزيرة العربية إلا وسارت إستراتيجية جزيرة العرب في حقبة الدرعية على نفس خطاها في حقبة المدينة المنورة، فظهر الصراع مجدداً بين الإستراتيجيات أو الجغرافيات الثلاث في صراعها الإستراتيجي على العراق.

فالإستراتيجية الإيرانية لا تزال – في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر الميلادي أي في القرن الحادي عشر / الثاني عشر الهجري - تحلم بضم العتبات المقدسة في النجف وكربلاء إلى مملكتها، بينما نجد أن إستراتيجية الدردنيل ممثلة بالدولة العثمانية التي كانت قد بلغت منتهى ضعفها

وهوانها وفساد إدارتها تعتمد على قدرات ولاتها ببغداد لصد المؤامرات الإيرانية، وفي ذلك الوقت بين عامي ١٢١٤هـ - ١٢٢٥هـ كانت الدولة السعودية الأولى قد بلغت منتهى قوتها ومدها، حيث وضعت تنافس إستراتيجية جزيرة العرب مع إستراتيجية الدردنيل وإستراتيجية إيران على العراق على الطاولة،وكانت مسنودة بعسكرية قوية وسريعة وعنيفة[٢٤]، ربما لإرسال رسالة لمملكة فارس (الإستراتيجية الإيرانية) وللدولة العثمانية (إستراتيجية الدردنيل) أن العراق للعرب وليس للعجم بتركه وفرسه.

وقد بدأت الدولة السعودية توجه رسائل عنيفة لإستراتيجية إيران ممثلة بممثليها الشيعة بالعراق في كربلاء والنجف منذ عام ١٢١٦هـ / ١٨٠١م ورسائل هادئة ولكنها قوية أيضاً ضد الدردنيل (استانبول) فيما بين عامي ١٢١٦هـ وحتى ١٢٢٥هـ حين قامت بغزو أطراف مدينة دمشق أو بغداد نفسها[٢٥].

في هذه الفترة بلغ التنافس بين الإستراتيجيات الثلاث جزيرة العرب والدردنيل وإيران في العراق آخر مداه، إلى الدرجة أن طلبت إيران من الدولة العثمانية السماح لجيشها بالمرور مع العراق لحرب الدولة السعودية بعد ضرب الدرعية لمدينة كربلاء، ولكن القوى الدولية - ممثلة بإيران والدولة العثمانية وبريطانيا العظمى ممثلة بشركة الهند الشرقية ومحمد علي باشا بمصر المسنود بقوىً فرنسية منظمة – اتحدت معاً من أجل تدمير الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، ويلاحظ أن أهداف استانبول / عاصمة الدولة العثمانية قد بدأت بالتلاقي مع أوروبا (لتتحد إستراتيجية الدردنيل بجزأيها) إلى جانب تأييد من إيران ضد جزيرة العرب آنذاك، وفي أرشيفات وزارة الخارجية الفرنسية تقرير للقنصل العام لجلالة الإمبراطور الفرنسي وملك إيطاليا في حلب وملحقاتها وبلاد فارس ج ل روسو بعد عودته من بغداد إلى حلب في ٢٤ نوفمبر عام ١٨٠٨م يؤكد بدايات الإعداد للإجهاز على إستراتيجية جزيرة العرب في

عقـر دارهـا قبـل أن تبـدأ بتهديـد العـراق والـشام، قـال فيـه: ((إن دعـوة ابـن عبدالوهاب وتحالفه مع أمير الدرعية، ما هي إلا صحوة جديدة للعرب الذين مضى عليهم ردحاً من الزمان، مغمورين وراء كثبان صحرائهم وإن عودتهم إلى مسرح الأحداث من جديد وهم يحملون نفس المبادئ التي حملها أسلافهم في أوائل عهد الفتوحات الإسلامية والتي على أثرها تحطمت إمبراطوريتا الفرس والروم، وهذا ما جعل أنظار القوى الكبرى تتجه بعين المراقب الحذر إلى متابعة تلك الصحوة العربية))، وبعد أن يتحدث روسو عن اتساع نفوذ الدرعية، ورسوخ ذلك النفوذ ((وأصبح هذا الانضمام قائماً على قواعد راسخة وغير قابل لأية هزة)) يتساءل في تقريره وكأنه يجيب على أسئلة موجهة له من الحكومة الفرنسية حيث يقول ((أما كان من الممكن القضاء على هذه الحركة الإصلاحية وضربها في عقر دارها؟... إن السلطان العثماني مصطفى منذ توليه سلطة الخلافة أبدى اهتماماً كبيراً يعاونه وزيره الأعظم في القضاء على مشكلة حركة ابن عبدالوهاب وأتباعها، والتي لم تعد مثار اهتمام السلطان العثماني وحكومته فحسب؛ بل شملت اهتمام القوى الأوروبية أيضاً، ولكن السلطان فشل في تنفيذ خططه المعدة لتوجيه ضربة قاضية لهؤلاء العرب الذين لا يعترفون بسلطته))[٢٦].

ويرسم روسو القنصل الفرنسي بحلب خطته للقضاء على هذه الدولة مستخدماً خبرته بالمنطقة العربية حيث يقول لحكومته ((إذا كان هناك من يستطيع القضاء على الوهابيين فهو باشا بغداد، إذ يستطيع هذا الباشا أن يشكل قوة من القبائل المماثلة للقبائل المناصرة للوهابيين، وإن عدد القبائل التي يمكن توظيفها كبير جداً...بهذه الطريقة يمكن تكوين جيش من الميليشيات قادرين على مجابهة أعدائهم غير آبهين يدفعهم طمعهم في الغنائم بالإضافة إلى ما سيدفع لهم من مرتبات ثابتة، وتوجه هذه الجيوش مباشرة إلى الدرعية عن طريق الصحراء، على حين يتحرك الجيش النظامي المكون من العثمانيين والأكراد على

الطريق المحاذي للنهر قرب البصرة ومن هناك يتجه محاذيا للخليج العربي مندفعاً إلى بلاد الوهابيين، وبهذا يجد الوهابيين أنفسهم مطوقين من اتجاهات مختلفة وبضربة محكمة يودون بالوهابيين إلى نهايتهم وعندما يتم غزو الدرعية القلب النابض للوهابيين يصبح من المؤكد أنه لن تقوم لهم قائمة مرة أخرى ولا في مكان آخر))[٢٧].

في حقيقة الأمر لم يأت القنصل الفرنسي بجديد من حيث التخطيط العسكري أكثر مما فعله باشا بغداد مرتين عام ١٢١١-١٢١٢هـ في حملة ثويني بن عبدالله وفي عام ١٢١٣هـ في حملة علي الكخيا، غير أن الأهم هو إشارته لغزو الدرعية في عقر دارها من جهة، أما من جهة أخرى فإنه قد أكد إلى أن مسألة القضاء على الدولة السعودية الأولى التي تمثل إستراتيجية جزيرة العرب ((لم تعد مثار اهتمام السلطان العثماني وحكومته فحسب؛ بل شملت اهتمام القوى الأوروبية أيضاً))، وهو ما يعني أن توحيد طرفي إستراتيجيتي الدردنيل ضد عدو مشترك، (لأن الدولة العثمانية المسيطرة على الدردنيل أصبحت لعبة في يد القوى الكبرى وخاصة بريطانيا وفرنسا)، حيث اتجهت أنظار إستراتيجية الدردنيل بعين المراقب الحذر إلى متابعة تلك الصحوة العربية (إستراتيجية جزيرة العرب) والتي جعلت من العرب قوة جديدة فرضت نفسها على مسرح التاريخ من جديد، ولذا نجده يضيف في تقريره لحكومته إمكانية غزو الدرعية العاصمة في عقر دارها كقلب نابض لهذه الدولة بحيث يرى أنه يمكن أن يؤدي مثل هذا الغزو العسكري القوي إلى أن ((... يودون بالوهابيين إلى نهايتهم وعندما يتم غزو الدرعية... يصبح من المؤكد أنه لن تقوم لهم قائمة مرة أخرى ولا في مكان آخر))، وبمثل هذا التقرير يمكن لنا أن نرى أن إستراتيجية الدردنيل ممثلة بالدولة العثمانية والقوى الأوروبية سواء بريطانيا أو فرنسا قد بدأت العمل على القضاء على الدولة السعودية، وبشكل يقضي على

طموحات وآمال إستراتيجية جزيرة العرب التي تمثلها الدولة السعودية الأولى والتي أعادت العرب إلى ((... مسرح الأحداث من جديد))[٢٨].

لقد كان الإمام سعود الكبير ثالث أئمة الدولة السعودية الأولى وأقواهم على الإطلاق وزعيم إستراتيجية جزيرة العرب في مواجهة إستراتيجيتي الدردنيل بطرفيها وإيران له مشروعه العربي الخاص بالهلال الخصيب (العراق والشام) وإن كانت أولويته للعراق، فقد كان صريحاً وهو يحرض باشا بغداد – في رسالة له - بالتحالف معه لطرد نفوذ إستراتيجيتي الدردنيل وإيران من بلاد العراق والشام مقدماً قوات عسكرية قوامها ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل لتنفيذ هذا المشروع العربي الذي يخدم إستراتيجية جزيرة العرب ضد إستراتيجيتي فارس والدردنيل حين تم له ضم الحرمين الشريفين.

كما يشير إلى أنه قد جرى نوع من التفاهم أو التفهم لدى عبدالله العظم باشا دمشق لأهداف وتوجهات راسمي سياسات وإستراتيجية جزيرة العرب في حقبة الدرعية، لقد بدأ سعود الكبير يؤسس مشروع حلف كبير بين جزيرة العرب وأتباعها في العراق والشام، وقد أخضع مجلس المشورة العثماني الذي كلفه السلطان بدراسة رسالة الأمير سعود لباشا بغداد علي الكخيا، ورأى المجلس ((أن والي الشام عبدالله العظم قد قبل الدعوة السلفية))، ويقول سعود الكبير برسالة تحمل عرضاً سياسياً ولا تخلو من الترهيب والترغيب: ((...وإني أبشرك بأن إسلامي قد انتشر في كل الأماكن والجبال والورقة المرسلة هي ورقة الشريف وإن تسطيري كتابي عليها لم يكن لمجرد قلة وجود الورق؛ بل لأدلل بها على إقرار الشريف وأهل الحرمين على ما أنا عليه من دين، وعلى صحة إسلامي، ولتعرف قولهم ببطلان الأديان الأخرى، وإن مجيئنا لطرفكم لنجدكم في رأس الهندية وعلى نية مواجهتكم، ولكن الله تعالى لم ييسر لنا هذا التلاقي، وهذا عذر لك. هذا وإن فئة من رجالي اتجهت بالسلالم نحو النجف الأشرف، ولما لم تصل السلالم القلاع الطولانية عادت تلك الفئة، ولم أكن معها، فإذا

هداك الله للإسلام؛ فإني أبشرك بأن أجعل في خدمتك ٢٠٠,٠٠٠من الرجال لا تلتزم بإعالتهم فيكونوا تحت تصرفك في توجههم حيث تريد من الأطراف وما ترغب من حروب [سواء ضد الإستراتيجية الإيرانية أو إستراتيجية الدردنيل]، لقد دخلت الشام في إسلامي وإن مقدمي رجالنا الذين قصدوا الحج في هذه السنة، قد تعاهدوا مع أربع باشوات وقد دخل الشريف في الإسلام، كما دخل عبدالله باشا بن العظم وتعهدا على ما هو حسن وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلـــم))[٢٩].

لقد كان سعود بن عبدالعزيز من خلال هذه الرسالة يبلغ الدولة العثمانية بانتهاء سيادتها على كل أرض الجزيرة العربية بل وبمشروعه السياسي الجديد لطرد إستراتيجية الدردنيل من العراق والشام بجيش قوامه مائتي ألف جندي يتحرك من العراق لطرد نفوذها من الإقليمين العربيين، وربما حتى لغزو إيران وتهديد إستراتيجية إيران إذا ما هددت العراق.

ولكن العالم وقف بقوة ضد إستراتيجية الجزيرة العربية بالعراق، وكلف والي مصر بالقضاء على الدولة السعودية الأولى، وتم لمحمد علي باشا القضاء على الدرعية وهدمها لتنام أعين رجال (إستراتيجيتي الدردنيل وإيران) ملئ جفونهم؛ حيث هنأ ملك فارس محمد علي باشا تهنئة نادرة يعبر فيها عن فرحته الغامرة في سقوط عاصمة جزيرة العرب، حيث أخرجت جزيرة العرب من الصراع على العراق[٣٠] وبهذا فقد فشلت محاولة إستراتيجية جزيرة العرب من استعادة نفوذها بالعراق بسبب تحالف إستراتيجيتي الدردنيل بطرفيها إلى جانب إستراتيجية إيران التي بدأت تشاغل جزيرة العرب من البحرين وعمان ضد إستراتيجية الجزيرة العربية.

ورغم أن إستراتيجية الدردنيل ظلت مسيطرة على العراق خلال أربعة قرون، فإنها واجهت مضايقات من قبل إستراتيجيتي الجزيرة العربية وإيران، وبعد أن فشلت جزيرة العرب من استرداد نفوذها بالعراق، فقد حاولت

الإستراتيجية الإيرانية أن تجرب قدرتها على الزحف قليلاً نحو جنوب العراق، خاصة بعد أن لمست في إستراتيجية الدردنيل ضعفاً واضحاً؛ بحيث أنها تخلت عن مطالباتها القديمة بضم المحمرة إلى العراق، فقدمت إيران مطالب جديدة حول شط العرب مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي؛ مستخدمة بعض المصادمات التي هيأت أرضاً خصبة لمارسة ما أسماه ستيفن لونكريك بـ "أعمال القرصنة"، بل وشتى أنواع التحايل من حج غير مفروض عليهم نحو كربلاء والنجف، بحيث أصبحت مثل هذه القضية كمسمار جحا، بل إن المدهش أن تدخل في لعبة الإستراتيجية الإيرانية قضية دفن الموتى بالعراق؛ بحيث يأتي الإيرانيون بجثث موتاهم لدفنها بالمدن التي جعلها الشيعة مقدسة لهم حسب مذهبهم، حتى أننا نجد أن بريطانيا تتدخل من خلال تمركز إحدى سفنها الحربية في شط العرب في عام ١٨٩٨م لإيقاف أطماع الإستراتيجية الإيرانية[٣١].

وكانت الطرق والمراكز التجارية هي التي تشحذ همم راسمي الخطط للإستراتيجية الإيرانية للسيطرة على جنوب العراق على الدوام، ففي حين فشلت محاولات الإيرانيين السيطرة على بغداد أو البصرة، فقد عملوا على تشجيع عرب المحمرة على تنمية مناطقهم - وإقامة علاقات جيدة معهم وإن حافظ الشيخ خزعل على استقلاله، مع وجود علاقة خاصة مع إيران - ومن ثم تحويلها إلى مركز تجاري كبير؛ بحيث تم تأجيرها على إحدى الشركات الإنجليزية التي أصلحت الميناء وجعلت نهر الكارون صالحاً للملاحة النهرية في عام ١٨٨٨م[٣٢]، لتعويض الإستراتيجية الإيرانية عن فشلها في الإستحواذ على شط العرب أو جزء منه.

لقد كانت العراق هي الفردوس التي تريد إيران أن تستحوذ عليها، فكما يقول لونكريك ((ولم يكن حكام العراق ولا جماهيره يدهشون إلا قليلاً، حين يفكرون في جيرانهم الشرقيين _ أي الفرس _، والذين كانوا يغرقون في بحر من المآسي والبؤس، كان العراق يبدو بالنسبة إليه، فردوساً حقاً))، ولذا فقد

كانت الحكومة العثمانية تصر على أن يكون كامل شط العرب تابعاً لسلطة العراق[٣٣].

كان للتدخل البريطاني الروسي المشترك في إيقاف الجيش التركي عن الاستيلاء على إحدى المناطق الإيرانية الهامة في عام ١٩٠٧م، مثالاً يحتذى دولياً لحل المشكلات الحدودية بين إيران والعراق حيث نجحتا في بعث لجنة الحدود الفارسية التركية للانعقاد، وأصبحت روسيا وبريطانيا أعضاء في هذه اللجنة والتي توصلت إلى تحديد الحدود التي ثبتت حتى عام ١٩٥٠ م دون تغيير[٣٤].

وبعد إقامة مملكة بالعراق اعترفت كثير من الدول بها، ولكن إيران رفضت الاعتراف حتى عام ١٩٢٩م، وفي عام ١٩١٨م بدأت حكومة بهلوي الإيرانية تضغط تجاه تعديل الحدود مع العراق؛ حيث ظلت هذه القضية كما يقول لونكيرك "مصدراً من مصادر إثارة الحقد الفارسي "، وحاولت أن تعطى من الامتيازات لرعاياها بما يساوي الامتيازات التي يتمتع بها رعايا الدول الأوروبية، مع أن إيران لم تكن حامية لجماعة دينية كالدول الأوروبية -كما يرى لونكيرك - ورفضت حكومة إيران الاعتراف بالعراق حتى يتم الموافقة على مطالبها[٣٥]، ولعل الذي لم يفطن إليه لونكيرك هو أن إيران تريد أن تكون حامية ليس على ديانة، وإنما على مذهب الشيعة وما يتعلق به في العراق.

ومع ذلك فإن مملكة العراق الهاشمية توجست شراً من رجال الإستراتيجية الإيرانية بالعراق، فقامت بطرد مجموعة كبيرة من رجال الدين الإيرانيين الذين يعيشون بالعراق ويمارسون تأثيراً قوياً على بسطاء الشيعة في جنوب العراق[٣٦]، وقد أعلن استقلال العراق عام ١٩٣٢م وأقرت عصبة الأمم هذا الاستقلال.

التغيير في إستراتيجية الدردنيل إبان الحرب العالمية الأولى:

الحقبة البروتستانتية: (بريطانيا وأمريكا):

كانت أوروبا المسيحية (إستراتيجية الدردنيل الغربية) إبان قوة الدولة العثمانية – القرن السابع عشر الميلادي - قد تحالفت مع الإستراتيجية الإيرانية ضد إستراتيجية الدردنيل (الشرقية) الإسلامية السنية، بحيث يمكن القول أن إستراتيجية الدردنيل التي هي كناية عن أوروبا منقسمة على نفسها، ثم عدلت بريطانيا من موقفها خلال القرن الثامن والتاسع عشر لتدافع بقوة عن الدولة العثمانية في مرحلة ضعفها، وظلت منذ حرب القرم وحتى الحرب العالمية الثانية؛ تظهر سياسة التحالف مع إستانبول أو على الأقل المحافظة على كيان الدولة العثمانية من أية أخطار خارجية، وقد شددت سياسة بريطانيا للحيلولة دون احتلال روسيا للدردنيل، ولم يقلق بريطانيا قوة النمسا - التي لم تعط اهتماماً يذكر للسيطرة على الدردنيل- مثل ما أقلقها خوفها من روسيا[٣٧]، ولكن مع مطلع القرن العشرين وتحالف إستانبول مع ألمانيا في الأسابيع الأولى من الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م؛ أعلنت دول الحلفاء الحرب ضد الدولة العثمانية، فانقسمت إستراتيجية الدردنيل على نفسها من جديد.

في بداية الحرب العالمية الأولى كانت أوروبا قد بدأت في حرب كبرى بين معسكرين أوروبيين معسكر دول الوسط من الإمبراطوريات الأوروبية الوسطى الإمبراطوريات الثلاث الألمانية والنمساوية والعثمانية، ضد فرنسا وبريطانيا وروسيا، مما يعني أن التغيير أصبح حتمياً في إستراتيجية الدردنيل من الداخل حسب المنتصر في هذه الحرب، فبعد أن كان الأتراك منذ ما قبل الحرب هم ممثلي هذه الإستراتيجية بالعراق بتحالفهم مع ألمانيا، والتي كانت قبيل الحرب تريد أن تمد خطاً حديدياً حتى البصرة بالعراق على رأس الخليج

العربي، في حين كانت بريطانيا العظمى تريد منع ألمانيا من الوصول إلى هناك، إلا أن الحرب العالمية الأولى قد نتج عنها الكثير من التغيرات.

فقد قامت بريطانيا العظمى بالهجوم على سيدة الدردنيل (الدولة العثمانية) من خلال محورين، المحور الأول: في البلقان حيث قامت بالهجوم على شبه جزيرة غاليبولي قرب العاصمة العثمانية، أما المحور الثاني: فقد هاجم الجيش البريطاني جنوب العراق متجهاً نحو بغداد، ولم تنته الحرب العالمية الأولى إلا والقولت البريطانية التي تمثل إستراتيجية الدردنيل الجديدة قد احتلت العراق وبلاد الشام؛ بل وإستانبول نفسها، لقد حولت الحرب العالمية الأولى قرار وتمثيل إستراتيجية الدردنيل من عاصمة الإسلام السني؛ إستانبول؛ إلى القوى الدولية المنتصرة بالحرب قوى البروتستانتية بريطانيا وأمريكا وإلى جانبهم فرنسا الكاثوليكية.

وكما ذكرنا أنه ومنذ عام ١٥٣٤م فقد سيطرت إستراتيجية الدردنيل على العراق، ولكن برضىً كامل من إستراتيجية الجزيرة العربية عدا الفترة الواقعة في حقبة الدرعية ما بين عام ١٧٩٠م وحتى ١٨١٨م أي ما يزيد عن ربع قرن، حين حاولت الدرعية طرد إستراتيجية الدردنيل من العراق؛ بيد أنها محاولة كبتت بتكاتف من قبل إستراتيجيتي إيران والدردنيل مجتمعة بشقيها المسلم السني والمسيحي البروتستانتي والكاثوليكي، وبترحيب حار من الإستراتيجية الإيرانية التي هنأت محمد علي باشا بالنصر وتدميره للدرعية، وهنا فقد استمرت إستراتيجية الدردنيل مع نهاية الحرب العالمية الأولى بالسيطرة على العراق مع تبديل شكلها ومضمونها من الأتراك المسلمين السنيين؛ إلى الإنجليز المسيحيين البروتستانت، والذين بدأوا يصنعون الأحداث ويُسيِّرون دفة السياسة الدولية من خلال إستراتيجية الدردنيل الغربية وذلك عبر آليات جديدة هي مؤتمر الصلح و عصبة الأمم.

ومنذ أن سيطر الأتراك العثمانيين على الشرق وقادوا (إستراتيجية الدردنيل) وحتى عهد البروتستانت الإنجليز والأمريكان وإستراتيجية جزيرة العرب تواجه تراجعاً خلال التاريخ أمام العالم، ولعل مؤرخاً غربياً واحداً منصفاً ربما يسجل الحقيقة عن أسباب هذا التراجع بأنه من قبيل مؤامرة طويلة المدى من قبل الغرب، وتعاون من الشرق (المغول وإيران)، فيقول بول كينيدي في كتابه (الاستعداد للقرن الحادي والعشرين): ((من الصعب على المرء أن يعرف فيما إذا كان سبب الظرف المقلق للعالم الإسلامي ثقافياً أم تاريخياً، غالباً ما ينسى النقاد الغربيون، الذين يشيرون إلى عدم تسامح المنطقة الديني، وتخلفها التكنولوجي، وفكرها الإقطاعي الطائفي، أنه قبل قرون من إعادة التشكل [الفترة الصفوية – العثمانية]، قاد الإسلام العالم في الرياضيات والطب وعلم رسم الخرائط وفي مجالات أخرى عديدة علمية وصناعية،... في الوقت الذي كانت فيه اليابان وأمريكا لا تمتلكان شيئاً، وفي الوقت الذي لم تمتلك فيه أوروبا إلا القليل.

في وقت لاحق، قام العالم الإسلامي بالتضحية بكل هذه الأمور مقابل فكر تقليدي، ومقابل الانقسام الطائفي بين الشيعة والسنة، لكن تراجع الإسلام ذاته – ويبدو أن ذلك كان على " عكس خطى التاريخ " كما وصفه أحد المؤلفين – لربما كان أيضاً رد فعل على صعود أوروبا وتوسعها الناجح، وربما أن الغرب، الذي أبحر على جوانب السواحل العربية، وساعد الخطر المغولي، واخترق نقاطاً إستراتيجية لسكك الحديد والقنوات والموانئ، وتحرك بثبات إلى شمال أفريقيا ووادي النيل والخليج الفارسي والهلال الخصيب ثم الجزيرة العربية نفسها، والذي قسم الشرق الأوسط على أساس حدود غير طبيعية كجزء من صفقات مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وحلول الولايات المتحدة محل أوروبا في المنطقة، وزرع إسرائيل في وسط الشعوب العربية، وإثارة انقلابات عسكرية ضد القادة الشعبيين، والإعلان المستمر أن هذه المنطقة مهمة للغرب بسبب نفطها، نقول: ربما أن الغرب الذي فعل كل ذلك لعب دوراً كبيراً في جعل

العالم الإسلامي على ما هو عليه اليوم، وبأكثر مما يريد المعلقون الأجانب الإعتراف به))(٣٨).

وهكذا وقعت العراق تحت سلطة الدردنيل الغربية(المسيحية) من جديد، ما بين عامي ١٩١٧م وحتى استقلال العراق ١٩٣٢م، بل لعله حتى عام ١٩٥٨م، حين ألغيت الملكية الهاشمية بانقلاب عسكري قام به ضباط الجيش العراقي بقيادة عبدالكريم قاسم، حيث أظهر العراق في ظل حكم قاسم عدائية مفاجئة تجاه إيران في عامي ١٩٥٨م و١٩٦١م حول مسألة شط العرب، معلناً أنه وقع معاهدة عام ١٩٣٧م والتي تنظم الوضع القانوني لهذا المجرى المائي تحت الضغط والإكراه، ونتيجة لما شهدته كل من العراق وإيران بشكل خاص والمنطقة بشكل عام تطور في شتى المجالات مع منتصف القرن العشرين، ولتصوير شاه إيران للخطر العربي ومساواته بخطر الإتحاد السوفييتي؛ فقد بدأت بعض الدول – وخاصة إيران - بالحصول على كثير من الأسلحة المتطورة للغاية، والذي كان قد أذكى دون شك النزعات التوسعية لبعض قادة الخليج وخاصة شاه إيران السابق رضا بهلوي، الذي بلغ به الأمر حداً أن تدخل في الحرب الأهلية العمانية في منتصف السبعينيات(٣٩).

في عام ١٩٦٩م شعر شاه إيران بهلوي أن إيران من القوة بحيث تستطيع تغيير اللعبة السياسية مع الجار العراقي الضعيف الذي مزقته الانقلابات الداخلية (ثلاثة انقلابات في غضون عشر سنوات فقط) إلى جانب النزاعات العرقية والقومية، وأنه بمقدور الإستراتيجية الإيرانية أن تغير اتفاقية الحدود والوضع على الحدود العراقية الإيرانية وفق أحلام تلك الإستراتيجية عبر العصور نحو فردوسها المفقود، وكان تحركه بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية، وقد رسم سياساته لفرض تغيير هذه الاتفاقية مستغلاً الثورة الكردية في شمال العراق بحيث دعمها بالسلاح، وكانت أمريكا – وهي جزء من قيادة إستراتيجية الدردنيل الغربية - تساهم أيضاً في تسليح الأكراد بتنسيق مع

إيـران، وهـو مـا يعـني أن الإسـتراتيجيتين قـد اتجهتـا للتعـاون ضـد ممثلـي إسـتراتيجية جزيـرة العـرب العـراقيين، و ممـا يـضعف حكـام بغـداد – ممثلـي إستراتيجية جزيرة العرب - على مقاومة مطالب إيران الحدودية، وعلى الأرض فقد كانت إيران تقوم بإلغاء اتفاقية شط العرب التي وقعتها مع العراق عام ١٩٣٧م، فإلى جانب شكوى بغداد من أن مقاطعة عربستان (خوزستان) العربية عراقية أخذتها إيران بسبب ضعف الدولة العثمانية، فإنها الآن تبحث عن ذرائع لتقسيم شط العرب نفسه[٤٠].

وقد نجحت الإستراتيجية الإيرانية من فرض تغيير ذلك الواقع على الحدود، وأجبرت قيادة العراق البعثية على توقيع اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ م بحيث تم تقسيم شط العرب بين إيران والعراق وتم تعديل الحدود وفق رغبات الإستراتيجية الإيرانية التي حققت نصراً على العراق.

ولكن خلال سنوات قليلة انقلب الوضع؛ وتأزم الوضع الداخلي بإيران، وبدأت الثورة الشعبية التي يقودها رجال الدين الشيعة - وبصمت سلبي من قبل الغرب – حققت الثورة نجاحاً باهراً؛ مما اضطر الشاه إلى مغادرة إيران إلى الخارج في الوقت الذي عاد الخميني منتصراً إلى طهران، كقائد لهذه الثورة، وعلى الفور، سقطت حكومة بختيار، وأقيمت حكومة جديدة بقيادة بازركان في عام ١٩٧٩م؛ فاستعدت إستراتيجية إيران وممثلي إستراتيجية العرب لجولة جديدة من الصراع على العراق.

تحالف إستراتيجيتي الدردنيل وإيران ضد إستراتيجية جزيرة العرب وممثليها بالعراق:

المرحلة الأولى: خطة إستراتيجية الدردنيل في إنهاك إستراتيجيتي جزيرة العرب وإستراتيجية إيران:

لخص كيسنجر بذور المشكلات التي يعيشها الشرق الأوسط في العقدين السابع والثامن من القرن العشرون بقوله ((يعاني العالم الإسلامي من انقسامات خاصة، بعضها يمثل استمراراً لصراع تاريخي بين حضارتي النيل وبلاد ما بين النهرين، بين أنظمة علمانية متطرفة مثل النظام في العراق، وأنظمة علمانية معتدلة مثل النظام في مصر، بين الأصوليين وأبرزهم الحكومة الإيرانية والأنظمة العلمانية مثل النظام السوري، بين الحكومات في المملكة العربية السعودية ودول الخليج وجيرانها الأكثر حداثة، بين العرب والفرس، وبين مذهبي الإسلام السني والشيعي))[٤١].

وفي التاريخ المعاصر برز صراع الجغرافيا على العراق من جديد، فمع الثورة الخمينية ذات الطابع الشيعي المتشدد، برزت رغبات الإستراتيجية الإيرانية الدفينة في السيطرة على العراق واتخذت النجف وكربلاء - و هي ما تسميها إيران الأماكن المقدسة بالعراق أو (مراقد الأئمة الشيعة) - سبباً مذهبياً للتدخل أو ما أطلقت عليه تصدير الثورة.

من سوء حظ الإستراتيجية الإيرانية أنه مع التغيير الذي حصل بإيران حدث معه تغيير شبه متزامن بالعراق — ويبدو أن إستراتيجية الدردنيل لم تكن بعيدة عن التغييرات التي حدثت في البلدين أو بالإستراتيجيتين العربية والإيرانية كما وصف بول كيندي - فقد أجبر الرئيس العراقي أحمد حسن البكر على التقاعد، ليخلفه نائبه الرئيس صدام على قيادة العراق، لقد تغيرت الإستراتيجية الإيرانية من رجال — بزعامة الشاه - علمانيون قوميون متشددون

يتمنون العودة بإيران للديانة الزرادشتية الوثنية القديمة[٤٢]. إلى رجال دين شيعة أصوليون متشددون يريدون تحويل العراق إلى جزء من إيران الشيعية أو محمية إيرانية من خلال ما أسموه بتصدير الثورة.

جاءت الثورة الإسلامية الخمينية بإيران برجال قوميون إيرانيون متشددون يصطبغون بالطابع الديني والمذهبي، ثم جاء تغيير قسري بالعراق بزعامة صدام حسين رئيساً على العراق مصطبغاً بعلمانيين قوميين ذوو اتجاه عروبي قومي، كان التغيير الذي جرى بالعراق يؤكد انتماء العراق لإستراتيجية جزيرة العرب من خلال رجل الحكم الجديد الذي بين سياساته بجلاء أنه مع العالم العربي وإلى جانب دول الخليج، وكما برزت قوة جزيرة العرب في العراق من خلال سياسات دولها بقيادة المملكة العربية السعودية حين أغرقت العراق بمساعدات مالية وعسكرية بلغت ما يفوق من خمسين مليار دولار دفعتها المملكة العربية السعودية (التي تحملت أكثر من ثلثي المبلغ) إلى الكويت والإمارات العربية المتحدة، قدمت إلى الرئيس العراقي صدام حسين – كممثل لإستراتيجية جزيرة العرب ضد إستراتيجية إيران -كدعم للعراق من إستراتيجية الجزيرة العربية[٤٣].

بنت القيادة العراقية إستراتيجيتها – كممثلة لإستراتيجية الجزيرة العربية وإن كانت عراقية - تماماً مثل الآشوريين والبابليين – على مجموعة من العناصر في مواجهتها للسياسات الإيرانية في تصديرهم للثورة نحو العراق، تأييد دولي من خلال إقامة شبكة علاقات جيدة مع الدول الكبرى بحيث أنه كان قادراً على شراء السلاح من الأسواق العالمية المفتوحة أمامه، إلى جانب هيمنة رجال العشائر العربية السنية في الشمال الغربي ووسط العراق على الدولة؛ خاصة الجيش والأمن؛ بحكم الولاء والتبعية التي يعتنقها معظم الشيعة لعدو العراق التقليدي (إيران) كنوع من الولاء المذهبي العميق، إقامة شبكة ممتازة من العلاقات مع دول الجوار الخليج العربي وحتى الأردن وتركيا ومصر، ووضع

نفسه كحامٍ لدول الخليج العربي وكزعيم للعالم العربي وكمدافع عن البوابة الشرقية للأمة العربية(٤٤).

فإلى جانب خوض الحرب العسكرية؛ فإن الإستراتيجية الإيرانية كانت قادرة على استخدام عدداً من الأوراق ضد العراق، وإلى جانب استغلال إيران للقضية الكردية، فقد استغلت أيضاً القضية الشيعية؛ خاصة غلاة الشيعة المتشددون في العراق الذين يرون ولاءهم لإيران قضية لا نقاش فيها، وقد استخدمت الورقة الشيعية كما استخدمت الورقة الكردية من قبل الإستراتيجية الإيرانية وبنجاح كبير، لقد كان نجاح الثورة الإيرانية محفزاً لزعماء الشيعة العراقيين، وقد تأملوا كبير أمل بتكرار الثورة في العراق، فنضمّ شيعة المدن الجنوبية أنفسهم من خلال أحزاب معارضة كحزب الدعوة الذي أسسه محمد باقر الصدر؛ إلى جانب منظمة جند الإمام ومنظمة الرسالة الإسلامية، واتفقت جميعها على ضرورة اللجوء إلى العنف ضد نظام يعتبر تابعاً لإستراتيجية الجزيرة العربية أو على الأقل يمثلها في نظر الإستراتيجية الإيرانية، كان الهدف هو الإطاحة بالنظام وفرض دولة شيعية؛ مما يشكل تهديداً معلناً للحكومة، بل إن باقر الصدر أصدر فتوى " ضد عضوية حزب البعث " وطالبت مظاهرات في مدن الجنوب مؤيدة للخميني مطالبة بطرد صدام.

وكان أحد أتباع الإستراتيجية الإيرانية المدعو أية الله الحكيم قد شكل "جماعة العلماء " منذ عام ١٩٥٨م، وأيدت هذه الجماعة موقف الأحزاب والمنظمات الشيعية باللجوء إلى العنف، ورأوا أن استخدام العنف قد آن أوانه مع أكتوبر عام ١٩٧٩م.

وقد كان رد الحكومة العراقية كممثلين لإستراتيجية جزيرة العرب عنيفاً فاعتبر الانتماء لحزب الدعوة جريمة عقوبتها الموت، وقامت باعتقالات وإعدامات ومن ضمن من قبض عليه أحد مراجعهم باقر الصدر وشقيقته حيث أعدما في بغداد، كما وضع مرجع كبير آخر الخوئي وهو من أكبر علمائهم قيد الإقامة

الجبرية في النجف، بُعَيد محاولة اغتيال نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز، كما طرد بعض الإيرانيين الذين يأتون إلى العراق فيما يطلق عليه الحج للعتبات المقدسة (الكوفة وكربلاء)، ويتخلفون بدون اقامات نظامية قانونية، بحيث طرد أكثر من ٤٠.٠٠٠ إيراني عام ١٩٨٠م، في حين فر العديد من شيعة العراق إلى المنفى في إيران(٤٥).

واستمر العداء بين الإستراتيجيتين رغم أن العلاقات بدت تتجه نحو الصداقة مع سقوط الشاه وتسلم حكومة بازركان الحكم بإيران؛ ولكن مع تشكيل الحكومة التالية للثورة الخمينية واتجاه الحكومة العراقية إلى استخدام العنف مع ممثلي الإستراتيجية الإيرانية بالعراق، فقد أصبح متعذراً أن يصل قادة الإستراتيجيتان إلى تفاهم.

ولذلك كان من المفهوم أن تتجه الدولتين للتفتيش على نقاط الخلاف بينهما، وليس أولى من معاهدة الجزائر لعام ١٩٧٥م التي وقعها - نائب الرئيس العراقي سابقاً - الرئيس العراقي حينئذ مع شاه إيران حول تقسيم شط العرب، والتي مثلت تسوية للنزاع الحدودي الطويل الأمد حول شط العرب لصالح الإستراتيجية الإيرانية، بحيث مزقها الرئيس العراقي صدام وأعلن إلغاؤها من جانب واحد، وقبل أزيز المدفعية والرصاص بدأت الحرب الإعلامية، فأما الإستراتيجية الإيرانية فقد رغبت تحويل الأنظار إلى أن الصراع " إنما هو ديني بين حكومة زعمت أنها تمثل الإسلام، وحكومة علمانية بالعراق تجسد كل السلبيات التي يجب التخلص منها لتغيير المنطقة "، " وكان من ضغط زناد الصراع هو الثورة الإسلامية في إيران وارتقاء الخميني عام ١٩٧٩م في طهران، فأخذ على عاتقه تصدير الثورة الإسلامية للشرق الأوسط بكامله، كان العراق الأول في خط النار، لم يُضيِّع الخميني كثيراً من الوقت حتى ناشد...الشيعة العراقيين أن يطيحوا بنظام البعث...، وسرعان ما تصاعدت الأعمال العدائية المشتركة لتصبح مناوشات حدودية وتبادلاً لنيران المدفعية، فألغى العراق

اتفاقية الجزائر، فحوَّل الايرانيون أهداف هجمات مدفعيتهم إلى الجانب العراقي من شط العرب ومناطقه السكنية ومنشئات اقتصادية، وفي ٢٢ سبتمبر قام العراق بغزو إيران حيث اندلعت الحرب ".

في حين رأت الحكومة العراقية كممثلة وتابعة لإستراتيجية جزيرة العرب أن الحكومة الايرانية " ليست إلا حكومة ذات طبيعة طائفية عدوانية "، وركز خطابها الإعلامي على أن الصراع معها " ذو طبيعة إقليمية حول حقوق العراق في شط العرب وعربستان "، مطالباً بشكل رسمي بسط سيادته التامة على شط العرب بكامله، وقد لخص أحد الخبراء دوافع العراق بالغزو بقوله: ((كان قرار العراق باللجوء إلى القوة – الذي كان دافعه الخوف والانتهازية والثقة الزائدة بالنفس، وهي مزيج من حسابات دفاعية وعدائية – مزيجاً من حرب وقائية، وطموح وعقوبة لمنافس إقليمي))[٤٦].

بدأت الحرب بين الطرفين ودخل الجيش العراقي الحدود الإيرانية، والتي كان باعتقاد قيادته السياسية أنها ستكون حرباً قصيرة لإجبار حكومة إيران على إعادة التفاوض حول معاهدة الجزائر، ولكن الحرب طالت لسنوات؛ حيث كانت القيادة السياسية بإيران ترى أنها فرصتها لإجراء التغيير الذي تريده بالعراق[٤٧].

وضعت الحرب التي ستستمر لثماني سنوات " نظاماً عربياً سنياً علمانياً في مقابل نظام فارسي ديني شيعي متحمس " ولذا فليس مدهشاً أن تطول الحرب؛ بحيث لا يستطيع أحد الطرفين تحمل خسارتها، وأمام فتح الغرب الباب لشركات السلاح لبيع العراق ما يشاء من الأسلحة الحديثة (دول الغرب والشرق)؛ فقد تمكن العراق من الصمود، بينما وبسبب حظر الغرب السلاح على إيران في ظل نظام ثورة الخميني ماعدا الصين وكوريا الشمالية؛ فقد اضطرت أن تشتري السلاح من ألد أعدائها من أجل تحقيق أحلام الإستراتيجية الإيرانية في احتلال " الفردوس الإيراني المفقود "فكما قال

تشومسكي أنه قد ((" جُرِّب في إيران عن طريق إرسال الأسلحة عبر إسرائيل بعد وصول الخميني " للحكم بقليل، وهو ما كان عنصراً حاسماً في قضية إيران – كونترا، وتم طمسه في التغطية الإعلامية)) وهو ما يعني أن إيران قد كانت على استعداد لأن تلقي بأهم مبادئها الدينية والسياسية في عرض الحائط في سبيل كسب هذه الحرب مع العراق[٤٨]؛ وبمعنى آخر فقد جربت الإستراتيجية الإيرانية ربما للمرة الرابعة أن تتحالف مع من هم غرب العراق وللمرة الثالثة مع اليهود ضد العراق وهو الدرس الثاني الذي تعلمته الإستراتيجية الإيرانية من أجل أن تحوز على العراق.

تطورت الحرب العسكرية العراقية – الإيرانية من حرب لاحتلال الأراضي الإيرانية، إلى تحريرها من قبل الجيش الإيراني الذي استوعب الهزيمة وقام بهجوم معاكس، مكنه ذلك من القيام بغزو الأراضي العراقية نفسها، كما حصل في احتلال جزيرة الفاو العراقية، وكما يقول جورج شولتز أن دخول القوات الإيرانية إلى داخل الأراضي العراقية شكل خطراً واضحاً على الدول الخليجية مجتمعة، أي شكل خطورة حقيقية على إستراتيجية جزيرة العرب وممثليها في العراق، ثم تطورت الحرب إلى حرب بشعة تأكل الأخضر واليابس، بحيث أصبحت حرب استنزاف للموارد الاقتصادية والبشرية، فمن حرب المدن وتدميرها؛ بل وتسويتها بالأرض من خلال ضربها بالصواريخ أرض- أرض العراقية بعيدة المدى أو الصواريخ والمدفعية الإيرانية القريبة من المدن العراقية، إلى حرب النفط الاقتصادية وحرمان العراق من التصدير من خلال ضرب المنشئات النفطية وقيام العراق بالأمر ذاته من خلال تدمير منشئات التصدير في جزيرة خرج الإيرانية، إلى حرب الناقلات البترولية؛ بحيث أعطت للدول الكبرى حق التدخل في الخليج العربي بأساطيلها بطلب من دول المنطقة لحماية سفنها وناقلاتها، ثم استخدمت الحرب الكيميائية التي حسمت وأفشلت قدرة الموجات

الكبرى البشرية للهجمات الإيرانية على تحقيق أهدافها باحتلال الأرض العراقية، ماعدا نجاح احتلال جزيرة الفاو فترة من الحرب[٤٩].

لقد كان كيد الإستراتيجية الإيرانية للعراق رهيباً، فقد استغلت إحدى حركات التمرد الكردية ضد بغداد، لكي تصب كمية من الأسلحة الكيميائية الإيرانية - والتي ثبت أن مخزونات الجيش العراقي لا يمتلك مثلها - على حلبجة الكردية متزامنة مع تحركات الجيش العراقي في تلك المنطقة لقمع ذلك التمرد، مما جعل التهمة قوية ضد الجيش العراقي وصدام حسين، وتمكنت الإستراتيجية الإيرانية من إحداث شرخ كبير في العلاقات العراقية – العراقية، وقد حمّل التقرير الأمريكي الأول حول حلبجة الإيرانيين وليس العراقيين مسئولية قتل ٥٠٠٠ كردي هناك، حيث أكد التقرير: ((لقد وجه اللوم إلى العراق بشأن الهجوم على حلبجة؛ برغم ما اتضح في وقت لاحق، من أن إيران استخدمت أيضاً مواد كيميائية في هذه العملية،...ويبدو مرجحاً أن القصف الإيراني هو الذي سبب فعلاً مقتل الأكراد)) وقد علّق معدو التقرير الأمريكي على من أبدى رفضه واعتراضه على هذه النتيجة بأنهم يبنون استنتاجاتهم " عاطفياً وليس على معلومات واقعية "...))[٥٠].

استمرت الحرب العراقية الإيرانية بحدود ثماني سنوات، دون أن تصل أي من قيادة الإستراتيجيتين (الإستراتيجية الإيرانية، وممثلي إستراتيجية جزيرة العرب بالعراق) إلى تحقيق أي هدف من أهدافهما من الحرب، سوى الدمار المنتشر في كل مكان، وميزانيات منهكة بالديون، وأرصدة بمليارات الدولارات كلها صرفت على آلة الحرب، لصالح شركات السلاح في العالم المتقدم، وملايين القتلى والضحايا والجرحى بالبلدين، وتوقف التنمية لعقد كامل مما أخر البلدين سنوات إلى الوراء، حينها أُبلغ الخميني أن إيران لم تعد قادرة على احتمال كلفة الحرب، وأن النصر على العراق أمر ميئوس منه فقال كلمته الشهيرة: إن شرب ((كأس من السم)) أهون عليه من اتخاذ قرار إيقاف الحرب[٥١].

وفي وقت كان العراق – إبان الحرب - قد رمَّم علاقاته المعطوبة مع الغرب فرنسا وبريطانيا وألمانيا وحتى أمريكا التي صرح رامسفيلد بعد زيارته لصدام ((أن لا رغبة للزعيم العراقي في إثارة المتاعب في العالم)) وقالت صحيفة نيويورك تايمز في مارس ١٩٨٤م:((أن الدبلوماسيين الأمريكيين يعربون عن رضاهم للعلاقات بين العراق والولايات المتحدة، وينبهون إلى أن العلاقات الدبلوماسية العادية قد استؤنفت في كل المجالات باستثناء إعلان ذلك رسمياً)) أي أن ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب كانوا مستعدين لعلاقات صداقة مع إستراتيجية الدردنيل الغربية.

بل لقد وصل الأمر بمساعد وزير الدفاع ريتشارد آرميتاج أن صرح في أواخر مراحل الحرب قائلاً ((لا نستطيع احتمال رؤية العراق مهزوماً)) بينما قال كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق ذو الأصول اليهودية ما يمكن تسميته "بحسرة كيسنجر"؛ حيث قال: ((من السيء جداً أنه لا يمكن لكلا الجانبين أن يخسرا))، فقد اتضح أن الإيرانيين قد يربحون، فبدا العراق أهون الشرين لدى الكثيرين من صانعي السياسة الأمريكية، ويذكر جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكي الأسبق ((وكان يبدو لأول وهلة أن الحل الأفضل هو أن نبقى محايدين، وننتظر إلى أن يتمكن أحدهما من تدمير الآخر...))، ولعل الخوف من هزيمة العراق سببه خوف آخر كما قال رامسفيلد لجورج شولتز ((كان واضحاً أن انهيار العراق سيفقدنا أصدقاءنا في منطقة الخليج))؛ لأن انهيار العراق يعني أن إيران ستهدد إستراتيجية جزيرة العرب (السعودية والكويت)، ويرى شولتز ((ولكن الحقيقة الكبرى كانت تتمثل في أن العراق هو الوحيد القادر على وقف المد الإيراني))، وقد بنت أمريكا كل هذه الموقف من الحرب بالخليج على تقرير السناتور برادلي الذي أوصى ((...٣- إن استمرار الصراع والتكافؤ فيه بين الطرفين سيجعل الدول الخليجية تفكر جدياً في حماية مصالحها الأمنية تخوفاً من أي من الدولتين وبهذا ستصبح وثيقة الصلة بنا

ويحلفائنا في الدول الغربية))((٤ - وانه في حالة انتصر العراق فإنه سيفرض ((قوته العسكرية على دول المنطقة))؛ لقد كانت الولايات المتحدة – كما يقول جورج شولتز - تحاول إنهاء الحرب العراقية الإيرانية عن طريق منع وصول السلاح إلى كلا الطرفين...أما الإسرائيليون فكانوا بخلاف ذلك مسرورين لرؤية أعدائهم يدمرون بعضهم البعض إضافة إلى هدف أبعد وهو الحفاظ في الحد الأدنى على علاقة سرية مع إيران ومن ثم الوصول إلى اليهود الإيرانيين[٥٢].

بينما ظلت الإستراتيجية الإيرانية معزولة عن العالم بسبب تشددها، كما يقول تريب ((فبدا لطهران أن إيران متورطة الآن في حرب ليس مع العراق فحسب؛ بل مع القوى الغربية أيضاً التي أنشأ معها العراق علاقات وثيقة خلال سنوات الحرب، وفي الواقع شكلت رؤية صدام حسين لدول القوى العظمى جزءاً أساسياً من خطته الحربية منذ البداية، وكما أثبت في السبعينيات كان مدركاً جيداً لقدرة القوى العظمى على تحديد نجاح أو فشل مبادرته الإقليمية))، كل ذلك أجبر إيران على قبول وقف إطلاق النار مرغمة في عام ١٩٨٨م حين انقلبت المعارك على الجبهة فجأة لصالح القوات العراقية[٥٣].

المرحلة الثانية: إستراتيجية الدردنيل تعمل على إنهاك إستراتيجية جزيرة العرب وممثليها بالعراق، واحتواء إستراتيجية إيران:

مع انتهاء الحرب العراقية الإيرانية كان الغرب يستعد لمعركة أخرى، فقد تمكن من سحب كل السيولة النقدية والأرصدة لدول المنطقة إيران والعراق ودول الخليج العربي الموجودة في البنوك الأوروبية والأمريكية، وبدأ يستعد لتغييرات جذرية في النظام الدولي من خلال ما يحاك للإتحاد السوفييتي من أزمات، فمع إيقاف المدافع قصفها على الحدود الإيرانية العراقية في عام ١٩٨٨م وقبل سقوط الإتحاد السوفييتي بسنتين، كتب بعض المحللين " العقلانيين " ديمتري سايمز "عن الحرب الباردة في نيويورك تايمز أواخر ١٩٨٨ يقول: ((أن الاختفاء

الوشيك للعدو السوفييتي من شأنه أن يعطي الولايات المتحدة ميزات ثلاث: أولاً، نستطيع نقل تكاليف الناتو إلى منافسينا الأوروبيين؛ ثانياً، نستطيع وضع حد "لتلاعب أمم العالم الثالث بأمريكا " و " مقاومة مطالب العالم الثالث غير المشروعة بالمساواة " وتحقيق صفقة مربحة مع " مدنيي العالم الثالث المتمردين "؛ ثالثاً، يمكن استخدام القوة العسكرية بمزيد من الحرية " كأداة للسياسة الخارجية الأمريكية ضد من يفكرون بتحدي مصالح أمريكية هامة " دونما خوف من " استثارة تدخل مضاد " بعد أن أزيلت القوة الرادعة، ويعلق نعوم تشومسكي، باختصار، تستطيع الولايات المتحدة استعادة بعض قوتها ضمن نادي الأغنياء، وأن تزيد ضغطها على العالم الثالث، وأن تلجأ للعنف ضد الضحايا العزل بمزيد من الحرية))[٥٤].

ولا شك أن صدام حسين الرئيس العراقي وقد خرج من الحرب أقوى من إيران المنهكة ستنطبق عليه ما ورد في الفقرة الثالثة أعلاه، وبناء على هذه الإستراتيجية بدأوا بخداع الرئيس العراقي صدام حسين وتظليله بإظهار محاباته في البداية، حتى يقع في الفخ، ويبدو أنه كان هناك قرار في الغرب أن نهاية الحرب العراقية – الإيرانية؛ يجب أن تكون بداية النهاية لصدام حسين، وقد تمت مراقبة بناء قدرات العراق العسكرية والعلمية، مما يعني أن العراق قد تجاوز الخطوط الحمراء، إلى جانب أن صدام لا يزال يشكل خطراً على مصالح الغرب في المنطقة سواء كانت مصالحها السياسية ممثلة بحماية وضمان الغرب لحماية إسرائيل أو المصالح الاقتصادية بالمنطقة؛ لقد كانت علاقات إستراتيجية جزيرة العرب وممثليها بالعراق مع إستراتيجية الدردنيل الغربية بقيادة أمريكا وبريطانيا توشك أن تشتبكا رغم محاولة صدام حسين التفاهم مع قادة تلك الإستراتيجية، لقد كانت حماية وضمان أمن إسرائيل في الميزان في هذه المعركة بين إستراتيجية الدردنيل المسيحية – الصهيونية التي تقودها قيادات بروتستانتية (بوش الأب) في أمريكا ويهودية (مارغريت تاتشر) في بريطانيا.

وقد حاولت أمريكا – كجس نبض للعراق - أن توصل عرضاً من إسرائيل للعراق قدمه إسحق شامير لجورج شولتز برغبة إسرائيل في السماح للنفط العراقي بالتدفق من كركوك إلى حيفا بالبحر المتوسط من خلال خط قديم أنجز عام ١٩٣٤م وتوقف منذ زمن طويل، وبما أن العراق قد تم التضييق على تصدير نفطه؛ فقد يضطر إلى تصدير نفطه من حيفا، ودهش شولتز الذي بعث رامسفيلد لبغداد لتقديم هذا العرض – متوقعين أن المصالح الاقتصادية ستساهم في " تحسين العلاقات بين إسرائيل وأحد ألد أعدائها " – دهش شولتز حين جاء الرد العراقي " لا ". ويعلق شولتز قائلاً: ((يبدو أن العداء وعدم الثقة كانا أقوى من إغراء الأموال التي ستتدفق من النفط "..))[٥٥].

كان أكبر الهواجس الأمريكية التي تقلقها من العراق هي قوته العسكرية المتزايدة والتي قد تشكل خطراً على إسرائيل، ويؤكد شولتز ((وبدا واضحاً أن صدام حسين يريد بناء قوة عسكرية لا تمكنه من صد إيران أو إسرائيل فحسب، بل تمكن العراق من أن يصبح القوة العسكرية الأولى في المنطقة بأسرها، وبعد نهاية الحرب، لم يكن هناك أي داع لدعم العراق... وكان واضحاً أن إدارة الرئيس الجديد بوش لا بد وأن تتعامل بجدية وقسوة مع صدام حسين)) ويقول شولتز:إن الرئيس المصري مبارك مع ظهور تباشير انتهاء الحرب، بدأ " يعمل على جعل صدام حسين يغير موقفه من إسرائيل، وبأن العراق امتلك آلة عسكرية قوية، وإذا لم يغير سياسته إزاء إسرائيل فلن تكون هناك فرصة لتحقيق سلام شامل بين العرب وإسرائيل))[٥٦]، ولذلك كان واضحاً فإما أن يتخلى العراق عن طموحاته، أو أن يتم إنهاكه ثم حصاره ثم القضاء عليه؛ لقد كانت إستراتيجية الدردنيل الغربية تخشى من ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب بالعراق أن يستخدموا خبرة الحرب العسكرية والجيوش المدربة والآلة العسكرية لتدمير إسرائيل؛ لذلك فكان لابد من مصالحة إسرائيل أو

إعادة العراق وإستراتيجية جزيرة العرب إلى نقطة الصفر حتى لو كان ذلك بالتحالف مع الإستراتيجية الإيرانية.

ولم يكن استدراجه لغزو الكويت إلا جزء من خطة الغرب للإجهاز على ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب بالعراق، كما أنه لم يكن غزو صدام للكويت عام ١٩٩٠م إلا خطوة في ذلك الاتجاه، ولم يكن – أيضاً - إلا رد فعل على مأزق بلاده الاقتصادي السيء بعد حرب دامت لثماني سنوات باعتبار الكويت تقوم بخنق الاقتصاد العراقي، وما من شك أن موقف الكويت في تلك المرحلة المبكرة من انتهاء الحرب العراقية الإيرانية على مستوى مطالبة العراق بالدفع الفوري للديون الكويتية، إلى جانب استغلال حقل الرميلة المتنازع عليه مع العراق، بالإضافة إلى العمل على تخفيض أسعار البترول دفعة واحدة، كان سيفسر من قبل العراق على أنها " أعمال حرب ضد العراق "، وفيما يتعلق بعلاقات أمريكا مع العراق فرغم أنه قد ظلت حادثة احتجاز الرهائن بطهران تثير نقمة الأمريكيين على إيران، ولكن " معاداة نظام صدام حسين لإسرائيل والموقف المضاد للإمبريالية... لم تحسن كثيراً العلاقات مع الولايات المتحدة))، ويذكر شولتز ((وعلى الرغم من تدمير إسرائيل للمفاعل النووي العراقي في عام ١٩٨١م إلا أنني أدركت أن بغداد لن تتخلى عن جهودها الرامية إلى بناء قوة نووية، وبدا جلياً أن طموحات العراق لم تكن توحي بأي ثقة في صدام حسين))[٥٧].

كانت الكويت مصممة بعناد على أن يدفع العراق كامل الديون التي قدمتها الكويت زمن الحرب، بينما نظر العراق إلى تلك الديون على أنها كانت دفاعاً عن البوابة الشرقية للأمة العربية، وأنه مقابل دماء العراقيين التي سفكت دفاعاً عن هذه البوابة؛ يجب أن تلغى مقابلها تلك الديون. وكما قال الرئيس العراقي في محضر لقائه مع السفيرة الأمريكية إنه أرسل مبعوثين للزعماء الخليجيين يذكرهم ((أن القتال الذي قمنا به يتضمن دفاعاً عنكم، فلا يجوز أن تبقى

المساعدات التي قدمت لنا بصيغة قروض))، ولكي يسدد العراق ديونه للكويت فقد ضغط العراق على منظمة أوبك كي تخفض الإنتاج، ولكن كل تلك الجهود قاومها الكويتيون بإصرار، ورأى العراق أن إعلان الكويت في البدء في استغلال وضخ النفط من حقل الرميلة على الحدود المشتركة بين الطرفين؛ مما أدى إلى انهيار الأسعار من ١٨ دولار للبرميل إلى ١١ دولار، وهو ما يعني أن كل دولار يعني خسارة مليار دولار من عائدات النفط العراقية السنوية[٥٨].

لقد أثبتت الأزمة الكويتية العراقية حول دفع الديون وما اعتبره العراق حرباً اقتصادية عليه من قبل الكويت وتهديداته للكويت أن القوة العراقية سلاحاً ذو حدين، فمن جهة فقد " حوَّل الإستراتيجيون الأمريكيون (إستراتيجية الدردنيل الغربية) اهتمامهم إلى العراق لخشيتهم من أن تعرض هيمنة صدام حسين على المنطقة للخطر حرية وصول الغرب إلى إمدادات البترول الحيوية " ومن ناحية أخرى فقد تشكل القوة العسكرية العراقية خطورة حقيقية على أمن إسرائيل الذي كان يقلق الرؤساء الأمريكيين كما يذكر جورج شولتز في مذكراته ((فكان من أكبر الأسئلة التي تراودهم هو " كيف نحافظ على أمن إسرائيل؟ "، ولذا " ففي أواخر عام ١٩٨٩م وقبل الأزمة الكويتية – العراقية بأكثر من عام فوَّض رئيس هيئة الأركان المشتركة، الجنرال كولن باول، القائد العام للقيادة المركزية المعيَّن حديثاً الجنرال هـ.نورمان شوارتزكوف في " إعداد خطة لأجل معركة مع العراقيين "؛ مما يعني أن كل المشكلات كانت تخطط بعناية وبشكل مسبق، ولم يكتمل التدريب على الخطة إلا وصدام حسين يستعد لغزو الكويت[٥٩]، لقد قررت إستراتيجية الدردنيل أن تنهك ثم تحاصر إستراتيجية جزيرة العرب وممثليها بالعراق حتى لو اضطرت إلى حرب عسكرية بدأت تستعد لها فعلياً.

كان هم ريغان الرئيس السابق هو كيف يحافظ على أمن إسرائيل؟، وهي ربيبة إستراتيجية الدردنيل الغربية؛ ثم جاء بعده جورج بوش الأب الذي شن في

خلال عهده الحرب الأولى على العراق مستغلاً سقوط الإتحاد السوفييتي، وكما أكدت مجلة U.S.News & World Report)) في عدد ٢٧ آب / أغسطس١٩٩٠م قائلة: ((إن النزاع المخيم في الخليج الفارسي بكل بساطة ليس معركة من أجل الكويت، أو لبسط السيطرة على نفط الشرق الأوسط، إنه الفصل الأخير في حرب قديمة تدور رحاها منذ أربعة عشر قرناً بين الشرق والغرب، بين الإسلام ومنافسيه التوحيديين: المسيحية واليهودية))[٦٠]، ومن هنا يمكن لإستراتيجية الدردنيل أن تحاصر إستراتيجية جزيرة العرب وممثليها في العراق تماماً بنفس الخطة التي قامت بها البرتغال والغرب بتحالفهم مع الصفويين في القرن السادس عشر الميلادي ضد ممثلي إستراتيجية العرب آنذاك الذين وجدوا لهم ملاذاً بحماية الجانب القوي من إستراتيجية الدردنيل الإسلامية (الشرقية) آنذاك أي (الدولة العثمانية).

على صعيد النظام الدولي – وكما ذكرنا - بعد أن اختفى الروس من المشهد العالمي بعد سقوط الإتحاد السوفييتي، اعترف تقرير أمريكي بصراحة - أخيراً – " أن العالم الثالث هو العدو "، "على القوة العسكرية الأمريكية استهداف العالم الثالث "، كما استنتج التقرير، وفي المقدمة يأتي الشرق الأوسط، حيث " لا يمكن إلقاء التهديد الذي تتعرض له مصالحنا على عاتق الكريملين "، وهي حقيقة صار ممكناً الاعتراف بها الآن بعد أن اختفى السوفييت – كما يورده تشومسكي ساخراً[٦١].

وفي حالة العراق كان اختفاء الرادع السوفييتي عاملاً حاسماً في قرار الحرب الأمريكي – البريطاني، وهو ما طرح على نطاق واسع في مناقشات الإستراتيجيين في الغرب – إستراتيجية الدردنيل الغربية - وكما قال أحد مساعدي ريغان إيليوت أبرامز الذي ابتهج " لأن الولايات المتحدة صارت حرة لأن تستخدم القوة دون خوف من رد الفعل الروسي " بعد زوال الإتحاد

الروسي[٦٢]، وقد كان واضحاً أن العالم الثالث والعالم العربي على رأسهم وأن ضرب العراق له الأولوية.

كان أكبر الهواجس الأمريكية التي تقلقها من العراق هي قوته العسكرية المتزايدة والتي قد تشكل خطراً على إسرائيل، ويؤكد شولتز ((وبدا واضحاً أن صدام حسين يريد بناء قوة عسكرية لا تمكنه من صد إيران أو إسرائيل فحسب، بل تمكنه من أن يصبح العراق القوة العسكرية الأولى في المنطقة بأسرها و وبعد نهاية الحرب، لم يكن هناك أي داع لدعم العراق... وكان واضحاً أن إدارة الرئيس الجديد بوش لا بد وأن تتعامل بجدية وقسوة مع صدام حسين)) ويقول شولتز: ((إن الرئيس المصري مبارك مع ظهور تباشير انتهاء الحرب، بدأ " يعمل على جعل صدام حسين يغير موقفه من إسرائيل، وبأن العراق امتلك آلة عسكرية قوية، وإذا لم يغير سياسته إزاء إسرائيل فلن تكون هناك فرصة لتحقيق سلام شامل بين العرب وإسرائيل))[٦٣].

لم يستوعب الرئيس العراقي صدام حسين التغيرات التي حصلت في العالم، كما لم يفهم أن أمريكا قد صممت حسم خلافاتها مع العالم الثالث بالقوة العسكرية بعد أن أصبحت القطب الأوحد إثر زوال قوة الإتحاد السوفييتي، وظن أن الجيش العراقي قد وصل من القوة بما يمكنه من الوقوف أمام أية قوة أخرى، ولذا فقد قرأ إشارات الخداع الأمريكية بطريقة خاطئة، فأمريكا قد قررت قبيل انتهاء حربه مع إيران جره نحو إقامة علاقات سلام مع إسرائيل، بيد أنها وجدت رفضاً قاطعاً، مما يجعل هذه القوة خطراً على إسرائيل التي ضمنت أمريكا والغرب الأمن لإسرائيل ضد أية أخطار محيطة، ومن هنا جاء استدراجه للفخ الكويتي، حيث عملت حكومة الكويت وفق أجندة تصعيدية للأزمة دون تقدير للعواقب، حيث بدت سياسات وتصريحات مسئوليها تستفز في تلك المرحلة كافة الدول الإقليمية الكبرى المحيطة بها بدءاً من إيران فالعراق وأخيراً حتى المملكة العربية السعودية.

لقد استدرج العراق إلى الفخ حين استخدمت السفيرة الأمريكية مفردات توحي بعدم اعتراض أمريكا على استخدام العراق للقوة العسكرية ضد الكويت، بحيث أبلغت الرئيس العراقي أن أمريكا لا تبالي بالخلاف العراقي الكويتي قائلة: ((ولكن الذي لا يتوفر لدينا رأي حوله هو الخلافات العربية – العربية، مثل خلافكم الحدودي مع الكويت)) وأضافت ((أنا خدمت بالسفارة الأمريكية بالكويت... وكانت التوجيهات لنا... أن لا علاقة لكم بهذه القضية ولا علاقة لأمريكا بهذه القضية))، وبينما كان بعض الرؤساء العرب يدفعون بالكويت إلى التشدد، كان الكويتيون يجازفون متحدين العراق بقولهم للملك حسين ملك الأردن ((إذا كان العراقيون يريدون أن يدخلوا، ليدخلوا... فسيأتي الأمريكيون ليخرجوهم من الكويت))[٦٤] لقد كان الساسة العرب يجازفون بمستقبل إستراتيجية جزيرة العرب بالعراق برمتها.

لقد دخلت القوات العراقية الكويت، وهربت الحكومة الكويتية إلى المنفى بالمملكة العربية السعودية، و عزمت أمريكا على التدخل العسكري لإخراج القوات العراقية من الكويت، ويرى وليامسون موراي في كتابه حرب العراق أنه قد: ((جاء يوم الحساب، في يوليو ١٩٩٠م عندما تحركت القوات العراقية إلى الكويت في احتلال غير دموي تقريباً...وبعد أيام من لوي الذراع.. اختار الأمريكيون مواجهة سياسية وعند اللزوم عسكرية لإجبار العراقيين على الخروج من الكويت))[٦٥]، لقد كانت أمريكا تنتظر هذا الحساب للعراق منذ مدة طويلة، وقد أخطأ العراق الحسابات وبدت نذر الحرب بالأفق، وأمام انتهاء المهلة التي حددها مجلس الأمن للعراق بالانسحاب من الكويت، شنت قوات التحالف حرباً شرسة ضد العراق - وفق الخطة التي كلف باول تشوارزكوف إعدادها قبل الحرب بأكثر من عام – حيث هزم العراق بهذه الحرب هزيمة كبيرة وخرج بخسائر فادحة - خلال مائة يوم من القتال - فاقت بنتائجها خسائر حرب السنوات الثماني مع إيران، وتم تطويق العراق بمجموعة من القرارات الدولية

وتجريده من أسلحته وعزله دولياً وإقليمياً[٦٦] وقد حوصر العراق، لقد كانت معركة أخرى ضمن حرب طويلة هدفها تصفية الوجود العربي بالعراق وطرد ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب من العراق، لتعود الإستراتيجية الإيرانية إلى فردوسها المفقود منذ ما يزيد عن ألف سنة.

وفي ظل عشر سنوات خاض ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب من العرب السنة بالعراق، حربين ضروسين ضد إستراتيجية إيران والدردنيل، بحيث أصبح وضع إستراتيجية جزيرة العرب وممثليها بالعراق مزعزعاً ينتظر ساعة المعركة الحاسمة، لقد حوصر العراق، وأنهكت ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب الحروب الطويلة، وأدى الحصار والتفتيش وحظر بيع الكثير من الأصناف التي يمكن للعراق أن يستفيد منها في الصناعات العسكرية إلى إنهاك قواه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فضلاً عن العسكرية، لقد كانت إستراتيجية الدردنيل تعد العراق للمعركة الحاسمة التي لن تقوم له معها قائمة، ولم تكن الأسباب الاقتصادية وقوة العراق النفطية التي يجب أن يستفيد منها اليهود والغرب (إستراتيجية الدردنيل) بداية من عرض شامير تصدير النفط العراقي من ميناء حيفا وحتى طمع قادة تلك الإستراتيجية بنفط العراق ذاته، لتعيد إستراتيجية الدردنيل مسببات أطماعها بالعراق منذ العصور القديمة حين كانت المدن التجارية بالعراق هي ما تثير شهية تلك الإستراتيجية.

الإستراتيجية الإيرانية تخادع:

إستراتيجية الدردنيل تحاول احتواء إستراتيجية إيران: (الحقبة البروتستانتية – الشيعية):

بدأ الغرب يلمس فوائد عودة إيران للتحالف معه بعد أن تم امتصاص السيولة النقدية والرساميل المالية الموجودة لإيران والعراق ودول الخليج بالبنوك الأمريكية والأوروبية، ومنذ عام ١٩٨٥-١٩٨٦م بدأت أمريكا تبحث " عن فرص لإيجاد علاقة جيدة مع إيران " كما ورد في برقية من بويندكستر لجورج شولتز، الذي طلب عمل أقسام مستقلة في وزارة الخارجية أحدها يعنى " بالسياسة والإستراتيجية طويلة الأجل مع دولة إيران "[٦٧]، وكما رأى بريجنسكي عن دور إيران قبل عام ١٩٩٩م:((أما دور إيران، فمن المتوقع أن يكون أكثر إشكالية، فالعودة إلى موقف موال للغرب ستسهل، بالتأكيد، استقرار وتعزيز المنطقة، ولهذا فإن من المرغوب فيه استراتيجياً بالنسبة لأمريكا هو تشجيع هذا التحول، في السلوك الايراني)) نحو الغرب[٦٨] وقد كان الرئيسين هاشمي رافسنجاني وخاتمي بعض رجال الإستراتيجية الإيرانية الموالين لإستراتيجية الدردنيل بإيران واللذين حاولا تنفيذ مثل هذا التحول.

واصل الغرب دراسة توجهات إستراتيجية إيران ويرى بريجنسكي بعد عشر سنوات من توقف الحرب العراقية - الإيرانية، وبعد سنتين من سيطرة ما سمي بالمعتدلين برئاسة(خاتمي)، أنه ((ما زالت تطلعات إيران.. في مرحلة من الغموض...، فالإمبراطورية الفارسية تعود إلى ماض أبعد في الذاكرة، وقد كانت شملت في فترة ازدهارها، حوالي ٥٠٠ ق.م. المناطق التي تشغلها حالياً الدول القفقاسية الثلاث...بالإضافة إلى أفغانستان وتركيا والعراق وسوريا ولبنان وإسرائيل، ورغم أن تطلعاتها الجيوبولتيكية الحالية أضيق بكثير من تطلعات

تركيا، حيث تكتفي بالتوجه صوب أفغانستان وأذربيجان فقط، إلا أن المصلحة الدينية الإيرانية تشمل جميع سكان المنطقة من المسلمين، حتى داخل روسيا نفسها، الواقع أن إحياء الإسلام في آسيا الوسطى قد أصبح جزءاً من تطلعات حكام إيران الحاليين))[٦٩]، وفي حقيقة الأمر فإن ذلك لم يكن دقيقاً، إذ أن الإستراتيجية الإيرانية وممثليها العراقيين (من الشيعة) المنفيين بطهران لم يكونوا بعيدين عن أحداث ثورة الشيعة العراقيين بجنوب العراق والتي تمكن العراق من تصفيتها بعنف إثر حرب عام ١٩٩١م.

في عام ١٩٩٨م كان القلق على إيران كبيراً من قبل الغرب الذي يسعى جاهداً لاحتوائها، ذلك أن ((إيران عرضة للتوترات العرقية، فنفوس إيران البالغ عددهم ٦٥مليوناً يتكون نصفهم أو أكثر من نصفهم بقليل من الفرس، ويشكل الأذربيجانيون حوالي الربع، بينما يتكون الباقي من الأكراد والبلوش والتركمان والعرب وقبائل أخرى، باستثناء الأكراد والأذربيجانيين لا يملك الآخرون حاليا القدرة على تهديد وحدة إيران الوطنية، خصوصاً مع وجود درجة عالية من الوعي الوطني وحتى الإمبراطوري، بين الفرس، لكن بإمكان ذلك أن يتغير بسرعة وبالذات في حالة وقوع أزمة سياسية جديدة في إيران)) وهو مايراه كثير من المحللين الغربيين بما في ذلك المحافظون الجدد في إدارة بوش الصغير إلى جانب بعض الخبراء بالغرب ((فإن إيران تملك القوة المحسوسة في طول المنطقة وعرضها، وإيران بثروتها النفطية الغنية، وشَغْلِها امتداداً واسعاً من النطاق الجيوسياسي الحقيقي، هي – وبصورة قابلة للجدل – البلد الأكثر أهمية على المستوى الإستراتيجي بين جيرانها، فهي بسكانها من الكرد تملك حصة من تحديد مستقبل كردستان، ونفوذها الشيعي تملك تأثيراً بالغاً بين أكثرية الشيعة في العراق ولبنان والبحرين، وبين الكثافة الشيعية في المنطقة الشرقية الغنية بالنفط في السعودية، وبين أمراء الحرب في أفغانستان، كما أنه لإيران روابط مع ميليشيات حزب الله العنيفة...))[٧٠]

بعد الهزيمة الإيرانية في الحرب العراقية الإيرانية بدأت إيران تدق على وتر يعجب زعماء الغرب، فقسمت الإستراتيجية الإيرانية رجالها إلى رجال معتدلين ورجال محافظين متشددين، ومع أن رفسنجاني و أكثر المقربين إليه محمد خاتمي هم أكثر القيادة الإيرانية تشدداً في فترة الحرب العراقية الإيرانية، إلا أنهم بسهولة تمكنوا من إقناع العالم أنهم يمثلون الاعتدال الإيراني، وتمكن هذا الفريق من خلال وصوله للسلطة، أن يقنع الآخرين أنه ((يعي تماماً تفوق أمريكا العسكري، ويستعجل على نحو يائس تحسين الأداء الاقتصادي للأمة، ولذلك سعى إلى تخفيف التوترات في الخليج واستعادة روابط إيران بالغرب، ومن هذا الفريق محمد خاتمي...الذي انتخب في عام ١٩٩٧م وأعيد انتخابه عام ٢٠٠١م)) وكانت اللعبة السياسية الإيرانية تنطوي على علم مسبق بأن الرئيس الذي يتزعم هذا الفريق ذو سلطة محدودة حسب الدستور الإيراني " ولكن بدا – للغرب - أن الرئيس الجديد ذو نوايا طيبة ((لكن من غير الواضح، ما إذا كان بإمكان خاتمي أن يتغلب على نفوذ رجال الدين المتشددين، ويعكس موقف إيران الراهن المعادي إزاء الغرب)) كما يرى مايكل كلير[٧١].

وقد بدأت إيران تطرح مشروعاتها ورؤاها الإستراتيجية حيال المنطقة بعد أن رأت أنها أصبحت من القوة الكافية التي تمكنها من ذلك، فطرحت وجهة نظر الإستراتيجية الإيرانية حيال أمن الخليج بأنه مسئولية دوله ورفضها لأي وجود أجنبي ومطالبتها بدور إيراني " مميز في معادلة الأمن الخليجي "[٧٢].

في الناحية الأخرى ظلت إيران تشعر بالتهديد من العراق الذي خرج منتصراً في الحرب معها قبل عدة سنوات، ومن أصولية طالبان في أفغانستان التي هي أكثر تشدداً من أصولية إيران، ولكن على المذهب السني، - حسب رأي كيسنجر - والتي تهدد الأمن الإيراني من الشمال وبشكل متزايد من الشرق عبر باكستان، مع العلم أن طالبان ضعيفة من الناحية الاقتصادية

والعسكرية، ولذا فقد أصبح التعاون مع الغرب ضد العدوين الجارين ممكناً للمصلحة الإيرانية البحتة[٧٣].

وفي حقيقة الأمر ربما كانت هذه المبررات هي ما تسوقه مراكز الأبحاث الأمريكية لسبب في نفس يعقوب، وما تحاول الإستراتيجيتان الدردنيل وإيران أن تسوقانه في خطابهم الإعلامي، أما الحقيقة أن الإستراتيجية الإيرانية وبعد مرور عشر سنوات من توقف الحرب مع العراق كانت قد أعادت بناء بنيتها التحتية، كما أعادت تسليح جيشها وأصبحت قوة إقليمية كبرى، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تقارن قوة العراق المحاصر والمهزوم والذي لم يعد يشكل أية أخطار على أحد، وكذلك قوة طالبان البدائية بالقوة الإيرانية الصاعدة.

وكان التنافس على الموارد بدءاً من المياه وحتى المعادن، والأحجار الكريمة، والخشب والبترول، قد أدى أيضاً إلى الصراع في كثير من المناطق في العالم، ووجد الباحثون في البنك الدولي – القريب كمنظمة من صانعي القرار الأمريكي - أن الدول ذات الموارد الهامة " القابلة للنهب " - الماس والخشب والنحاس وهلم جرا – " يزيد من احتمال أن تشهد حروباً أربعة أضعاف عن الدول التي ليس فيها سلع أولية " كما يورد كلير[٧٤].

لم تكن الاستجابة الأمريكية لصدمات النفط في عام ١٩٧٣-١٩٧٥م محصورة بالإجراءات الدفاعية التي تعدها وزارة الدفاع الأمريكية، وبدأ صناع السياسة الأمريكية يدرسون التدخل العسكري الأمريكي الهجومي بالشرق الأوسط لمنع أي انقطاع في تدفق نفط الخليج، تلك التداولات السرية في البداية،قد أصبحت علنية في منذ عام ١٩٧٥م عندما أبلغ هنري كيسنجر، وزير الخارجية آنذاك، محرري مجلة Busniess Week أن الولايات المتحدة مستعدة للذهاب إلى الحرب لأجل النفط[٧٥].

ولعل العراق يقع بين أهم مناطق العالم البترولية، أو ما يسميه مايكل كلير بالمثلث الإستراتيجي الذي يضم ثلاث مناطق كبرى منتجة للنفط: الخليج

العربي يمتلك حوالي ٦٥٪ من مخزونات النفط المعروفة للعالم، وحوض بحر قزوين الذي ينتج قليلاً من النفط في الوقت الحالي،وشرق آسيا في بحر الصين الجنوبي، ورغم أن المملكة العربية السعودية تتصدر قائمة كبار المنتجين حيث تمتلك احتياطيات مؤكدة، تقدر ٢٦٣بليون برميل ما يمثل حوالي ٢٥٪من الإجمالي العالمي، فإن أهم تلك الدول الأربع التي تليها ذات احتياطات كبيرة جداً هي العراق والذي يمتلك احتياطات تزيد عن ١١٢،٥بليون برميل، مما يجعله في غاية الأهمية للسياسات الأمريكية[٧٦]

ولعله في ظل الثقافة الأمريكية كل شيء يختلف عن العالم، وكما يقول تشومسكي أن هناك ((مبدأ وضيعاً لسادة الجنس البشري))الذين يسيرون سياسة أمريكا و هذا المبدأ هو ((كل شيء لنا، و لا شيء للآخرين)) وهو مبدأ التعالي الذي كتبه جورج واشنطن في عام ١٧٨٢ م حين قال ((إن التوسع التدريجي لمستوطناتنا سيجعل المتوحشين يتراجعون تدريجياً، وكذلك الذئاب، فكلاهما طرائد للصيد، مع أنهم مختلفون شكلاً)) ويرى تشومسكي بسخرية أن رجال الدولة بأمريكا استمروا يحملون نفس القيم؛ فيرى روزفلت الذي هو المثل الأعلى لجورج بوش الأب الذي يسميه تشومسكي بطل "المهمة النبيلة" مهمة تدمير العراق، أثناء مذبحة حرب الخليج عام ١٩٩١م ((إن الحرب الأكثر صلاحاً بين الحروب كلها هي الحرب ضد المتوحشين)) والتي تؤسس لحكم ((العرق السيد في العالم))[٧٧].

ويعتبر بريجنسكي أن نصف الكرة الغربي بشكل عام محصناً ضد التأثيرات الخارجية، مما يتيح لأمريكا لعب دور مركزي في المنظمات المتعددة الأطراف القائمة فعلاً في ذلك النصف من العالم، وخاصة في الترتيبات الأمنية الخاصة المتخذة في الخليج العربي، خصوصاً بعد المهمة التأديبية ضد العراق عام ١٩٩١م حولت هذه المنطقة ذات الأهمية الاقتصادية، إلى محمية عسكرية أمريكية[٧٨].

في يناير عام ٢٠٠١م تسلم بوش الابن وفريق مستشاريه الإدارة الأمريكية بعد نصر هزيل " ونزاع غير مهذب " حول نتائج الانتخابات في ولاية فلوريدا، وبدأ الرئيس الجديد في محاولة استكمال مهمة والده بوش الأب الناقصة حيث فشل في اقتلاع صدام في حرب عام ١٩٩١م،كما فشل في احتلال العراق رغم النصر الذي حققه والده آنذاك، وفي سبتمبر ٢٠٠١م شنت منظمة القاعدة هجومها على برجي التجارة في نيويورك، بحيث شكلت هذه الصدمة تغييراً جذرياً لدى الشعب الأمريكي، ويرى موراي ((أن الرئيس بوش كأسلافه لن يكسب تأييداً لشن الحرب على العراق، ولن يدعمه الناخبين الأمريكيين بدون أحداث ١١ سبتمبر))، ولهذا سهل هذا الحدث الكبير مهمة بوش في إقناع الرأي العام الأمريكي بشن هجومه على العراق، لقد كان يحيط به فريق من المحافظين الجدد الذين يرون ضرب الأنظمة العربية في العراق وسوريا وحتى المملكة العربية السعودية كأمر مرغوب فيه، وكان هؤلاء الفريق جلهم من اليهود وليس من المسيحيين؛ الذين كما يقول فرانسيس فوكوياما في كتابه أمريكا على مفترق طرق ((كثير من المعلقين أشاروا إلى الحقيقة المتمثلة في أن عدة مناصرين بارزين لحرب العراق من أمثال بول وولفوويتز ودوغلاس فيث وريتشارد بيرل، كانوا يهوداً، وحاجَّ أولئك المعلقون في أن سياسة العراق [الأمريكية] كانت مصممة في نهاية المطاف لتجعل الشرق الأوسط آمناً بالنسبة لإسرائيل))[٧٩]، ذلك الضمان لأمن إسرائيل؛ الذي أصبح منذ مؤتمر السلام بسان ريمو ١٩٢٠م هو "هوس" إستراتيجية الدردنيل الغربية.

لعلنا نلمس التلميح الذي ألمح إليه كيسنجر حين ادعى أن إيران ((ظلت تشعر بالتهديد من العراق الذي خرج منتصراً في الحرب معها قبل عدة سنوات، ومن أصولية طالبان في أفغانستان التي هي أكثر تشدداً من أصولية إيران، والتي تهدد الأمن الإيراني من الشمال...، ولذا فقد أصبح التعاون مع الغرب ضد العدوين الجارين ممكناً للمصلحة الإيرانية البحتة))[٨٠]، أي أنه قد

بدأت مصالح إستراتيجية الدردنيل الغربية وإستراتيجية إيران بالتلاقي من جديد؛ لقد أصبح بسياسة المحافظين الجدد الذين يشكلون فريق جورج دبليو بوش الحاكم سياسة رسمية لأمريكا، لقد أصبحت إستراتيجية الدردنيل سواء كانت متطوعة أم متفقة ومتحالفة أو لتوافق المصالح عن طريق الصدفة فحسب؛ تحقق لإستراتيجية إيران كل طموحاتها سواء ضد طالبان الأصولية السنية، أو العراق البعثي العلماني، وهنا تحقق المبدأ أو الدرس الثاني للإستراتيجية الإيرانية وهو التعاون مع من هم غرب العراق.

كان الحصار قد أنهك ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب بالعراق، وأصبحت إستراتيجية الدردنيل قادرة على حصاد ثمار خطة حصار العراق وتجويعه وإنهاك قواه خلال ثلاثة عشر سنة من عام ١٩٩١-٢٠٠٣م، وبتحالف علني مع الإستراتيجية الإيرانية، حيث صرح وزير الدفاع الإيراني شامخاني قبيل الحرب الأمريكية لغزو العراق – آنذاك - أن مرور الطائرات والصواريخ الأمريكية لضرب العراق مع المجال الجوي الإيراني ليس عدائياً ضد إيران، كما أعلن وزير الدفاع الإيراني وكذلك نائب الرئيس خاتمي أنه لولا مساعدة إيران لأمريكا في أفغانستان والعراق لما تمكنت أمريكا من تحقيق النصر في حربيها على نظام طالبان ونظام صدام.

ومن خلال حرب إعلامية كبرى خاضها فريق بوش تمكنوا من إعداد الرأي العام الأمريكي للحرب ضد العراق، ففي تشرين الأول أكتوبر ٢٠٠٢م أيدت أكثرية ديموقراطية من أعضاء مجلس الشيوخ قراراً يفوض الرئيس بوش بحق شن الحرب على العراق، بينما نجد نظرائهم السياسيين في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبلجيكا؛ بل وحتى في المملكة المتحدة كانوا ينظرون بدهشة وبرعب أحياناً تجاه هذا الغزو[٨١].

استطاع الأمريكيون أن يتصوروا اجتياح العراق والإطاحة بصدام بنجاح، فأقدم في نهاية ٢٠٠٢ أكثر من ٧٠٪منهم على تأييد مثل هذه العملية، ولا غرابة أن الأوروبيين اعتبروا الاحتمال غير قابل للتصور ومثيراً للفزع[٨٢].

لقد حسمت إستراتيجية الدردنيل أمرها في احتلال العراق واستغلال نفطه لصالح أمريكا؛ فالعراق يتربع على ربع الاحتياطيات العالمية من البترول؛ إلى جانب أسباب أخرى كتهديد العراق لإسرائيل، و ما قيل عن صلاته بالقاعدة، وتصنيعه لأسلحة الدمار الشامل، فعقد اجتماع هام بين بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير وشاركهم رئيس الوزراء الإسباني بقاعدة عسكرية بجزر الآزور؛ بحيث أصدروا إنذارهما الأخير للأمم المتحدة ومجلس الأمن خلال أربع وعشرين ساعة، وإلا سوف يتم غزو العراق دون الرجوع إليه[٨٣].

وقد قام بوش بحربه ضد العراق، وتمكن من احتلال بغداد احتلالاً عسكرياً؛ معلناً أن الوجود الأمريكي بالعراق قد يستمر لعشر سنوات قادمة، ومع دخول القوات الأمريكية بدأت طلائع ممثلي الإستراتيجية الإيرانية من شيعة العراق المنفيين بطهران بالتوافد من طهران بمليشياتهم وأسلحتهم، تحت بصر ومسمع القوات الأمريكية، وشكل ممثلي الإستراتيجية الإيرانية الحكومة الجديدة والجيش والشرطة إلى جانب الميليشيات، وفي الوقت ذاته بدأت إستراتيجية الجزيرة العربية وممثليها بالعراق ينظمون مقاومة شعبية ضد الاحتلال الأمريكي والاحتلال الإيراني

و بدا أن هناك تنسيقاً بين الإستراتيجيتين الدردنيل وإيران في العراق، غير أن بعض المراقبين لاحظوا ((أن تصرفات إيران فيما يتعلق باحتلال العراق..تنطلق من نظرة أنانية ومصلحة ضيقة)) وتتعامل مع الأمريكيين على حساب العراق[٨٤]، وهو ما يعني أن هناك تفاهماً خفياً وتحالفاً ضمنياً مؤكداً بين إستراتيجية إيران وإستراتيجية الدردنيل في تقاسم الأدوار بالعراق، وليس

أدل عليه أن أهم رموز السلطة العراقية هم ضباط مخابرات إيرانيين مثل وزير الداخلية السابق وموفق الربيعي رئيس مجلس الأمن القومي العراقي وغيرهم في ظل الاحتلال الأمريكي.

ومع ذلك فإن الخلاف بين الإستراتيجيتين بدأ بالتفاقم مع الوقت، ذلك أن الإستراتيجية الإيرانية غلبت عليها طبيعتها وعنفها المعهود، فبدأت الحكومة التي تمثل الإستراتيجية الإيرانية بحملة تطهير عرقي وطائفي رهيب لممثلي إستراتيجية جزيرة العرب من العراقيين السنة وغيرهم كالتركمان، ((فقد قامت ميليشيات بدر التابعة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية بقيادة الحكيم بإحراق عائلات بأكملها داخل منازلها، نساء وأطفالاً وشيوخاً تحت سمع وبصر قوات الاحتلال التي لم تحرك ساكناً))، حتى أصبحت عمليات الاختطاف للشباب العربي السني وقتلهم بعد تعذيبهم وإلقاء جثمانهم بشوارع المدن تتصدر نشرات الأخبار اليومية، ولعل النشاط الاقتصادي بالعراق أو بمعنى أدق؛ بجنوب العراق، بدأ يؤكد أن العراق بدأ يشهد تغييراً واضحاً لصالح الإستراتيجية الإيرانية تحت سمع وبصر إستراتيجية الدردنيل، إذ أن الناس والتجار يتعاملون في مدينتي "كربلاء" و " النجف " بالعملة الإيرانية (التومان) بدلاً من استخدام العملة العراقية التي تمثل عملة العراق أو الدولار الذي يمثل دولة الاحتلال، بل إن كل الإيرانيين الذين هجَّرهم صدام حسين وكثيرين آخرين قدموا للعراق كمهاجرين إيرانيين جدد – بمن فيهم من لا يتكلم اللغة العربية – أعطيت لهم جنسية عراقية وتم توطينهم وتزوير شهادت ميلادهم باعتبارهم من مواليد النجف وكربلاء[٨٥].

وقد كان نتيجة تقييم أمريكا لموقف حلفائها الشيعة العراقيين سلبياً، بحيث أن واشنطن باتت ((تخشى أموراً ثلاثة: ١) أن الشيعة سيفرضون جمهورية إسلامية تماثل الجمهورية الإيرانية... ٢) إن الشيعة سيقعون في المدى البعيد

تحت نفوذ أو سيطرة إيران ويصبحون دائرين في الفلك الإيراني، ٣)إن حكومة شيعية..ستسعى إلى ثلاثة نظم حاكمة منفصلة)).

وهنا جاءت مخاوف أمريكا على الخليج العربي من أن تعود سياسات إيران المعتمدة على القوة، وخاصة بعد سيطرتها على العراق من تهديد جديد لدول الخليج العربي بحيث تهيمن على المنطقة، خاصة بما تمتلكه من قوة عسكرية وبشرية واقتصادية قد تمثل تهديداً حقيقياً لدول مجلس التعاون الخليجي، وبدأت أمريكا تخشى من أن تسفر مخاوفها عن قوة إيرانية بلا رادع في الأجل الطويل[٨٦].

لقد اضطر بوش والمحافظون الجدد (قادة إستراتيجية الدردنيل) أن يحذروا إيران (الإستراتيجية الإيرانية) من التدخل بشئون العراق، وهم بهذا قد انتقلوا من حالة التحالف - التي بدأت قبيل الحرب الأمريكية ضد أفغانستان ٢٠٠١-٢٠٠٢م وتواصل خلال الحرب الأمريكية على العراق عام ٢٠٠٣م - إلى حالة الشكوك والتوجس والعداء، كما بدأوا يحذرون الحكومة العراقية العميلة ومليشيات الأحزاب العراقية التابعة أو الممثلة للإستراتيجية الإيرانية من مواصلة الأخطاء والجرائم التي دفع الرئيس الأمريكي ثمناً باهظاً لصمته حيال تلك الجرائم، حين صوت الناخب الأمريكي للديموقراطيين في نهاية عام ٢٠٠٧م في الكونجرس.

وعليه فإن نتيجة هذا البحث ترى أن الخلاف سيستمر بين الإستراتيجيتين المختلفتين حيال الكثير من السياسات التي تتبعها كل منهما بالعراق خصوصاً والشرق الأوسط بشكل عام، في حين ستواجه إستراتيجية جزيرة العرب ضغوطاً معنوية أمام صمتها الطويل تجاه ما يحدث لممثليها بالعراق، وستجد نفسها قريباً جداً مجبرة على التدخل لحماية مصالحها بالعراق، بحيث ستبدأ إستراتيجية جزيرة العرب (حقبة الرياض) بالعمل على استرجاع العراق من مغتصبيه.

إستراتيجية جزيرة العرب الجديدة: (حقبة الرياض):

منذ عقد الثمانينيات من القرن العشرين بدأت إيران تشكل تهديداً خطيراً للمملكة العربية السعودية ودويلات الخليج العربي، وقد رؤي حينها أن إيران قد تجد " طريقاً علوياً [شيعياً] مفتوحاً إلى حقول النفط السعودية " وأنه " لن يكون بإمكان أي قوة محلية أن توقفهم "، ومن هنا فإن زيادة النشاط الإيراني والهيمنة الإيرانية على حكومة يسيطر عليها ممثلي الإستراتيجية الإيرانية بالعراق من الشيعة لا بد من أن يثير الذعر في العالم العربي وبخاصة إستراتيجية جزيرة العرب، حيث أن " فكرة إيران التي تتحرك بلا رادع عسكرياً في منطقة الخليج هي الكابوس المطلق للسعوديين " كما يرى جورج فريدمان مدير مؤسسة ستراتفور الأمريكية الخاصة للتحليلات المخابراتية والإستراتيجية – إذ أنه " من شأن هذا التحرك أن تكون له تأثيرات دينية وإستراتيجية واقتصادية ذات أبعاد كارثية " على المملكة العربية السعودية وكل دويلات الخليج العربي[٨٧].

وقد بدأت جزيرة العرب ممثلة بالمملكة العربية السعودية تتململ وتفصح عن ضيقها ونفاذ صبرها من الصراع الإستراتيجي بالعراق، فإستراتيجية الدردنيل حاولت أن تفرض نفوذها على العراق، ولكنها بدأت تعاني من هزيمة كبرى بدت تتكشف يوماً بعد يوم بسبب المقاومة العراقية الصلبة التي يقوم بها أهل السنة بالعراق حالياً (ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب)؛ بحيث أنها تمكنت من أن تودي بأحلامهم في مياه نهري الفرات ودجلة، وقد لاحظ وليام بولك من مؤسسة مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة شيكاغو بأن " علينا أن نختار الانسحاب بدلاً من أن نجبر عليه، الوقت رصيد يضيع وكلما طال الوقت الذي نؤجل فيه هذا الخيار، أصبح أصعب علينا اتخاذه " وقد بدأت تقارير معاهد ومراكز الأبحاث تحذر الغرب من هزيمة قاسية للجيش الأمريكي بالعراق فقد قال أحد تلك التقارير إن " أسوأ ما يمكن أن يحدث، في حالة انهيار سريع، سيكون جلاءً مذلاً كما حدث في فيتنام " بل إن تقريراً لتسعين مختصاً يعملون

بالمجموعة الدولية للأزمات – وهي منظمة مستقلة متعددة الجنسيات في بروكسل – ومنذ عام ٢٠٠٤م قد طالبت الحكومة الأمريكية " بتحديد جدول زمني لانسحاب تدريجي وتحديد موعد للانسحاب الكامل للقوات الأمريكية والنبذ الصريح والعلني لنية إقامة قواعد عسكرية طويلة الأجل " وسواء كان الانسحاب الأمريكي وفق انسحاب تدريجي أو انهيار مفاجئ أو من خلال توكيل أمر العراق " لحكومة إنقاذ وطني " مع هروب سريع أو غيرها فإن مسألة هزيمة إستراتيجية الدردنيل بالعراق أضحت مسألة وقت فحسب، وقد لا تتعدى نهاية عام ٢٠٠٨ أو أواسط عام ٢٠٠٩م على الأكثر(٨٨).

لقد بدأت إستراتيجية جزيرة العرب تنظر بوجل إلى خطورة الأوضاع بالعراق ولئن قامت المملكة العربية السعودية بدعوة الفرقاء العراقيين من ممثلي الإستراتيجية الإيرانية وممثلي إستراتيجية الجزيرة العربية بالاجتماع بمكة المكرمة لحل الخلافات المذهبية والسياسية، فإن استمرار الأوضاع على ما كانت عليه جعلت توجسات إستراتيجية جزيرة العرب تزداد حدة مع الأيام، وقد أمست تصريحات وزارة الخارجية السعودية - التي لا تزال على استحياء – تساندهم منذ نهاية عام ٢٠٠٦م.

ويرى جورج فريدمان أن للرياض (إستراتيجية جزيرة العرب) " مصلحة في أن تتيقن من أنه ليس ثمة تهديد من جانب العراق، لهذا فإن للسعوديين – أكثر من غيرهم – مصلحة في أن يتأكدوا من أن العراق لا يتفكك وأن الشيعة [كممثلين للإستراتيجية الإيرانية]لا يسمح لهم بأن يحكموا بلا ضابط من مصالح أهل السنة [كممثلين لإستراتيجية جزيرة العرب]، ومن ثم فإن السعوديين هم الذين يملكون المصلحة الأكبر في التيقن من أن الأحزاب السنية في العراق تشارك في تأطير الدستور وفي حكومات المستقبل "، ومن هذا المنطلق يرى فريدمان أن السعوديين يريدون كبح الدعم للمقاومة العراقية أملاً في إعادة الاستقرار للمناطق السنية(٨٩).

ولعل جزيرة العرب كعادتها في التدخل بالعراق – خلال حقب التاريخ - وسواء كان ذلك تدخلاً رسمياً أم شعبياً (أقوام أو قبائل أو جماعات) فقد لاحظ بعض المراقبين أن المقاومة العراقية ((تحتاج إلى دعم المتعاطفين معها من خارج العراق، في بلدان مثل المملكة العربية السعودية أو سوريا (التي هي بدورها تمثل إستراتيجية جزيرة العرب بالشام)، وبغض النظر عما إذا كانت أنواع الدعم هذه برضى من الحكومتين، فإنه يبدو أن أنواعاً مختلفة من الدعم تتدفق من هذه البلدان... والحقيقة... إن لدى العالم العربي [إستراتيجية جزيرة العرب وممثليها] مصلحة أكيدة في احتواء الإيرانيين، كما أن لدى السعوديين – أيضاً - كثيراً من أدوات التأثير التي تمس الحاجة إليها لتحقيق تعاون في العالم العربي، وبصفة خاصة المال،... وهم - إذا كانوا لا يريدون أن تحرس القوات الأمريكية حقولهم النفطية – بحاجة لأن يتصرفوا)).

ويشارك بمثل هذه الرؤية بعض المراقبين العراقيين الذين يميزون بين فئات المقاومة العراقية، ولعل الدكتور خير الدين حسيب صنفها إلى إحدى عشرة مجموعة وجعل من له صلة رسمية أو غير رسمية مرتبطة بالمملكة العربية السعودية – حسب رأيه كمراقب -، رغم الضغوط التي توجهها أمريكا على دول الجوار العراقي بما في ذلك السعودية لغلق حدودها والسيطرة على حركة العبور نحو العراق[٩٠]، وهو ما يعني أن إستراتيجية الجزيرة العربية ستجد نفسها مدفوعة مرغمة على العمل والتصرف ضد الإستراتيجية الإيرانية في العراق للمحافظة على مصالحها ومصالح ممثليها هناك ولكن سيتطور ويزداد هذا الشعور مع الوقت.

وسيثبت لإستراتيجية جزيرة العرب شيئاً فشيئاً أنه قد كان هناك تنسيقاً كبيراً بين إستراتيجية الدردنيل مع إستراتيجية إيران ضد مصالحها ومصالح ممثليها و مصالح المملكة العربية السعودية بالعراق؛ خصوصاً باعتبار أهل السنة بالعراق امتداداً حقيقياً لهم ولمصالح جزيرة العرب الإستراتيجية، ومما

يثبت مثل هذا التحالف بين هاتين الإستراتيجيتين (إيران- الدردنيل) أن صانعي السياسات لقادة إستراتيجية الدردنيل من المحافظين الجدد في إدارة بوش قد أرادوا من إسقاط النظام العراقي الذي يعتبر من أحد الوجوه ممثلاً عراقياً لإستراتيجية جزيرة العرب، بأن ظل ماكس سنجر مؤسس مشارك لمؤسسة هدسون ينصح الإدارة الأمريكية بتفكيك المملكة العربية السعودية، عن طريق تقسيمها بين الإقليم الشرقي ذي الأغلبية الشيعية على حد رأيه، وغرب المملكة الحجاز.

وَيرى سنجر بوضوح إن إسقاط صدام حسين ستكون له هزة في أرجاء المنطقة ويواصل أمانيه قائلاً " إن كان هذا يعني سقوط النظام (في المملكة العربية السعودية) فليكن "، لقد كانت أطماع إستراتيجية الدردنيل تصل بأحلامها إلى ما يراه سنجر – أحد رجال المحافظين الجدد – بأنه سيعني أن رحيل صدام حسين سيكون مقدمة لانهيار النظام السعودي تحت وطأة المتطرفين بالقاعدة؛ مما يعني أنه " يتوجب علينا أن نمد الحرب إلى شبه الجزيرة العربية، وفي أقل الأحوال، علينا أن نمدها إلى المناطق المنتجة للنفط "[٩١]؛ مما يعني أن إستراتيجية الدردنيل وللمرة الرابعة في التاريخ تفكر في احتلال جزيرة العرب ذاتها فكما كانت سابقاً من أجل طرق التجارة فإنها حالياً من أجل البترول، (حيث كانت المحاولة الأولى أيام الرومان حيث هلكت الحملة في مجاهل جزيرة العرب والمحاولة الثانية في عهد الدولة البيزنطية – جستنيان – والمحاولة الثالثة والوحيدة التي نجحت في عهد سليم الأول وسليمان القانوني وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ولكن في هذه المرة فإن إستراتيجية الدردنيل كانت تخطط لأن تحتل جزيرة العرب بالتعاون الوثيق مع الإستراتيجية الإيرانية وممثليها بالعراق وشرق الجزيرة العربية وليس كمنافسة لها.

ولكن أمام فشل أمريكا وإستراتيجية الدردنيل في مشروعها بالعراق ومنافسة الإستراتيجية الإيرانية لها هناك؛ حيث حلت المنافسة بدلاً من التفاهم

والتنسيق؛ فإن أمريكا باتت تضغط على المملكة العربية السعودية حيال العراق وفق رؤية جديدة: بما أن ممثلي إستراتيجية الجزيرة العربية بالعراق (أهل السنة) هم الذين يقومون بالمقاومة للوجود والاحتلال الأمريكي، وبما أن أمريكا غير قادرة على القضاء على تلك المقاومة، ((وبما أن الرياض تريد أن تتأكد من أن القوات الأمريكية باقية بالعراق – في مركز يمكنها من وقف أطماع الإيرانيين – يحتاج السعوديون لأن يقنعوا أخوانهم السنة بأن يوقفوا المقاومة وأن ينخرطوا في العملية السياسية هناك))(٩٢).

وفي حالة اضطرار إستراتيجية الدردنيل للانسحاب العاجل من العراق فإن إستراتيجية الجزيرة العربية سيكون لها خيارين: فإما التدخل بالعراق لحماية مصالحها هناك وفرض إرادتها بقوة المال والرجال والسلاح، أو ترك العراق كساحة سهلة ولقمة سائغة في فم الإستراتيجية الإيرانية التي يبدو لأول وهلة أنها أوشكت على أن تبتلعها؛ وهو ما لا يمكن تصوره بأن إستراتيجية جزيرة العرب قادرة على القبول به.

ويبدو أن إستراتيجية الدردنيل ستخلط أوراق العراق قبل انسحابها منه، في حين أن قادة الإستراتيجية الإيرانية يمتلكون قدراً كبيراً من النفوذ بين الشيعة العراقيين، ويضغطون من أجل إحداث تغييرات و " تطورات سياسية سريعة " تمكنهم من تشديد قبضتهم على العراق وتحقيق أهدافهم؛ قبل أن يعيد ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب العراقيين تنظيم أنفسهم من خلال تدخل قوي للسياسة السعودية بالعراق، ولعل تشديد الإستراتيجية الإيرانية قبضتها من خلال عناصر استخباراتها وما يقال عن تواجد أكثر لميلشيا الحرس الثوري الإيراني بالعراق؛ إلى جانب ممثليها الشيعة العراقيين من خلال ميليشياتهم بالعراق، وما يمثله ذلك من تهديد للخليج؛ سيغير طبيعة العلاقات بين الإستراتيجيات الثلاثة، فكما يرى جورج فريدمان ((إن الجيو سياسية تخلق محصلات مثيرة للاهتمام، مصالح الأمريكيين والسعوديين / العرب تتقارب

الآن)) ولعل السياق الذي يجب أن تقرأ فيه " المشاجرات " الأمريكية الإيرانية (إستراتيجيتي إيران – الدردنيل) ليس ما هو معلن – رغم أهمية الموضوع – حول الأسلحة النووية، ولكن يجب أن تقرأ تلك المشاجرات والخلافات من خلال ما يطرح على الطاولة حقيقة وهو مستقبل العراق؛ حيث تلح طهران لتصل إلى ((نتائج تؤمّن – على الأقل – حدود إيران الغربية بصفة دائمة وتجعل من إيران – على الأكثر – القوة الإقليمية المهيمنة، وهم يفعلون ما باستطاعتهم لتحقيق ذلك الهدف)) في وقت ترى الإستراتيجية الإيرانية أنها في وضع إستراتيجي يمكنها من تهديد إستراتيجية الدردنيل نفسها بالعراق حيث كما صرح وزير الدفاع الإيراني السابق بأن جنود الجيش الأمريكي بالعراق في قبضة إيران[٩٣].

إن هذا التقارب هو بالتأكيد بسبب أن الإستراتيجية الإيرانية قد تمكنت من خداع إستراتيجية الدردنيل، ومع أنها دخلت العراق بعد احتلاله عام ٢٠٠٣م كحليف لإستراتيجية الدردنيل؛ إلا أنها الآن أصبحت تقوم بضغوط هائلة من قبل ممثليها الشيعة بالعراق لتحقيق مصالح أكبر لنفسها بالعراق، وإحراج إستراتيجية الدردنيل وذلك بإتباعها لسياسات العنف التي اتصفت به الإستراتيجية الإيرانية عبر العصور، من خلال التطهير العرقي والطائفي لمثلي إستراتيجية جزيرة العرب، وبشكل مفضوح من خلال إلقاء عشرات ومئات الجثث المعذبة حتى الموت بشوارع مدن العراق، مما أحرج قيادة ومنظمات إستراتيجية الدردنيل التي كانت تنسق مع الإستراتيجية الإيرانية حول ذلك فيما مضى.

وسيستمر الصراع الإستراتيجي في العراق بين إستراتيجيتي الجزيرة العربية والإيرانية بالمرحلة القادمة بعد انسحاب وشيك قد لا يكون تدريجياً للقوات الأطلسية (جغرافية الدردنيل) ولعل الأمر سيكون سهلاً كصنع كوب من الشاي بالنسبة للإيرانيين في المرحلة القادمة في تقدم إستراتيجيتهم بالعراق، كما سيكون صعباً جداً على إستراتيجية جزيرة العرب ممثلة بالسياسة

السعودية المتحركة حالياً تجاه تقدم إستراتيجية جزيرة العرب من جديد أو تغيير مجري الأحداث بالعراق، وستحتاج إلى جهد جبار وعمل دؤوب لاستعادة العراق ومصالحها بالعراق، ورغم الجهد الذي تقوم به الإستراتيجية الإيرانية مع قادة إستراتيجية جزيرة العرب بالرياض، فإنه سرعان ما سيكتشف هؤلاء القادة أن قادة الإستراتيجية الإيرانية لا يهدفون إلى أكثر من تجريب استخدام الخداع الذي نجح مع إستراتيجية الدردنيل مع قادة إستراتيجية جزيرة العرب لكسب الوقت؛ حتى يتمكن ممثلي الإستراتيجية الإيرانية من تصفية القضية العراقية كما يريدون.

هوامش الفصل الثالث

١. محمد فريد بك المحامي . تاريخ الدولة العثمانية . تحقيق د. إحسان حقي . دارِ النفـائس . بـيروت . الطبعـة الأولى . ١٤٠١هـ /١٩٨١م . ص ٢٠٩؛ نصرالله فلسفي . المرجع السابق . ص لو

٢. برنارد لويس . استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية . تعريب : د. سيد رضـوان علـي . الـدار الـسعودية للنـشر والتوزيـع. جـدة. الطبعـة الثانيـة. ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م. ص٣٩-٤٠ .

٣. وجيه كوثراني. المرجع السابق . ص٤٤

٤. فريـد بـك المحـامي . ص١٦٣-١٦٤ ص١٧١-١٧٥؛ بـول كينـدي . نـشوء وسقوط القوى العظمى . ترجمة مالك البديري . الأهلية للنشر والتوزيـع . عمان . الطبعة الأولى . ١٤١٤هـ /١٩٩٤م . ص ٢٢

٥. نـصر الله فلـسفي . إيـران وعلاقاتهـا الخارجيـة في العـصر الـصفوي . ترجمة محمد فتحي يوسف الريس . دار الثقافة للطباعة والنشر . القـاهرة . ١٩٨٩م . ص و . ص ز . نقلاً عن : د.ابراهيم باسـتاني بـاريزي . سياسـت واقتصاد در عصر صفوي.

٦. دزموند ستيوارت . تاريخ الشرق الأوسط الحديث . تعريب . زهدي جار الله . دار النهـار للنـشر . بـيروت . ١٩٧٤م . ص١٨٦؛ نـصر الله فلـسفي . المرجـع السابق . ص ج وجيه كوثراني . المرجـع السابق . ص٤٦ . برنـارد لويس . المرجع السابق . ص٥٢ ..

٧. برنارد لويس . المرجع السابق . ص٥٢

٨. د.عبدالله إبراهيم العسكر , التحقيب التاريخي دراسة في حقب التاريخ الإسلامي , بحث منشور في مجلة بحوث تاريخية صادر عن الجمعية التاريخية السعودية عن اللقاءين العلميين الأول والثاني في شهر شوال ١٤٠٩هـ وشوال ١٤١٠هـ , مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج , الرياض , ١٤١١هـ -١٩٩١م , ص ٢٧٦ , بول كيندي , نشوء وسقوط القوى العظمى ,(مرجع سابق) , ص٣٣

٩. نصر الله فلسفي , المرجع السابق , ص ج

١٠. د.سليمان الرحيلي , المرجع السابق , ص٢٩٠-٢٩٣

١١. نصر الله فلسفي , المرجع السابق , ص ب, ص يط , ص كأ , ص كد؛ وجيه كوثراني , المرجع السابق , ص ٤٦

١٢. كارين أرمسترونج , الحرب المقدسة , الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم , ترجمة سامي الكعكي , دار الكتاب العربي , بيروت , الطبعة العربية الأولى , ٢٠٠٤م , ص ٤٤٩؛ د. سليمان الرحيلي , المرجع السابق , ص٢٧٩

١٣. نصرالله فلسفي , المرجع السابق , ص كد , ص كه ص كح , ص لب , برنارد لويس , المرجع السابق , ص ٥٢

١٤. نصرالله فلسفي , المرجع السابق , ص له , لو , لز , لح ,؛ بول كيندي , المرجع السابق , ص٣٣

١٥. محمد فريد بك المحامي , المصدر السابق , ص ١٩١

١٦. محمد أمين غالب الطويل , المرجع السابق , ص٢٩٧

١٧. انظر برنارد لويس , المرجع السابق , ص٥٢

١٨. المرجع نفسه , ص ٥٣, ص٥٥.

١٩. د.وجيه كوثراني , المرجع السابق , ص٤٩

٢٠. د. سليمان الرحيلي ، المرجع السابق ، ص٢٨٨؛ نصرالله فلسفي ، ، المرجع السابق ، ص ج.

٢١. نصرالله فلسفي ، المرجع السابق ، ص يح و ص كب.

٢٢. د.وجيه كوثراني ، المرجع السابق ، ص٤٩-٥١ .

٢٣. المرجع نفسه، ص٥١-٥٢

٢٤. ج.ج لويمر ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص١٥٨٠-١٥٨١؛ الموسوعة العربية العالمية ، المرجع السابق ، ج١٠ ، ص ٤٧٤

٢٥. بوركهارت ، المرجع السابق ، ص ٧١ ، ص٧٥ ، ص٨٤ ، ص١٠١-١٠٣؛ د.عبدالغني عماد ، المرجع السابق ، ص٣١؛ لوريمر ، المرجع السابق، ج٣ ، ص ١٦١١ ، ص ١٥٨٣-١٥٨٤، ص ١٦٠٩ - ١٦١٠؛ ابن بشر ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٥٧ -٢٥٨، ص ٢٩٦ ، ص٣٢٨ ، ص٣٠١ ، ص ٣٠٩ - ٣١٠؛ ألويس موزيل ، تاريخ الدولة السعودية ، مجلة العرب ، الجزء ١-٢ ، رجب وشعبان ١٣٩٦هـ - يوليو -أغسطس ١٩٧٦م ، ص ٢١٨؛ د. أبو علية ، المرجع السابق ، ص ٣٣؛ د. علي الوردي ، المرجع السابق ، ص ٢١٥-٢١٦

٢٦. د.محمد آل زلفة ، الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير...كما ورد في تقرير جوزيف روسو.... المرجع السابق ، الدرعية ،السنة الأولى ، العدد الأول ،محرم ١٤١٩هـ. ص١٥٢-١٥٦

٢٧. المرجع نفسه ، ص ١٥٦

٢٨. المرجع نفسه ، ص ١٥٢

٢٩. أحمد مرسي ، شريف مكة بين قوتين ، مجلة الدارة ، تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز ، العدد الأول ، السنة الثانية ،ربيع الأول عام ١٣٩٦هـ- مارس ١٩٧٦م ، ص ١٦٩

٣٠.د.كريم طلال الركابي . التطورات السياسية الداخلية في نجد . الدار العربية للموسوعات . بيروت . الطبعة الأولى . ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ. ص٦٥

٣١.ستيفن همسلي لونكريك . العراق الحديث من عام ١٩٠٠-١٩٥٠م . ترجمة سليم طه التكريتي . الطبعة الأولى . بغداد . ١٩٨٨م . ج١ . ص٣٥

٣٢.لونكريك . المرجع السابق . ج١. ص٣٦

٣٣.المرجع نفسه . ج١. ص١٢٤

٣٤.المرجع نفسه . ج١ . ص١٢٨

٣٥.المرجع نفسه . ج١ . ص٣٥١-٣٥٢

٣٦.وليامسون موراي . روبرت هـ. سكايلز جونيور . حرب العراق . تاريخ عسكري ميداني يومي . الدار العربية للعلوم . بيروت . الطبعة الأولى . ١٤٢٥هـ /٢٠٠٥م . ص٢٨-٢٩

٣٧.هنري كيسنجر . الدبلوماسية من القرن السابع عشر حتى بداية الحرب الباردة . ترجمة مالك البديري . الأهلية للنشر والتوزيع . عمان . الطبعة الأولى . ١٩٩٥م /١٤١٥هـ . ص ١٣٥

٣٨.بول كيندي . الإستعداد للقرن الحادي والعشرين . نرجمة محمد عبدالقادر وزميله . دار الشروق . عمان . ١٩٩٣م . ص٢٦٩

٣٩.فيصل بن سلمان آل سعود . إيران والسعودية والخليج . سياسة القوة في مرحلة إنتقالية ١٩٦٨-١٩٧١م . ترجمة نسرين ناضر . دار النهار . بيروت . الطبعة الأولى . ٢٠٠٦م . ص ٢٤-٢٥؛ مايكل كلير . المرجع السابق . ص ٦١

٤٠.جيف سيمونز . عراق المستقبل . السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط . ترجمة سعيد العظم . دار الساقي . بيروت . الطبعة العربية الأولى . ٢٠٠٤م . ص٢٩٩

٤١. هنري كيسنجر . هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية . نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين ,ترجمة عمر الأيوبي . دار الكتاب العربي . بيروت, الطبعة العربية الأولى . ٢٠٠٢م . ص١٦٤

٤٢. سعيد باديب ,العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٣٢-١٩٨٢م . دار الساقي . ومركز الدراسات الإيرانية العربية . لندن . الطبعة الأولى . ١٩٩٤م . ص١٠١

٤٣. جيف سيمونز . المرجع السابق . . ص٢٩٨

٤٤. تشارلز تريب . صفحات من تاريخ العراق . ترجمة زينة جابر إدريس . الدار العربية للعلوم . بيروت . الطبعة الأولى . ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م . ص٣٠٠ . ص٣٠٤, ص ٣٠٦, ص٣١٤؛ وليامسون موراي وزميله . المرجع السابق . ص٣٤

٤٥. ليام اندرسون و غاريث ستانسفيلد . عراق المستقبل . دكتاتورية . ديموقراطية أم تقسيم . ترجمة: رمزي بدر . الوراق للنشر . بيروت . لندن . ٢٠٠٥م . ص١٠٩ . ص١٤٣-١٤٤؛ تشارلز تريب . المرجع السابق . ص٣٠٢-٣٠٣

٤٦. تشارلز تريب . المرجع السابق . ص٣٠٢-٣٠٥؛ ليام أندرسون وزميله . المرجع السابق . ص١١٥ ص١٢١-١٢٢

٤٧. ليام أندرسون وزميله . المرجع السابق . ص١٢٢.

٤٨. نعوم تشومسكي . ٥٠١ سنة الغزو مستمر . ترجمة مي النبهان . دار المدى للثقافة والنشر, الطبعة الثانية . ١٩٩٩م . ص٢٠٦؛ جورج شولتز . المرجع السابق . ص١٤٨

٤٩. جورج شولتز . المرجع السابق . ص١٤٧؛ ليام أندرسون وزميله . المرجع السابق . ص١٢٣-١٢٤.

٥٠. جيف سيمونز . المرجع السابق . ص٣٠٦-٣٠٧

٥١. ليام أندرسون وزميله . المرجع السابق . ص١٢٤ .

٥٢. جيف سيمونز . المرجع السابق . ص٣٠٦ -٣٠٨؛ ليام أندرسون وزميله . المرجع السابق . ص١٥٩؛ وليامسون موراي وزميله . المرجع السابق . ص ٣٦؛ جورج شولتز . المرجع السابق . ص١٤٧ – ١٤٨ . و ص٢٨٨؛ ص ٣١٣ . محمد مظفر الأدهمي . الطريق إلى حرب الخليج . الأهلية للنشر والتوزيع . عمان .الطبعة العربية الأولى . ١٩٩٧م . ص١٤-١٥ .

٥٣. تشارلز تريب . المرجع السابق . ص ٣١٣-٣١٥

٥٤. نعوم تشومسكي . ٥٠١ سنة الغزو مستمر (مرجع سابق) ص١٥٥

٥٥. جورج شولتز . المصدر السابق . ص١٤٧-١٤٨ .

٥٦. جورج شولتز . المرجع السابق . ص١٥٢-١٥٣ . ص ٤٢٢؛ محمد مظفر الأدهمي . المرجع السابق . ص٥٥

٥٧. ليام أندرسون وزميله . المرجع السابق . ص١٦٠؛ وليامسون موراي وزميله . المرجع السابق . ص٣٦؛ جورج شولتز . المرجع السابق . ص١٤٨-١٤٩؛ سعد البزاز . حرب تلد أخرى (التاريخ السري لحرب الخليج) الأهلية للنشر والتوزيع . عمان . ١٩٩٢-١٩٩٣م . الطبعة الثالثة . ص١٧٥. ص١٧٨- ١٧٩

٥٨. ليام أندرسون وزميله . المرجع السابق . ص١٦٣؛ سعد البزاز . المرجع السابق . ص ١٧٩

٥٩. مايكل كلير . المرجع السابق . ص٧١-٧٢؛ جورج شولتز . اضطراب ونصر . ترجمة محمد دبور وزملاءه . الأهلية للنشر والتوزيع . عمان . الطبعة الأولى . ١٤١٤هـ -١٩٩٤م . ص٨٧

٦٠. منير العكش . تلمود العم سام الأساطير العبرية التي تأسست عليها أمريكا . رياض الريس للكتب والنشر . لندن . الطبعة الأولى .يوليو ٢٠٠٤ م . ص٢١٩

٦١. نعوم تشومسكي ، المرجع السابق ، ص١٦٤

٦٢. المرجع نفسه ، ص١٦٠

٦٣. جورج شولتز ، المرجع السابق ، ص١٥٢-١٥٣ ، ص ٤٢٢؛ محمد مظفر الأدهمي ، المرجع السابق ، ص٥٥

٦٤. سعد البزاز ، المرجع السابق ، ص٦٦؛ ص ١٧٨

٦٥. وليامسون موراي ، المرجع السابق ، ص ٣٧-٣٨

٦٦. د. ناظم عبدالواحد الجاسور ، الأمة العربية ومشاريع التفتيت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م ، ص١٥٣

٦٧. جورج شولتز ، المصدر السابق ، ص٢٧٩-٢٨٠

٦٨. بريجنسكي ، المرجع السابق ، ص١٨٧

٦٩. المرجع نفسه ، ص١٧٢

٧٠. المرجع نفسه ، ص١٧٠؛ روبرت دريفس ، إنها البداية فحسب ، هل العراق رصاصة البداية في حرب إعادة تشكيل العالم ؟ بحث منشور في كتاب:الإمبراطورية بعد احتلال العراق ، دراسات وأبحاث مترجمة ، لمجموعة من المؤلفين ، بول كيندي ، نعوم تشومسكي وآخرون ، ترجمة تركي الزميلي ، منشورات موقع الإسلام اليوم ومركز القارئ ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص٧٦-٧٧

٧١. مايكل كلير ، المرجع السابق، ص٨٧-٨٨

٧٢. د. ناظم عبدالواحد الجاسور ، المرجع السابق ، ص ١٥٤

٧٣. كيسنجر هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية (مرجع سابق) ، ص١٦٤

٧٤. مايكل كلير ، الحروب على الموارد الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية ، ترجمة عدنان حسن ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة العربية الأولى ، ٢٠٠٢م ، ص ١٩

٧٥. المرجع نفسه، ص٤٠

٧٦. المرجع نفسه، ص ٥٨ و ص٦٤

٧٧. تشومسكي، المرجع السابق ، ص٣٥ ، ص٤٠ ، ص٤٢

٧٨. بريجنسكي ، المرجع السابق ، ص ٤٣

٧٩. فرانسيس فوكوياما ، أمريكا على مفترق طرق (مابعد المحافظين الجدد) تعريب محمد محمود التوبة ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة العربية الأولى ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ص٢٩-٣٠؛ وليامسون موراي ، المرجع السابق ، ص٤٥-٤٦

٨٠. هنري كيسنجر ، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية (مرجع سابق) ، ص١٦٤

٨١. روبرت كِيكَن ، عن الفردوس والقوة ، أمريكا وأوروبا في النظام العالمي الجديد ، تعريب :فاضل جتكر، الحوار الثقافي ، بيروت ، الطبعة العربية الأولى ، ٢٠٠٤م ، ص١١

٨٢. المرجع نفسه ، ص٣٩

٨٣. نعوم تشومسكي ، الهيمنة أم البقاء ، السعي الأمريكي للسيطرة على العالم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة العربية الأولى ، ٢٠٠٤م ، ص٤٤-٤٦

٨٤. انظر كتاب : الاحتلال الأمريكي للعراق صوره ومصائره ، لمجموعة من المؤلفين ، تقديم عبدالإله بلقزيز ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥م ، ص٢٤٤

٨٥. المرجع نفسه ، ص٢٤٥، انظر في الكتاب ذاته بحث بعنوان : الإحتلال الأمريكي للعراق...نتائج وتداعيات ، فاضل الربيعي ، المرجع نفسه ، ص١٤٤

٨٦. انظر:جورج فريدمان , مستقبل العراق : البحث عن توازن تجاه إيران , كتاب الاحتلال الأمريكي للعراق صوره ومصائره ,مرجع سابق , ص١٦٤

٨٧. المرجع نفسه , ص١٦٦-١٦٧

٨٨. فاضل الربيعي , المرجع السابق , ص١٥٢ , ص١٥٩؛ د. خيرالدين حسيب , العراق من الإحتلال إلى التحرير , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , الطبعة الأولى , ٢٠٠٦م , ص٣٨٢-٣٨٤

٨٩. جورج فريدمان , المرجع السابق , ص١٦٧

٩٠. نصير محمد , المقاومة العراقية : الواقع.. والمشاهد المستقبلية , كتاب الإحتلال الأمريكي للعراق (مرجع سابق) , ص٢١٣ , ص ٢١٦؛ جورج فريدمان , المرجع السابق , ص١٦٦-١٦٧؛ انظر فاضل الربيعي , المرجع السابق , ص ٢٢٣- ٢٢٥

٩١. روبرت دريفس , المرجع السابق , ص٨٠-٨١

٩٢. جورج فريدمان , المرجع السابق , ص ١٦٧-١٦٨

٩٣. المرجع نفسه, ص١٦٨

نتائج الدراسة
(الخاتمة)

شملت هذه الدراسة تاريخ الصراع الإستراتيجي بين الإستراتيجيات الثلاث على العراق (إستراتيجية جزيرة العرب والإستراتيجية الإيرانية وإستراتيجية الدردنيل بشقيها الغربي بيزنطة أو القسطنطينية أو إستانبول والغربي من روما وباريس ولندن وواشنطن. وقد توصلت الدراسة من خلال هذه الرؤية إلى ما يلي:

١. أن الإستراتيجية الإيرانية تعتبر العراق هي فردوسها المفقود عبر العصور، ولقد ظلت أحلام رجال الإستراتيجية الإيرانية بالرفاهية متعلقة بالسيطرة على العراق، ولعلهم لو أنفقوا على بلادهم كل تلك الأموال التي صرفت على حروب رجال الإستراتيجية الإيرانية لاحتلال العراق لأصبحت إيران في تقدم وازدهار أبدي.

٢. إن الإستراتيجية الإيرانية على الدوام إلا ما ندر؛ هي التي تقوم - و بكثير من قصر النظر - باستفزاز إستراتيجية الدردنيل عبر العصور، وجرها من خلال تلك الاستفزازات لاحتلال العراق، وربما التسبب بضرب وإحراق العواصم الإيرانية عبر التاريخ؛ كما فعلت لأول مرة مع اليونان التي كانت تمثل " إستراتيجية الدردنيل " آنذاك بسبب تلك الروح الدموية والتدميرية التي اتصفت بها الإستراتيجية الإيرانية؛ فصممت على التوحد خلف فيليب والذي أعلن مشروعه وعزمه على المغامرة والانتقام من الإستراتيجية الإيرانية، حيث قام خليفته الملك اليوناني

الإسكندر المقدوني بوضع مسألة محاربة الفرس والانتقام منهم على رأس أولوياته.

٢. تتسم الإستراتيجية الإيرانية بسمتين دائمتين، الأولى:العنف والبطش والإرهاب لشعوب العراق والدردنيل في كل جولة تحس تلك الإستراتيجية بالقوة ونشوة النصر، الثانية: هي نهمها وحبها الشديد للتجارة والمال بشكل يفوق كل شيء آخر، تمثل ذلك في حبها الشديد للسيطرة على طرق التجارة وعقدها في العراق، لقد كان العراق مهماً للإستراتيجية الإيرانية وإستراتيجية الدردنيل البيزنطية؛ بحيث أنها من خلال الملاحة النهرية في دجلة والفرات تتحكم بممرات التجارة العالمية آنذاك، فقد كانت تجارة أوروبا مع الشرق كلها سواء كانت مع الصين أو الهند وأغلى السلع وأندرها تمر إلى القسطنطينية من خلال العراق في الغالب؛ مما جعل العاصمة البيزنطية تتحول بدورها إلى وسيط تجاري بين الشرق والغرب، ولذا فإن سيطرة الفرس أيضاً على العراق جعل بمقدورهم أن يصبحوا وسطاء بين الشرق وبيزنطة نفسها فضلاً عن التحكم بتجارتها مما جعل الفرس يحرزون أرباحاً هائلة من تلك التجارة وذلك من خلال الطريق البري الذي يطلق عليه طريق الحرير من الصين إلى شمال الفرس عبر بخارى، أو من خلال الطريق البحرية التي كانت السفن التجارية الصينية تصل به إلى سيلان؛ ثم تتمكن السفن الفارسية من حمله نحو مصب شط العرب ومن خلال دجلة والفرات يتم نقلها إلى المواقع التجارية التي حددتها المعاهدة التي وقعت بين بيزنطة وكسروية فارس آنذاك. و يتمتع البترول العراقي في التاريخ المعاصر بنفس الأهمية لدى طهران؛ وقد استخدمت الإستراتيجية الإيرانية أدوات ديموغرافية وحضارية ودينية – مذهبية لزرع فكرة أهمية العراق في أذهان الشعب الإيراني أولاً والعالم بشكل عام ثانياً؛كبناء عاصمتها آكتسيفون (المدائن)

بالعراق في العصور القديمة، وجعل كربلاء والنجف مزارات وأماكن حج مذهبية لشيعة إيران، بل وحتى كأماكن مقدسة لدفن جثث الموتى من كبار السن الإيرانيين، لتظل العراق قضية حية في الذاكرة الإيرانية.

٤. تتسم الإستراتيجية الإيرانية بأنها هشة تتهاوى كقصر من الكرتون في كل مرة تصل إلى نهاية مدها، ولعل الفرق بينها وبين إستراتيجيتي الدردنيل وجزيرة العرب أن نفَسَها قصير جداً ونصرها أقصر، وخاصة في العصور الوسطى والحديثة، وقد تم للفرس احتلال أجزاء من أوروبا حتى نهر الدانوب، ثم احتلوا آسيا الصغرى حتى مضيق البسفور مقابل القسطنطينية ثم احتلال مصر، وبلغت الحرب بين إستراتيجية الدردنيل وإستراتيجية إيران مداها ونهايتها للمرة الثانية، ولكن فجأة انهارت قدرات إيران العسكرية بشكل فاق في السرعة والشدة ما حدث لانهيار بيزنطة، ولعلنا نشير هنا إلى أن السلام قد عم العلاقات بين إستراتيجيتي الدردنيل وجزيرة العرب في العصور القديمة، عدا حالات قليلة في التاريخ؛ ولعل هذا التضامن الجديد بين إستراتيجية جزيرة العرب والدردنيل مع بداية الديانة الإسلامية هو أمر غريب ونادر في التاريخ، إذ لن يستمر هذا التضامن أو المشاركة بفرحة النصر لإستراتيجية الدردنيل إلا لسنوات قليلة جداً بينما انطبعت إستراتيجيتي جزيرة العرب والدردنيل بالعداء المطلق سواء كان على مستوى العراق أو الصراع الحضاري بشكل عام. وقد مهدت هذه الحرب الضروس بين الإستراتيجيتين لإيران والدردنيل الأرض في بلاد الشرق الأدنى - العراق وبلاد الشام ومصر - الأرض لإستراتيجية جزيرة العرب التي ستبدأ بعد سنوات قليلة غزوها للعراق كمنطقة تعتبر امتداد طبيعي لجزيرة العرب وأهلها منذ مئات السنين.

٥. إن الإستراتيجية الإيرانية كانت دائماً تعتمد في انتصاراتها على عامل مهم وهو التحالف مع حليف بالغرب فتحالفت مع الآفار والصقالبة ضد بيزنطة، ومع اليهود ضد الأكاديون ومع البرتغال ضد العثمانيون، ومع إسرائيل وحلفاؤها بالعصر الحديث(أمريكا وبريطانيا) ضد العراق، وبدون مثل هذا التحالف لم يسجل التاريخ أن الإستراتيجية الإيرانية قد سجلت أي نصر كبير على الإستراتيجيتين (العربية والأوروبية) بالعراق.

٦. بينما سجلت إستراتيجية جزيرة العرب انتصارات عظيمة وضخمة على الإستراتيجية الإيرانية بالعراق؛ فإن إستراتيجية الدردنيل لم تكن منافساً أبداً لإستراتيجية الجزيرة العربية، ففي العصور التاريخية القديمة تمكنت الأخيرة من السيطرة على العراق لحوالي ألفي سنة، ولم تتمكن الإستراتيجية الإيرانية من دخول العراق إلا من خلال عمليات سلب ونهب وغزو سريع حتى عهد قورش الفارسي الذي قضى على نفوذ إستراتيجية جزيرة العرب آنذاك ٥٥٠ق.م. وبعد صراع مرير بين الإستراتيجيتين (الإيرانية والدردنيل)،كانت إستراتيجية جزيرة العرب غائبة عن المسرح، بل انقسمت بين مؤيد لكلتا الإستراتيجيتين، تمكنت إستراتيجية جزيرة العرب (حقبة المدينة المنورة) من استعادة نفوذها بالعراق في حدود عام ٦٣٠م؛ بحيث قضت تماماً على أطماع الإستراتيجيتين المنافستين، ولعل بعض طروحاتها حيال العراق هو الذي أشعل فتيل الصراع من جديد كصراع فكري بالبداية حين أطلق على العراق تسمية (بستان قريش) مع الإستراتيجية الإيرانية، ولكن رغم محاولات الإستراتيجية الإيرانية لاستعادة فارس والعراق فإن جهودها باءت بالفشل، وكان هؤلاء القوميون الإيرانيون المتطرفون يعلمون بأنهم غير قادرين على تغيير الوضع القائم، لقد جاء الإسلام ليوحد بين إستراتيجيتي الجزيرة العربية وإيران في وجه إستراتيجية الدردنيل،

وكانتا الإستراتيجيتان قادرتان على التوحد والانتصار لو أن قادة الإستراتيجية الإيرانية قبلوا بهذا القدر الإلهي، ولكن مسار الأحداث أثبت أن القوميون الإيرانيون رفضوا الانصياع وأصروا خلال مئات السنين على بعث إستراتيجيتهم للوجود من جديد كمنافس لإستراتيجيتي جزيرة العرب والدردنيل.

٧. لجأت الإستراتيجية الإيرانية لإشغال إستراتيجية جزيرة العرب بالكثير من الصراعات العسكرية والفكرية، ونقلت المعركة في القرن الرابع الهجري إلى عقر دار الجزيرة العربية، ولكنها لم تنعم بالسيطرة الدائمة على العراق العباسية إذ تمكنت إستراتيجية العرب من الاستنجاد بالعنصر التركي لمواجهة الإستراتيجية الإيرانية، حيث تغير وجه التاريخ حين تبدلت إستراتيجية الدردنيل من أوروبية مسيحية أرثوذكسية إلى إسلامية سنية تركية.

٨. اضطرت الإستراتيجية الإيرانية إلى البحث عن طريقة تستقل بإيران عن إستراتيجية جزيرة العرب، وذلك من خلال اختيار مذهباً دينياً (الشيعي الإثني عشري) ليعطي إيران مذهباً قومياً يساعدها بالاستقلالية عن ديانة إستراتيجية جزيرة العرب، وهو ما جعل جزيرة العرب تلوذ - بسبب الضربات الموجعة التي تلقتها – وتستنجد بإستراتيجية الدردنيل الجديدة (الحقبة العثمانية).

٩. لأول مرة تتفق وتتحالف إستراتيجية جزيرة العرب مع القسم الشرقي من إستراتيجية الدردنيل - إستانبول العثمانية (القسم الأقوى في حينها) من إستراتيجية الدردنيل –، مقابل تحالف الإستراتيجية الإيرانية مع القسم الغربي من إستراتيجية الدردنيل (البرتغال آنذاك) ضد أعدائها بالعراق، وقد اعتبرت إستراتيجية جزيرة العرب نفسها في حالة تحالف فريد ومرغوب فيه مع الدردنيل في مواجهة إستراتيجية

إيران، ماعدا فترة (حقبة الدرعية) التي قادت إستراتيجية جزيرة العرب لتهدد إستراتيجيتي الدردنيل وإيران في وقت واحد، حيث تبدلت مواقف الإستراتيجيات الثلاثة فتحالفت إستراتيجية الدردنيل الشرقية (إستانبول) مع إستراتيجية الدردنيل – أوروبا (فرنسا وبريطانيا) إلى جانب تعضيد ودعم معنوي وسياسي وعسكري رمزي من قبل الإستراتيجية الإيرانية ضد إستراتيجية جزيرة العرب في حقبة الدرعية.

١٠. تمكنت إستراتيجية الدردنيل قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى من السيطرة على العراق لتكمل سيطرتها على العراق مع تبديل الأدوار فبدلاً من القسم الشرقي ممثلاً بالدولة العثمانية المسلمة السنية؛ سيطر القسم الغربي ممثلاً ببريطانيا المسيحية البروتستانتية على العراق، وفي حين بدأ ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب بالعمل على الاستقلال؛ كانت الإستراتيجية الإيرانية تبحث مسألة بعث أطماعها بالعراق، وفي نهاية القرن العشرين تمكنت إستراتيجية الدردنيل من تغذية الصراع بين الإستراتيجيتين الأخريين حتى تمكنت من إضعاف ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب من خلال حربين ضروسين الأولى هي (الحرب العراقية – الإيرانية ١٩٧٩- ١٩٨٩م)، والثانية ما سميت بحرب تحرير الكويت (الحرب الأمريكية – العراقية ١٩٩٠-١٩٩١م)، ثم حوصر العراق للإجهاز على ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب هناك.

١١. في بداية القرن الحادي والعشرين كانت إستراتيجية الدردنيل ممثلة بأمريكا قائدة الحلف الأطلسي قد تمكنت من جر الإستراتيجية الإيرانية للتحالف معها أولاً للقضاء على السنة في أفغانستان كممثلين لإستراتيجية جزيرة العرب من الجانب المذهبي الديني؛ حيث كانت المملكة العربية السعودية وباكستان من قلائل الدول التي تعترف بطالبان، ثانياً: التحالف معاً للإجهاز على ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب بالعراق،

وكانت نتيجة هذا التحالف تدخل عسكري من قبل إستراتيجيتي الدردنيل إبان الحرب وتسهيلات عسكرية لها من قبل الإستراتيجية الإيرانية، ثم احتلال ثلاثي (أمريكي – بريطاني – إيراني) للعراق، نتج عنه تصفية – أو محاولة تصفية – طائفية لوجود ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب العراقيين، من قبل الإستراتيجيتين، ولكن دب الخلاف بينهما في السنوات الأخيرة ٢٠٠٥- ٢٠٠٦م، مما جعل إستراتيجية جزيرة العرب قادرة إذا ما أرادت أن تبدأ جهودها لاستعادة مصالحها ومصالح ممثليها بالعراق.

١٢. لقد تبين من خلال هذه الدراسة أن الإستراتيجية الإيرانية بشغفها الذي يصل إلى حد الهوس بالعراق (فردوسها المفقود)، أدى إلى أن تهمل جوانب الحضارة الأخرى، فلا يوجد ابتكارات مذهلة تساوي الحضارات المجاورة لها كالحضارة الصينية أو الهندية أو المصرية أو الهلينية أو حتى تقارن بحضارة بلاد الرافدين، ولعل الديانة الوحيدة التي تعتبر من صميم ابتكار الفرس هي ديانة (عبادة النار) الزرادشتية، في حين نجد أن ديانات أخرى فارسية قد تأثرت بالحضارات المجاورة (كالمانوية والمزدكية وغيرها)، إن الشغف الإيراني بالعراق جعل الفرس - المشهورين بعبقرية عقولهم – يقللون من مستوى إنتاجهم وإسهامهم الحضاري العالمي، وبشكل لا يتناسب مع دورهم التاريخي الكبير.

١٣. إن صبر الإستراتيجية الإيرانية قليل في صنع أحداث التاريخ، فهم يفورون فوراناً عظيماً ثم يكتسحون بجنون وعنف مناطق شاسعة من العالم بحيث يصبغون الأرض والماء باللون الأحمر القاني، كما يقومون بتصفيات عرقية لكل ما هو غير فارسي أو إيراني، ولكن ما إن يواجهوا بقوة تكافئهم حتى ينهار جيشهم مثل هرم من القش، مما يضطر زعماء الإستراتيجية الإيرانية إلى الفرار من عواصمهم، وهو ما فعله كثير منهم

عبر العصور مثل مافعله ملوك العيلاميين والملك دارا الذين اعتادوا الفرار من العاصمة الإيرانية تاركين مصيرها للحرق على يد الغزاة، و هو ما حصل في عهد كسرى أبرويز الذي فر من عاصمته داستاجرد التي احتلها هرقل وأحرقها، وكذلك كسرى يزدجرد الذي فر من المدائن (أكتسيفون) ليتركها في يد قادة إستراتيجية جزيرة العرب وحتى عهد الشاه إسماعيل الصفوي الذي فر من عاصمته تبريز في مطلع العصر الحديث لتقع بيد العثمانيين عدة مرات، رغم ما أبدوه هؤلاء الزعماء من تعامل ملئ بالغرور والصلف والتعنت والازدراء لأعدائهم.

١٤. استنتج البحث أن إستراتيجية الدردنيل كانت تجعل من جزيرة العرب من خلال خططها عبر العصور، ملحقة لخططها بالعراق، فكلما ضيَّقت الإستراتيجية الإيرانية عليها وتحكمت بطرق التجارة؛ واضطرت إلى احتلال العراق؛ فإن إستراتيجية الدردنيل تتجه بأنظارها نحو جزيرة العرب لاستكمال حربها لإستراتيجية إيران فقد حاولت ذلك في الحقبة الرومانية حين قامت بغزو اليمن حيث قضت الحملة عطشاً، ثم حاولت في الحقبة البيزنطية بالتنسيق مع الأحباش حين تم غزو اليمن، ثم في الحقبة العثمانية، وأخيراً في خطط المحافظين الجدد حين فكروا في إثارة الفوضى بجزيرة العرب من خلال غزو العراق ليتسنى لهم غزو المنطقة الشرقية الغنية بالبترول.

١٥. تبين من خلال هذه الدراسة أن إستراتيجية الدردنيل قد شاركت إستراتيجية إيران ضد ممثلي إستراتيجية جزيرة العرب بالعراق عام ١٩٩١م و٢٠٠٣م، ولكن الإستراتيجيتين بدأتا تفترقان من حيث التصرفات والأهداف وأن الخلافات السياسية والاقتصادية بينهما قد جعل إستراتيجية الدردنيل في وضع ضعيف بالعراق؛ كما أن ممثلي جزيرة العرب قد ضيقوا الخناق عليهم مما جعلها تستنصر بقادة

إستراتيجية جزيرة العرب لتخفيف ضربات ممثليها ضد وجودهم الذي بدا أنه يعيش أيامه الأخيرة قبيل انسحاب سريع أو مذل من العراق؛ مما يعني حتمية مواجهة دامية بين إستراتيجيتي جزيرة العرب وإيران بالعراق في السنوات القادمة.

د.صالح السعدون

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ /١٩٦٥م، ج٣، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٥

٢. ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الطبعة الرابعة، الرياض، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م، ج١.

٣. ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر...، دار الكتاب اللبناني، بيروت، المجلد الثالث، القسم الأول.

٤. أحمد مرسي، شريف مكة بين قوتين، مجلة الدارة، تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، العدد الأول، السنة الثانية ,ربيع الأول عام ١٣٩٦هـ- مارس ١٩٧٦م.

٥. أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، تعريب: نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع،، بيروت، ١٩٨١م، ج١،

٦. السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى،١٣٧١هـ -١٩٥٢م.

٧. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٢م، ج٣، ج٤.

٨. ألويس موسيل، آل سعود، دراسة في تاريخ الدولة السعودية، ترجمه عن الألمانية د. سعيد بن فايز السعيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٩. السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، مكة في عصر ماقبل الإسلام، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ /١٩٨٠م.
١٠. السيد الباز العريني د.، الدولة البيزنطية ٣٢٣- ١٠٨١م،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.
١١. السيد عبدالعزيز سالم د.، تاريخ العرب في عصر الجاهلية،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م.
١٢. برنارد لويس، استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، تعريب:د. سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع. جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م.
١٣. بول كيندي، الإستعداد للقرن الحادي والعشرين، ترجمة محمد عبدالقادر وزميله، دار الشروق، عمان، ١٩٩٣م.
١٤. بول كيندي، نشوء وسقوط القوى العظمى، ترجمة مالك البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.
١٥. تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، ترجمة زينة جابر إدريس، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م.
١٦. جان بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة -العقل – الآلهة، ترجمة الأب ألبير أبونا، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
١٧. جواد علي د.، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، دار النهضة، بغداد،الطبعة الثالثة،فبراير ١٩٨٠ م، حـ ٣.
١٨. جورج شولتز، اضطراب ونصر، ترجمة محمد دبور وزملاءه، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.
١٩. جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان التكريتي، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

٢٠.) جوهان ل. بوركهارت،مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة د. عبدالله العثيمين، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢١.جيف سيمونز، عراق المستقبل، السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط، ترجمة سعيد العظم، دار الساقي، بيروت، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٤م.

٢٢.د.حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام...، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٦٤ م، ج ١.

٢٣.د. حسن صبحي بكري، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٢٤.د. حسن فاضل العاني، سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، بغداد و ١٩٨١م.

٢٥.د. خيرالدين حسيب، العراق من الإحتلال إلى التحرير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٢٦.دزموند ستيوارت، تاريخ الشرق الأوسط الحديث، تعريب، زهدي جار الله، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٤م.

٢٧.) دي لاسي أوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة:موسى علي الغول، عمان، ١٩٩٠ الطبعة الأولى.

٢٨.روبرت كِيكَن، عن الفردوس والقوة، أمريكا وأوروبا في النظام العالمي الجديد، تعريب:فاضل جتكر، الحوار الثقافي، بيروت، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٤م.

٢٩:زبغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، الأولية الأمريكية ومتطلباتها الجيوستراتيجية، ترجمة أمل الشرقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة العربية الأولى، ١٩٩٩م.

٣٠. روبرت كِيكَن، عن الفردوس والقوة، أمريكا وأوروبا في النظام العالمي الجديد، تعريب:فاضل جتكر، الحوار الثقافي، بيروت، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٤م.
٣١. ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من عام ١٩٠٠-١٩٥٠م، ترجمة سليم طه التكريتي، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٨م، ج١.
٣٢. سعد البزاز، حرب تلد أخرى (التاريخ السري لحرب الخليج) الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٢-١٩٩٣م، الطبعة الثالثة.
٣٣. سعد بن عبدالعزيز القصيبي د.، اليهود في العصر البويهي ٣٢٠-٤٤٧هـ، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، الإصدار العاشر، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٣٤. سعيد باديب،العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٣٢-١٩٨٢م، دار الساقي، ومركز الدراسات الإيرانية العربية، لندن، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٣٥. سليمان سليم علم الدين، المدارس الفكرية والتيارات السياسية ودعوة التوحيد (تذكر يامروان)، دار نوفل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٣٦. شوقي ضيف د.، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٨٢م،
٣٧. عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٣٨. عبدالعزيز صالح د.، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
٣٩. عبدالعزيز محمد اللميلم د.، وضع الموالي في الدولة الأموية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
٤٠. د. عبدالغني عماد، السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م

٤١ .) د. عبـدالفتاح حـسن أبـو عليـة، دراسـة حـول المخطـوط التركـي، حجازسياحتنامة سي، دار المريخ، الرياض.
٤٢ . د. عبـدالمنعم النمـر، الـشيعة.المهـدي.الـدروز. تـاريخ ووثـائق، دار الحريـة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هت – ١٩٨٨م.
٤٣ . د. علـي الـوردي، لمحـات اجتماعيـة مـن تـاريخ العـراق الحـديث. انتـشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الثانية، ١٣٧٨ - ١٣٧٩هـ حسب التاريخ الفارسـي، جـ١.
٤٤ . فرانسيس فوكويامـا، أمريكـا علـى مفـترق طـرق (مابعـد المحـافظين الجـدد) تعريـب محمـد محمـود التوبـة، مكتبـة العبيكـان، الريـاض، الطبعـة العربيـة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٤٥ . فيصل بن سلمان آل سعود، إيـران والـسعودية والخلـيج، سياسـة القـوة في مرحلة إنتقالية ١٩٦٨-١٩٧١م، ترجمة نـسرين ناضـر، دار النهـار، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
٤٦ . كارين آرمسترونج، الحرب المقدسة، الحملات الصليبية وأثرها على العـالم اليوم، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتـاب العربـي، بيروت، الطبعـة العربيـة الأولى، ٢٠٠٤م.
٤٧ . د.كريم طلال الركابي، التطورات السياسية الداخلية في نجد، الدار العربيـة للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.
٤٨ . ل.ديلابـورت، بـلاد مـابين النهـرين الحـضارتان البابليـة والآشـورية، ترجمـة محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
٤٩ . لوريمر، تاريخ الخليج،القسم التاريخي، الجزء الأول، ج٣
٥٠ . ليام اندرسون و غاريث ستانسفيلد، عراق المستقبل، دكتاتوريـة، ديموقراطيـة أم تقسيم، ترجمة: رمزي بدر، الوراق للنشر، بيروت، لندن، ٢٠٠٥م.

٥١. مارغريت روتن، تاريخ بابل، ترجمة زينة عازار وميشال أبي فاضل، منشورات عويدات، بيروت،، باريس،الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
٥٢. مايكل كلير، الحروب على الموارد الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية، ترجمة عدنان حسن، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٢م.
٥٣. محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، دار الأندلس للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، ص٢٩١.
٥٤. د. محمد عبدالحي شعبان، الثورة العباسية، ترجمة عبدالمجيد القيسي، دار الدراسات الخليجية.
٥٥. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق د. إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ /١٩٨١م.
٥٦. محمد مظفر الأدهمي، الطريق إلى حرب الخليج، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان،الطبعة العربية الأولى، ١٩٩٧م.
٥٧. محمود عبد الحميد أحمد، الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام إلى مصر، طلاسدار، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
٥٨. منير العكش، تلمود العم سام الأساطير العبرية التي تأسست عليها أمريكا، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، الطبعة الأولى،يوليو ٢٠٠٤ م، ص٢١٩.
٥٩. موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، تأليف، أندريه إيمار، جانين أوابوايه، ترجمة فريد داغر، ف}أد أبو ريحان، منشورات عويدات بيروت، باريس، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، المجلد الأول.
٦٠. د. ناظم عبد الواحد الجاسور، الأمة العربية ومشاريع التفتيت، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٦١. نجيب الأحمد، فلسطين تاريخاً ونضالاً، دار الجليل للنشر، عمان، الطبعة الأولى، آذار ١٩٨٥م.
٦٢. نصر الله فلسفي، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة محمد فتحي يوسف الريس، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.
٦٣. نعوم تشو مسكي، الهيمنة والبقاء، السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم،ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٤م.
٦٤. نعوم تشو مسكي،سنة ٥٠١ الغزو مستمر، دار الرأي للثقافة والنشر، دمشق، ترجمة مي النبهان، الطبعة العربية الثانية، ١٩٩٩م.
٦٥. هنري ساغس، جبروت آشور الذي كان، ترجمة آحو يوسف، دار الينابيع.
٦٦. هنري كيسنجر، الدبلوماسية من القرن السابع عشر حتى بداية الحرب الباردة، ترجمة مالك البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م /١٤١٥هـ
٦٧. هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية، نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين،ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٢م.
٦٨. وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية –القاجارية والدولة العثمانية، دار اطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.
٦٩. وليامسون موراي، روبرت هـ. سكايلز جونيور، حرب العراق، تاريخ عسكري ميداني يومي، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٥م

الدوريـــــات:

١. الاحتلال الأمريكي للعراق صوره ومصائره، لمجموعة من الدراسات، تقديم عبدالإله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م،

٢. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م، ج١٠

٣. جورج فريدمان، مستقبل العراق: البحث عن توازن تجاه إيران، كتاب الاحتلال الأمريكي للعراق صوره ومصائره،مرجع سابق).

٤. دريفس، إنها البداية فحسب، هل العراق رصاصة البداية في حرب إعادة تشكيل العالم؟ بحث منشور في كتاب:الإمبراطورية بعد احتلال العراق، دراسات وأبحاث مترجمة، لمجموعة من المؤلفين، بول كيندي، نعوم تشومسكي وآخرون، ترجمة تركي الزميلي، منشورات موقع الإسلام اليوم ومركز القارئ، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م،

٥. طارق محمد سكلوع العمودي، كعب الأحبار هل له ضلع في حادثة مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مجلة مركز وبحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد السادس، رجب – رمضان ١٤٢٤هـ سبتمبر – نوفمبر ٢٠٠٣م، المدينة المنورة الشركة السعودية للتوزيع،

٦. د. سليمان الرحيلي، مظاهر الشعوبيةفي العصر البويهي،، بحث منشور في مجلة بحوث تاريخية صادر عن الجمعية التاريخية السعودية عن اللقاءين العلميين الأول والثاني في شهر شوال ١٤٠٩هـ وشوال ١٤١٠هـ، مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤١١هـ -١٩٩١م.

٧. د.عبدالله إبراهيم العسكر، التحقيب التاريخي دراسة في حقب التاريخ الإسلامي، بحث منشور في مجلة بحوث تاريخية صادر عن الجمعية التاريخية السعودية عن اللقاءين العلميين الأول والثاني في شهر شوال

١٤٠٩هـ وشوال ١٤١٠هـ، مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤١١هـ -١٩٩١م.

٨. فاضل الربيعي، الاحتلال الأمريكي للعراق، تكتيك الهروب من كابوس الشرق الأوسط الجديد: نتائج وتداعيات، كتاب الاحتلال الأمريكي للعراق صوره ومصائره (مرجع سابق).

٩. د. محمد آل زلفة، الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير١٢١٨هـ- ١٢٢٩هـ/١٨٠٣م-١٨١٤م العاصمة والحكومة والسكان كما وردت في تقارير جوزيف روسو القنصل الفرنسي في حلب،مجلة الدرعية، السنة الأولى – العدد الأول – محرم١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٠. نصير محمد، المقاومة العراقية: الواقع.. والمشاهد المستقبلية، كتاب الإحتلال الأمريكي للعراق.

ردمك سعودي: 978-9960-344059-9

تنسيق وإخراج: safa_nimer@hotmail.com 00962796507997



السيرة الذاتية للمؤلف

* ولد المؤلف في مدينة سكاكا بمنطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية عام 1380 هـ /1960م.

* تخرج من جامعة الملك سعود بالرياض عام 1403هـ من كلية التربية قسم التاريخ ؛ ثم حصل على الماجستير من نفس الجامعة كلية الآداب قسم التاريخ في عام 1412هـ / 1992م .

* حصل على شهادة الدكتوراة عام 1424هـ / 2003م من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض كلية العلوم الاجتماعية قسم التاريخ .

* عمل معلماً بمنطقة الجوف لمدة خمس سنوات ثم موجهاً تربوياً بمدينة الرياض لمدة خمس سنوات ثم رئيساً للتوجيه التربوي في عام 1413 هـ بمنطقة الجوف .

* كلف بالعمل مديراً للتعليم بمحافظة القريات بين عام 1419-1414هـ .

* كلف بالعمل مديراً عاماً للتعليم بمنطقة الجوف منذ عام 1421-1419هـ ؛ ثم تفرغ لدراسة الدكتوراه .

* عمل أستاذاً مساعداً للتاريخ بمادة تاريخ المملكة العربية السعودية في كلية المعلمين بالرياض وجامعة الحدود الشمالية .

* عمل رئيساً لقسم الدراسات الاجتماعية بكلية الآداب والتربية بجامعة الحدود الشمالية .

* شارك بعدد من المؤتمرات التربوية في الداخل والخارج ؛ وشارك بوفد المملكة بمؤتمر اليونسكو وعدد من الزيارات الخارجية .

*شارك بعدد من المسئوليات كمجلس منطقة الجوف , ورئاسة المجالس التعليمية بالمنطقة , ولجنة التخطيط التربوي , ولجنة تحسين منطقة القريات وغيرها وعضو الجمعية التاريخية السعودية .

* شارك بمؤتمر الحوار الوطني المنعقد بمنطقة الجوف عام 1427هـ/ 2006م ؛ كما شارك بعدد من الندوات والمؤتمرات التعليمية والتربوية والفكرية في داخل المملكة وخارجها .

* له الكثير من الدراسات التاريخية و المؤلفات والمقالات في المجالات السياسية والتاريخية والفكرية والتربوية والأدبية والشعر .





9 789957 740535



دار كنوز المعرفة العلمية
للنشر والتوزيع

الأردن - عمان
وسط البلد - مجمع الفحيص
هاتف : 877 4655 6 962+
فاكس : 875 4655 6 962+
خلوي : 494 795525 962+
ص.ب : 712577
Dar_konoz@yahoo.com